

الإسلام وإدارة الأزمات

reserved. May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under U.S. or applicable



www.alriyadh.com

بقلم:

الشيخ منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف الأسبق
لمساجد وشؤون القرآن



تصميم الغلاف: محمد عمارة

الإسلام وإدارة الأزمات

بقلم

الشيخ منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف الأسبق

للمساجد وشئون القرآن

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب : الإسلام وإدارة الأزمات
اسم المؤلف : الشيخ منصور الرفاعي عبيد
تصميم الغلاف : محمد عمار

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للناشر

الناشر
المكتب العربي للمعارف

26 شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي
ميدان هليوبوليس - مصر الجديدة - القاهرة
تليفون/ فاكس: 01283322273-26423110
بريد إلكتروني : Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى 2018

رقم الإيداع : 2017/19490
الترقيم الدولي : I.S.B.N.978-977-812-198-8

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر
ويحظر النقل أو الترجمة أو الاقتباس من هذا الكتاب
في أي شكل كان جزئيا كان أو كليا بدون إذن خطي
من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى كل
الدول العربية . وقد اتخذت كافة إجراءات التسجيل
والحماية في العالم العربي بموجب الاتفاقيات الدولية
لحماية الحقوق الفنية والأدبية .

إهداء

أهدي هذا العمل لوجه الله سبحانه وتعالى..

راجيا أن يشمئني برحمته...

وأن يغفر لأبي وأمي ويرحمهما

كما ربياني صغيرا

منصور عبيد

المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان، علمه البيان والأسماء. وأسجد له ملائكته-
سجود تحية- وتقدير- واستخلفه في الأرض، ليبنى ويُعمر وينتج ويبتكر
ويُبدع، مستلهما ذلك بعقله وفكره، مستعيناً بكتاب ربه، وهدى نبيه صلى
الله عليه وسلم...

والإنسان من يوم مولده حتى انتقاله للدار الآخرة: وهو يسعى
ويكسح، وصدق الله العظيم: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلْقِيهِ ۖ﴾ الانشقاق: ٦، والإنسان معرض لإصابته بالأزمات الفردية أو
الاجتماعية، وهو مُطالب بأن يشارك في حل الأزمات...

لهذا، وضعنا هذا الكتاب، ليكون بين يديك — أيها القارئ الكريم
— كالدليل في حل الأزمات، وما يجب علينا أن نفعله...

ولقد استعنت بالله، وعليك أيها القارئ الكريم إن وجدت خيراً
فانشره، وإن كان غير ذلك فاكتب إليّ مُذ لئتم ملاحظة ذلك في الطبقات
القادمة، ولك من الله الأجر، ومني الشكر، ومردداً قول سيدنا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه: رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي..

والله المستعان...

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين...

منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن

بين يدي الكتاب إدارة الأزمات في المنظور الإسلامي

الحمد لله رب العالمين. خلق الإنسان - علمه البيان - وعلمه الأسماء. وأسجد له ملائكته - سجود تحية - وتقدير - واستخلفه في الأرض. ليبينى. ويعمر ويتحرك في الأرض سعياً في طلب الرزق. وتحقيق الخير. وأمره بعبادته ليكون المخلوق على صلة طيبة بخالقه ورازقه ومدبر أمره. سبحانه. سبح له الكون بأسره. لأن الكون يعرف مكونه ويعترف بقدرته. وقد نبهنا ربنا سبحانه إلى ذلك في قوله "وإن من شيء إلا يسبح بحمده. ولكن لا تفقهون تسبيحهم"⁽¹⁾ ومع التسبيح لله. فالكون يسجد لخالقه. والمسيطر عليه. يقول عالم الغيب والشهادة سبحانه "والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة - والملائكة وهم لا يستكبرون"⁽²⁾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الذي بعثه الله إلى الناس جميعاً فهو صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين. فلا نبي بعده ولا رسول. أيده الله بالمعجزات. كما أيد الرسل السابقين بالعجزات من نفس ما نبغ فيه قوم هذلك الرسول، والمعجزة الكبرى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم. وعندما تقرأ القرآن تجد جمال اللفظ وعمق المعنى. مع دقة الصياغة. وروعة التعبير لأن أسلوبه يجرى على نسق بديع خارج عن أسلوب البشر. فالقرآن يصلح لمخاطبة

(2) سورة النحل 49

(4) سورة فصلت 53

(1) سورة الإسراء 44

(3) سورة الأنعام 38

البشر كلهم على اختلاف ثقافتهم ومداركهم العقلية- مع تباعد أزمانهم وأوطانهم. ومع تطور العلوم والاستكشافات والتقدم الهائل. فإن القرآن سبق كل ذلك لأن الخالق العظيم منزل القرآن الكريم يقول "ما فرطنا في الكتاب من شيء"⁽¹⁾ ويقول سبحانه "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"⁽²⁾ صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد....

فقد خلق الله الإنسان. واستخلفه في الأرض بعد أن زوده بطاقات إبداعية وأودع فيه العقل. وعلمه البيان. ومهد له الأرض ليمشى في جنباتها. ويتحرك في ربوعها. ينتج ويزرع يقول الله سبحانه "ويستخلفكم فى الأرض لينظر كيف تعملون"⁽³⁾ ثم وجهه إلى العمل ونبهه إلى حسن استثمار الوقت في أفضل الأعمال والإنتاج. وعدم الكسل أو التراخي فقال سبحانه "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله. واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"⁽⁴⁾..

ولما كان الله سبحانه خلق الكون صالحاً للإنسان. بهوائه النقي. وأرضه الصالحة للإنتاج وليكون ملائماً لكل فرد ليعيش الإنسان في الكون بما فيه من هواء وذرّات. لا تضر. لأن الله بقدرته نقاه له حتى لا يصاب بأمراض تقعه. وتعطله. وتمنعه عن أداء وظيفته الإجتماعية. كي يرقى بنفسه وبمجتمعه ويتزوج وينجب. كي تستمر الحياة في سيرها الطبيعي إلى أن

(1) سورة الأعراف 129

(2) سورة الجمعة 10

(3) سورة الأعراف 56

يشاء الله. ثم أمره أن لا يفسد في الأرض. فلا يلوث الماء. ولا الهواء. ولا يحفر الحفر وينشئ المطبات التي من شأنها أن تعوق مسيرة الحياة الهادئة الآمنة. فقال سبحانه "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"⁽¹⁾ وكررها من باب التأكيد والغرض من ذلك حماية البيئة كي تبقى على صلاحها. ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول والتبرز في الماء الجارى أو الراكد أو الظل أو الطريق العام وعدم رمى النفايات في الشوارع. حفاظاً على الغير حتى لا يتأذى ويصاب بأمراض بسبب التلوث البيئي، والإفساد في الأرض ويكون من وراء ذلك توالد الحشرات والجراثيم والبعوض والذباب، وكل ذلك يضر بالإنسان، كذلك فإن الإسلام شدّد على عزل المريض بمرض مُعدٍ. حفاظاً على الآخرين. والعقل في الإنسان له أهمية كبرى لأن به يفكر الإنسان. ويهتدى بفكره. إلى التقدم والرقى والعيشة الآمنة في جو يحقق السعادة والهناء. ويسعد من حوله بالأمن والاستقرار. ولكي يكون تفكيرنا سليماً راشداً محققاً لما نتمناه، نهانا عن كل مسكر أو مفتر أو مخدر. لأن العقل مناط التكليف. وموطن التفكير. ولذلك كان الدخول إلى حظيرة الدين عن طريق العقل السليم. وممارسة شعائر الدين عن طريق العقل الراشد. وكانت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته. القرآن الكريم - كتاب يخاطب العقل. ويحرك المشاعر ويوصل القيم الأخلاقية النبيلة الرفيعة ولهذا قال الله سبحانه "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله"⁽²⁾. ويقول

(1) سورة الزمر 23

(2) سورة الرعد 3

(3) سورة الأعراف 184

(4) سورة آل عمران 190

سبحانه "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"⁽¹⁾ ويقول "أو لم يتفكروا ما صاحبهم من جنة"⁽²⁾. ويقول "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب"⁽³⁾.

إن الله سبحانه من فضله ورحمته وكرمه. ما كان ليذر الناس - وهو خالقهم تعترض حياتهم المشاكل والأزمات - والكوارث والصراعات دون أن يبين لهم أسلوب الحلول عن طريقين.

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: السنة النبوية.

وهذا البحث الذى نطرحه - عن أساليب حل الأزمات. في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - نحاول إن شاء الله سبحانه - وبِعونه. عرض بعض الأزمات ونحاول فيه الإجابة كيف تكون إدارة الأزمة - وأسلوب حلها. مستلهمين القواعد الإسلامية. لبيان أن المسلم الذى يعيش مع ربه ويتفهم السيرة النبوية يجد الأمن النفسى. والسلام الإجتماعي والمساعدة والمعاونة من الله الخالق القادر الذى يعلم كل شئ. ونفوض الأمر إليه لأنه هو القائل "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم"⁽⁴⁾ إن الأزمة. وإن كان ظاهرها مشكلة تحتاج إلى فن وإدارة للسيطرة عليها وتقليل خسائرها وتخفيض مستوى تأثيرها. على الفرد - أو الأسرة والبيئة. أو المجتمع بأسره فإنها تحتاج إلى عقل فاهم ورأى راشد. وعزيمة قوية وتعاون مع الجميع وإذا كانت الأزمة لها تأثير - يشتد - أو يضعف.

(5) سورة الحديد 22

حسب وقعها. فإن الأمر يستدعى سلوكاً يتناسب مع وقعها. قبل الحل- وأثناءه- وبعده. حتى لا يفقد الإنسان توازنه ولا يستطيع السيطرة على نفسه. لهذا فإن التماسك والإتزان من أهم عوامل الحل والتغلب على الأزمة مهما كان وقعها- لأن الشعور السلبي يزيد حدة الأزمة- ولهذا فإن الموقف يستدعى قوة إرادة وسيطرة على النفس. مع شحن نفوس المساعدين بالأمل العاجل. لأن من انتصر على نفسه كان على غيره أقدر. وعلى كل شئ له كفاءة ويكون عنده حسن إدارة، إن عوامل ازدياد الأزمات ناتج عن الفشل والخيبة في عدم الثقة بالله. وفي عدم القدرة على التعامل معها، وهنا ينذر الأمر بعواقب وخيمة- لأنه لما كانت الأزمة غير متوقعة. فإذا أهملت فإنها قد تتسبب في انهيار المؤسسات الاجتماعية. والعلاقات الاجتماعية وقد تفرض الأزمة تغييراً في المواقع ونمطاً في العلاقات مما يجعل الأمر معقداً. لذلك فإن الأمر يتطلب المشورة من أصحاب الرأي وذوى الخبرة. حتى نقلل من حجم الضرر الذى يمكن أن يمس الأفراد. أو يشوه الصورة العامة لأى مؤسسة حدثت الأزمة فيها أو يوسع الهوية.

كما يجب أن يراعى "التحليل الإعلامى" مستوى التغطية الإعلامية- وعدم تسخين الجماهير أو شد أعصابهم وإنما يراعى تهدئة الروح المعنوية وتقليل حجم الخسائر. وعدم التهويل. وذلك وفق معايير مهنية وأخلاقية تعكس روح التفاؤل والإيجابية والتفاعل في أسلوب الحل. وكل ذلك وفق المنهج الإسلامى- الذى سوف نتعرض له.

وتشير الإحصائيات إلى العديد من ملايين الكوارث للأزمات التى وقعت على الأرض في مختلف بقاعها ومختلف أزماتها. وتسببت قي خسائر لحقت بالبشرية. حيث نتج عن الأزمات التى أصابت المجتمعات سواء كان فى فقد

الأرواح. أو ضياع الممتلكات أو انهيار المباني ذات الطوابق المتعددة، وترتب على ذلك. تشريد المواطنين. وانتشار الأمراض.

ولهذا، فإن العالم ينظر إلى الإسلام على أنه الملاذ الأخير ليقدم رويته العلاج للعالم المضطرب الخائف المنزعج الذي يشعر بأن أمنه في الإسلام ونظمه، لأن عقلاء الغرب والمصلحين يذيعون بين أفراد قومهم ومجتمعاتهم قولهم: "لو كان محمد بن عبدالله حياً وببده كتابه لقاد سفينة المجتمع الإنساني إلى شاطئ الأمان وبر النجاة والأمن والاستقرار".

وعلى ذلك نبدأ الكتاب، إن شاء الله، بتعريف للأزمة والله الموفق - وبه نستعين.

منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن

الأزمة

هي الشدة- أو الأمر الصعب- التي تفاجئ الإنسان- فهي مرحلة من مراحل الصراع الإجتماعي يبدأ من داخل النفس البشرية- وانتهاء بالصراعات الدولية- والصراع النفسى داخل النفس حقيقة- لأنه غريزة في أغوار النفس البشرية- وهو حقيقة من حقائق الحياة- لذا علينا أن نتعلم كيفية التعايش معها حتى نلقى الله- ولذا أشار الحق سبحانه إلى ذلك في القرآن الكريم- فى قوله سبحانه "لقد خلقنا الإنسان في كبد"⁽¹⁾ والكبد هو المشقة والمعاناة والتعامل مع الأزمات ومواجهة الصراعات وقول الله سبحانه "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس"⁽²⁾ وقوله سبحانه "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين"⁽³⁾ إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أن الأزمات والكوارث التي قد تصيب الإنسان. ولهذا نعرفها تعريفاً يتفق مع منهج الإسلام- نقول- بأن ذلك بلاء من الله يختبر به إيمان المؤمنين. وهو سبحانه يلطف بهم وهو اللطيف الخبير. وأن مراحل الصراع يبدأ من نفس الإنسان- فيكون الصراع النفسى الذى يفقد به الإنسان أحياناً توازنه عند ذروة احتدامه- وقد يكون الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان- أو بين بعض المؤسسات الاجتماعية- أو بين الدولة وغيرها من الدول- وقد يكون الصراع للتكاليف على المادة المالية- أو الوظيفية إلى غير ذلك- وقد

(2) سورة آل عمران 140

(4) سورة البقرة 216

(1) سورة البلد4

(3) سورة العنكبوت 3،2

يكون الإنسان غير مهياً- فعلى قدر إيمانه- وحسن ثقته في ربه- وظنه به- فيصبر ويحتسب، ولكنه بأخذ في الأسباب لتخفيف وقع الأزمة، ولذلك قد تتقلب المحنة منحة وإلى هذا أشار الحق سبحانه وتعالى "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"⁽¹⁾ إن مفهوم الأزمة من المفاهيم القديمة الواسعة الانتشار- فهي جزء من واقع الحياة وتعنى الشدة والضيق وقلة الموارد، ولكن التغلب عليها بالصبر والأخذ في الأسباب لتعويض من أصابته الكارثة.

يقول الباحثون في هذا الميدان- الأزمة حالة توتر ولحظة تحول في حياة البشر فيطلب الأمر تقبلها والإستعداد لها. والإستعانة بأهل الخبرة في حلها وعند اتخاذ القرارات التي ينتج عنها مواقف معينة وبسرعة- سواء أكان القرار إيجابياً أو سلبياً- المهم سرعة التصرف ويقول آخرون بأنها- حالة غير عادية تخرج الإنسان عن نطاق التحكم في أعصابه والسيطرة على نفسه- وعلى من حوله- وقد تؤدي إلى توقف دولا العمل أو هبوط الإنتاج إلى درجة تؤثر في التنمية الإقتصادية.

أو انهيار المباني وانقلاب قطار أو سقوط طائرة ويحتاج الأمر إلى فترة تعمل الأيدي على إنقاذ البشر وفرق تسعف طبياً وأخرى فنية لحسر الخسائر وأخرى لتنمية الموارد.

مفاهيم متشابهة

الأزمة - المشكلة - الكارثة - الحادث - النكبة

يرتبط مصطلح الأزمة تاريخياً- بالطب- لأن المرض يفاجئ المريض في لحظة يكون مصيره بين الحياة والموت، وتحمل اللحظات تغييراً جوهرياً ومفاجئاً وتستدعي قراراً حاسماً- ويكون عنصر الوقت أساسياً في فاعلية القرار- وكثيراً ما كان يصاب القلب بالهبوط المفاجئ عند حدوث الأزمة ولذا أطلقوا على مرضه- بأزمة قلبية في حين لا يطلق هذا اللفظ على أمراض أشد خطورة منه...

المشكلة

تعبر عن الباعث الرئيسي الذي يسبب حالة ما من الحالات غير المرغوب فيها وتحتاج إلى جهد منظم للتعامل معها. وهي أخف وطأة من غيرها.

الكارثة

الكارث هو الأمر المسبب للغم الشديد. وهي أشبه بالأزمة- لأن الكارثة تعبر عن حالات مدمرة وقد ينجم عنها- إتلاف للماديات أو موت بعض الأشخاص في حالة مفاجئة يترتب على ذلك آثار تحتاج إلى صبر وهدوء.

النكبة

حدث يهز المشاعر لكن أقل من الكارثة- وعندما تحدث النكبة تخلف تعباً وإرهاقاً على الإنسان- وعلى حسب النكبة يكون التعب النفسى. وعلاجها سهل ميسور.

الأزمة

لما كان حديثنا عن الأزمة فعلينا أن نفسح لها مجالاً واسعاً ونبين خصائصها. ومنها:

(1) عند حدوثها تسود حالة من الخوف والهلع قد تصل إلى حد الرعب والتوتر الشديد والهرج والتخبط.

(2) المفاجأة- فهي تفاجئ الإنسان ويكون غير مستعد لها. وقد تكون عنيفة فتسبب الارتباك.

(3) عدم الفسحة في الوقت لرسم خطة التدخل السريع في الحلول حيث يصاب الإنسان بشلل فكري يصاب به الفرد جراء المفاجأة التي لم تكن متوقعة.

(4) نقص المعلومات عن الحل- وقد يسود جو من الريبة بين المتعاملين لعدم وضوح الرؤية أمامهم.

(5) اليأس الذي قد يسيطر على البعض لقلّة حيلتهم. وعدم وضوح رؤية للحل في عقولهم حيث يتعارض الهدف والرؤى واختلاف الآراء وتتضاربها.

(6) الإشاعات التي يطلقها بعض الناس عن الخسائر وقد تكون كذباً. لعدم الإستعداد للحل وقد يكون هذا إفتراء وتسرى بين الجمهور لقلّة الوعي وعدم إدراك البعض المسؤولية لخطورة الموقف- وظهور بعض الراغبين في النفع الذي يحصلون عليه. فمصائب قوم عند قوم فوائد - ويؤدى ذلك إلى سلبية البعض وعدم المعاونة منهم حيث يصابون بالإحباط وقد يصل ذلك إلى الإنهيار التام.

(7) خلق جو من الارتباك. مع قصور في الحركة فيتسبب ذلك فى شلل بعض الأفكار وظهور صراع بين أصحاب المنافع وكان المفروض أن

يتكاتف الجميع ويتعاون لخلق جو مشحون بالدافع القوى مع تماسك النسيج الإجماعي - وتبنى روح التعاون للبحث عن حلول واضحة يتحالف الكل تحت هذه المظلة لخلق جو ملئ بالأمل.

(8) سوء إدارة الأزمة بسبب العشوائية في تلقي المعلومات. مع انتشار الشائعات الكاذبة وعدم القدرة على التعامل مع الأزمة لعدم التدريب وقلة الخبرة. مع الجو المشحون بالإحباط مع ظهور فئة تبحث عن أساليب الإبتزاز. وخلق جو مشحون بالكرهية ضد القيادات العاملة وهم مشغولون بالأداء.

(9) وأهم من كل ذلك - البعد عن الله - وعدم الإلتزام بأوامره - وارتكاب المعاصي - وبسبب ذلك تحل الكوارث والأزمات - وإلى هذا أشار الحق سبحانه "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم" (1) وفي قوله سبحانه "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيدا" (2) ثم إن معصية الله تؤدي إلى الكفر بنعمة الله ولذلك لم تشكره وهو المنعم علينا فى تحل بساحة المجتمعات المشاكل. وتستفحل الأزمات. ويصعب حلها إلا بالرجوع إلى الله والإقلاع عن معاصيه ولهذا قال الله سبحانه "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" (3).

(10) الظلم: ظلم العباد لبعضهم فينتشر الغش. وتكثر الخيانة. ويشاع التدليس. والغدر والخداع ثم ظلم الأب لأولاده والتفرقة بينهم في التعامل

وتفضيل الذكر على الأنثى وأكل حقوق العمات والخالات. ظلم الحاكم للرعية. وعدم اهتمامه بالمصالح العامة. وإنما يبحث فيما يعود عليه وعلى عشيرته وجماعته بالمنافع. ويضرب بمصالح الأمة عرض الحائط. ويهرب المال إلى الخارج ويترك شعبه في بطالة. وضالة الدخول. وغلق المصانع وترك الزراعة لعدم وجود أدوات الإنتاج. وانتشار البطالة - وكثرة العنوسة وبسبب ذلك تكون الأزمات وما يلحق بالناس من مصائب وكوارث. ولأنه لم يحم أحد يقول له - اتق الله واعدل، ولما لم يتم ذلك أصيبت الكيانات الإجتماعية بالإنهيار وكثرت الحوادث التي أضعفت كيان الأمة. وأدى ذلك إلى اضطراب المجتمع وانتشار الفساد والأمراض والتقلت الأمنى وعم الخوف. وقد أدى ذلك إلى تفسخ المجتمع وقرب زواله. وهذا أمر محتوم لأن سنن الله جرت على ذلك وتحدث القرآن موضعاً مثل هذه المواقف ونقرأ في ذلك قصة سبأ في سورة سبأ - من الآية - 15 - 22" ويقول سبحانه "هل يهلك إلا القوم الظالمون"⁽¹⁾ ويقول سبحانه "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد"⁽²⁾ ويقول سبحانه "وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين"⁽³⁾ ويقول سبحانه "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد"⁽⁴⁾ إن هلاك المجتمع يكون بسبب الفساد - وبالفتن التي توجب نار العداوات بين الناس. كما تكون بالأمراض التي تدمر الصحة وتقع الناس عن الحركة - وبالحوادث المؤلمة المدمرة وتعجيل العقوبة بسبب انتشار الشذوذ الجنسى - وغياب العفة

(2) سورة الأنعام 6
(4) سورة الأنبياء 11

(1) سورة النحل 112
(3) سورة هود 102
(5) سورة الحج 45

والفضيلة. والتعامل بالربا وأكل أموال اليتامى. والغيبة والنميمة. والتراخي في العمل وقلة الإنتاج لأن الظلم والفساد. وعدم العدل يسبب ذلك وأكثر وهنا ينعدم نمو المجتمع أو تقدمه.

ولهذا تمر الأزمة بمراحل لعل الناس يفيقون من غيبتهم وينتبهون من نومهم- ويتعرفون على الله في الرخاء ليلطف بهم عند الشدة. ولا يغفلون عن الواقع المعاش. عندئذ تكون الأزمة خفيفة في أول حدوثها لأنها:

(1) خفيفة في مرحلة الميلاد- تذكر الناس بصاحب الأمر. ومدبر الكون وكأنها تقول لهم تنبهوا فأنتم في خطأ فإن ازدادوا في الفساد ولم يرتدعوا تدخل الأزمة.

(2) مرحلة النمو- تكبر شيئاً فشيئاً. وتبدأ تستفحل فإن تابوا وإلا.

(3) تكون مرحلة النضج- الدمار الشامل والكامل والعام- ولا شك أن الناس سيفيقون ولكن بعد فوات الأوان فإن تابوا وندموا على تقريظهم- وعرفوا ربهم ورجعوا إليه واسترحموه واستغفروه فإن الأزمة تدخل.

(4) في مرحلة الانحسار- تتحسر وتخف وطأتها ثم تختفي شيئاً فشيئاً وينشط الناس وقد جددوا العهد بربهم ولأنوا به واحتموا بحماه فيكشف الكرب عنهم ويذهب البؤس وتختفي آثار الأزمة وهنا يذكرنا ربنا بنعمه علينا فيقول "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"⁽¹⁾ وعلى علماء الأمة وحكمائها وقادة العمل أن ينبهوا الناس إلى الإمتناع عن تبادل التهم- وأن تنتبه الإدارة لاتخاذ القرارات المدروسة بإتقان للعمل بجد لمحو آثار الأزمة مع بث روح الأمل والتفاؤل الحسن- والثقة في الله- مع قوة العزيمة للنهوض بالبناء والتعمير والعمل بجد ومهارة وإتقان لإزالة آثار الأزمة.

(2) سورة التوبة 105

(1) سورة الرعد 11

آثار الأزمة

لا شك أن الأزمة ستخلف وراءها سلبيات تؤدي إلى تصدع الأمة وأسوأ أيام حياتها. فإن نهضت الأمة وكان قادتها قدوة في ترشيد الإستهلاك - وقدوة في العمل الجاد المتقن والسهر للتخطيط للعمل الجيد المتقن والإنتاج المتسم بالجودة، اجتازت الأمة فترة ما بعد الأزمة في وقت قليل. خاصة وأن الله سبحانه لا يحابي أحداً. ولهذا نبهنا بقوله سبحانه "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"⁽¹⁾ ذلك لأن الأزمة لحظة حرجة ونقطة حاسمة وموقف صعب. لأنه سيتحدد بعد ذلك مصير الأمة، إما إلى الأفضل. وإما إلى الدمار. وقد ترتب على الأزمة حدوث خلل مفاجئ في الأمور الإقتصادية والإجتماعية. وعلى هذا سوف يحدث خلل في نظام القيم الأخلاقية. والتقاليد الإجتماعية. وسريان جو يشعر فيه الفرد بحالة من الإحباط. لعدم توازن الفرد بين جو الإستقرار الذي ينشده والإضطراب الناشئ عن أزمة عدم سريان العدالة الإجتماعية. وجو الأمن العام المشحون بعدم الثقة.

كيف تُدار الأزمة

لا شك أن الأزمات منها ما هو ناتج من فعل الطبيعة - أو ناتج من فعل

بشر

1) فالأزمات الطبيعية - مثل - العواصف - الزلازل - البراكين - السيول - الحرائق - انقلاب قطار أو سقوط طائرة أو غرق باخرة - إلى غير ذلك مما لا دخل للإنسان فيه ومن الأدب مع الله أن ننسبها إلى الطبيعة مجازاً - لكن

المحرك لكل ذلك هو الله الذى قال لنا "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير"⁽¹⁾ وهذه الأزمة الطبيعية قد تكون نتيجة إهمال أو عدم الإهتمام أو السلبية في رعاية الموضوع. لكن ذلك غير محدد لفرد وغير معلوم للمؤسسة ولا حيلة لنا في هذا إلا باللجوء إلى الله. ندعوه خوفاً وطمعاً. ونتخذ الوسائل لتخفيف حدتها وتقليل خسائرها. ونبذل الجهد لإبعاد روح اليأس والشعور بالإحباط من بين الجماهير والدعوة إلى زيادة الإنتاج لسد العجز الإقتصادي الذى يحدثه الأثر المترتب على الأزمة.

(2) أزمة بفعل البشر - وتكون بسبب شئ ما - مثل. إضراب العمال عن العمل للمطالبة بزيادة المرتب أو الخدمات التى تؤدى. وامتناع السائقين عن تسيير سياراتهم والقطارات فيتوقف دولاى العمل وتشل الحركة وتتعلل المصالح - ويتوقف العمل أيضاً بسبب المطالبة بتكوين نقابة - أو خفض ساعات العمل - أو المطالبة بإدخال مرافق معينة إلى بيئة معينة - وهكذا - كل هذا يتطلب حصافة من الإدارة التى لها صلة بهذا وتعمل بجد واجتهاد لتفهم ظروف وحالات المضربين والعمل على تلبية مطالبهم وحل مشاكلهم أو النظر فيها بعين الجد والإعتبار - أو يتحرك العقلاء الذين يحافظون على مؤسساتهم من عمل الذين يعملون على سحق مؤسساتهم وذلك بفض الإضراب على وعد بتحقيق المطلوب في جو هادئ بعيد عن التوتر الذى يسيطر على الجميع. مثلاً - إضراب المزارعين لعدم توافر أدوات الإنتاج - مثل المبيدات الحشرية (الأسمدة والتسويق وأنهم في إضرابهم سيتوقفون عن الزراعة - ولو صح ذلك سيصاب المجتمع بالإنهيار. هنا لابد أن يسرع

(1) سورة الحديد 22

المسؤولون عن توفير ذلك حتى لو أدى الأمر دعمه من ميزانية الدولة التي قد تتأثر بذلك ولكنها تلجأ لأخف الضررين.

إنه لكي يكون الحل سليماً

1) النظر إلى الأزمة من عدة زوايا- مع الوضع في الاعتبار. حجم الأزمة- وأبعادها وما يترتب عليها من خسائر- مادية- أو معنوية- وتأثيرها على السياسة الداخلية والخارجية- وحجمها الإعلامي- ذلك لأن حل الأزمات فن وعلم- والسيطرة عليها يكون بتخطيط مدروس. ولكل مقام مقال. ولكل حدث رد فعل. والحذر من خلق جو يتم فيه الابتزاز لصالح فئة معينة- ولما كانت الأزمة سريعة ومفاجئة يتطلب الأمر سرعة محاصرة الأزمة. و تحليل المواقف بدقة. واستدعاء أهل الرأي والخبرة للتعاون في إيجاد الحل المناسب حفاظاً على أمن المجتمع. وسمعة المؤسسة مع استخدام المصادر الأكثر ملائمة ومصداقية وذات سلطة. وقدرة على اتخاذ قرار. على أن تكون الحقائق واضحة أمامهم- دون اختراق للسرية. والعمل على تخفيف الحدة وتقليل الآثار المترتبة على ذلك. ومع كل ذلك يكون هناك فريق لتجميع الأشخاص الذين كانوا متواجدين أثناء الحدث للإدلاء بمعلوماتهم والتي يترتب عليها حدوث ما حدث ويكون التخطيط للقضاء على آثارها. مع إعادة الإحساس بالسيطرة. ويتم كذلك إعداد فريق من الأخصائيين ذوي مصداقية في العناية الصحية- ومن المختصين بالأمن ليقوم كل شخص بدوره المنوط به.

الإعلام والأزمة

لا شك أن الإعلام له دور كبير في توجيه الرأي العام. وفي حالة الأزمات. يتسابق الكل في سباق محموم للحصول على المعلومات. والمفروض أن يتم تقديمها للرأي العام بكل دقة ومصداقية- والإبتعاد عن التهويل- أو التشويش أو التهوين ولما كان لهذه الأخبار من أثر كبير في إدخال الرعب على الناس وإزعاجهم- فإن الأمر يتطلب.

(1) قول الحقيقة- ولهذا أهمية كبرى في تقديم المعلومات. بصدق- وصراحة. وعدم تهيج المشاعر- وفي نفس الوقت- عدم التعمية في الأخبار لأن ذلك يؤدي إلى فقد الثقة وانتشار الشائعات. وتكبير حجم الخسائر. لأن الحقيقة الغائبة تخلق جواً أبشع من الأزمة. فالأمر يتطلب. إتاحة الفرصة لفريق عمل يكلف بجمع المعلومات بدقة ومهارة. ويفضل أن يكونوا من أقارب الضحايا للاتصال بالإعلاميين. أو من العاملين بالمؤسسة وإبلاغهم بالأمر الواقع إما عن طريق الإتصال المباشر أو التليفوني والتعامل مع أسئلتهم واستفساراتهم بصدق وإيجابية. مع إرسال رسائل ذات مصداقية لوكالات الأنباء تكون المعلومات واضحة. وعلى المتحدث عن المؤسسة إلى الإعلام. أن يصغى جيداً لأي سؤال. ويتحدث بلغة واضحة. وأن يعمل على وحدة الصف بتجنب ذكر الأسماء وعدم إصاق التهم بأحد. وترك الأمر للتحقيق وانتظار ما يسفر عنه.

مواجهة الأزمة

– تعريف الأزمة

الأزمة- الشئ الضيق الذي يصعب على الإنسان أن يسير فيه- ويطلق على كل طريق بين جبلين- وتعنى الشدة والقحط وعندما تنزل الأومة يصاب الناس بالتوتر. لأنها حالة غير عادية تخرج عن نطاق التحكم والسيطرة وتؤدى إلى توقف حركة العمل أو هبوطها إلى درجة غير معتادة. ويرتبط مصطلح الأزمة تاريخياً بالطب. لأنه عند سماع الأخبار غير السارة المفاجئة يصاب القلب بالهبوط. وتكون لحظة حرجة بين الحياة والموت وتحمل هذه اللحظة تغييراً مفاجئاً تستدعى قراراً حاسماً ويكون عنصر الوقت أساساً في فاعلية القرار. ويقولون "أزمة قلبية" في حين لا يطلق هذا التعبير على أى مرض حتى ولو كان أشد منه خطورة. وقد استعمل هذا اللفظ "الأزمة" في الأحداث الخطيرة. والمشاكل المعقدة. والنكبات المتتالية...

– خصائص الأزمة

الأزمة لها خصائص تعرف بها أهمها:

- 1) تسود البيئة التي تقع بها حالة من الإضطراب والإرتباك. بسبب ضعف الحركة لإصابة البعض بشلل فكره.
- 2) ظهور جو من الصراع بين أصحاب المنافع. وطلاب الشهرة- بحيث يدعى البعض بأنه هو أول من أحس بالأزمة. وأنه. وأنه- ويدعى الكثير من المعلومات. قد يكون بشئ من التهويل وعدم المصادقية.

- (3) محاولة الإدلاء بالمعلومات على غير حقيقته. لأنه لم تتم الدراسة بعد. ويتم ذلك حباباً في الظهور.
- (4) بسبب الإرتباك يكون الإضطراب في القرارات حيث يصعب التحكم في الموقف. مع نقص المعلومات وعدم وضوح الرؤية. ولهذا يستحب التروى والتأني وضبط النفس لمعرفة الحقيقة. وعدم التسرع في اتخاذ القرار.
- (5) التداخل في الآراء بسبب التعدد. والعوامل. والعناصر. والمؤيد. والمعارض. وعدم السيطرة على الموقف لقلّة المعلومات.
- (6) ومع ذلك فإن عنصر المفاجأة في الأزيمة خلق جواً متناقضاً أحس البعض فيه بالخوف والهلع.
- (7) قد تؤدي الأزيمة إلى توقف دولاب العمل. وانهيار بعض المباني. أو موت بعض العاملين. فيتطلب الأمر الإستعانة بأهل الخبرة ومن لديهم معلومات في الإنقاذ. أو إطفاء الحرائق وهكذا

— الأزيمة النفسية

بعض الناس يصابون بصراع نفسي حول شيء معين. وتبدأ الأزيمة النفسية من نقطة الصراع الداخلي في أعماق الشخص. وقد ينتقد الإنسان نفسه. ويشدّد الصراع الداخلي. وهذا ما يسميه البعض بتأنيب الضمير. وقد أشار الحق سبحانه إلى ذلك في قوله " لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنعس اللوامة"⁽¹⁾ هي النفس التي تلوم صاحبها. ويكون كالاتي - لِمَ فعلت ولم تركت هذا؟ ولم قلت كذا ولم تقل كذا؟ وفي ذروة هذا الصراع قد يفقد الإنسان توازنه عند ذروة احتدام الصراع الداخلي في أعماق الإنسان.

(1) سورة القيامة 114

– المؤسسات الاجتماعية

وقد يكون هناك أزمة بين بعض المؤسسات خلافاً على عمل ما واختلاف وجهات النظر. وقد يكون عند البعض قصور في النظر. واضطراب في التفكير فيكيد للمؤسسة الأخرى ويحاول أن يهدمها ويعمل على إيجاد شرخ فيها. لتكون مؤسسته هي الوحيدة.. وهذا خطأ في التصرف. وإجرام اجتماعي وحرام. فالمفروض أن تتعاون المؤسسات لعمل الخير والنهوض بالمجتمع- وأداء الواجب الاجتماعي مع التعاون على البر والتقوى. وتنميته الاجتماعية- والحفاظ على المال العام.

أو قد ينشب بين دولة وبعض الدول الأخرى أزمة. بسبب رأى إعلامي. أو تصريح غير مسئول. وهنا ينشط الإعلام ليشعل نار الفتنة ويؤجج المشاكل بين هذه الدول وكان الأولى بالإعلام أن يعمل على تهدئة الحال وخلق مناخ من الحب والتآلف والتعاون إلى غير ذلك مما يجب أن يتحلى به الإعلام من مد جسور المحبة والتسامح بين الأفراد. والمؤسسات والدول

– الأقارب

قد تحدث أزمة بين الأخ وأخيه. والولد وأبيه. والأقارب. وقد نبيه الله العقلاء من الإنسانية وحكائها إلى التدخل للصلح لأنه خير. وبسببه يتعاون الجميع على التنمية وإصلاح حال الجميع. وغلق باب الشر. وفي هذا يقول الله سبحانه "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً"⁽¹⁾

— هل ممكن تجنب الأزمة؟؟

نعم ولكى نتجنب حدوث الأزمات فإن الأمر يتطلب:

(1) أداء حقوق الله- وأهمها إخراج الزكاة- وتحديد مكان فى المؤسسة لأداء الصلاة- ونشر روح التكافل الإجتماعى بين العاملين.

(2) تدريب أفراد من ذوى المعايير المهنية. ويكون التدريب على حسب ما يعمل فيه المتدرب للتعامل مع الأزمة التى يتوقع حدوثها فى المكان لأن أزمة فى مصنع غير أزمة فى نقابة أو مستشفى خاصة وأن الإستشعار عن البعد. والوقاية من الجريمة أصبح ذلك من العلوم التى تدرس. فيتم تدريب الفريق على ذلك.

(3) هذه الفئة تجدد معلوماتها كل فترة. وإعادة تدريبها على التعامل مع حريق- أو هزة أرضية أو تجمع فى مظاهرة أو تصادم سيارات أو غرق سفينة أو خروج قطار عن مساره. أو غير ذلك من انهيار مبنى أو انفجار فى مواسير الصرف الصحى. وكما قلنا فإن لكل مقام مقال. ولكل فعل رد فعل حسب البيئة والمناخ العام.

(4) أن يكون الجو العام تتجلى فيه الأخلاق النبيلة والجماهير عندها قيم أخلاقية قيمة. ومروءة- وشعور بالمسئولية وأن يكون لديهم القدرة على الاستفادة من الأحداث المماثلة. والتعلم من الدروس التى مرت عليهم ووقعت على الساحة أمامهم. وأخذ العبرة من أخطاء الآخرين والفشل الذى نزل ببعض الجهات دراسة ذلك بدقة.

(5) السرعة فى الحركة. والإيجابية فى العمل والحكمة فى اتخاذ القرار- والقدرة على الإنجاز فى وقت قصير، وهذه وسائل ولكن مع هذا يجب:

6) أن نعتمد على الله- ونقدم بين يدي هذا العمل الصالح- مثل- الصدق في الكلام- الأمانة في التعامل- الصلاة- عدم التعامل بالربا- البعد عن شرب الخمر والمخدرات الصبر على تطاول الغير. الصدقة تدفع بها إلى الفقراء وغيرهم، إتقان العمل والأداء الجيد. وقد نهينا ربنا إلى ذلك في قوله "يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة- إن الله مع الصابرين"⁽¹⁾ مع إعطاء العمال حقهم.

7) الدعاء لله في ذل وخشوع- تضرعاً وخفية- فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

8) الاستعانة بالناس الصالحين- الجادين- المعروف عنهم. الإيجابية في عمل الخير. والمساعدة لكل عمل يخدم الصالح العام وتقديمه على العمل الخاص والإشتراك في العمل التطوعي.

9) استشارة أهل الخبرة ومن لهم سابق عمل في هذا الميدان. والإعتراف بوجود أزمة.

10) العلاقة بالله تكون مستمرة- قبل الأزمة وبعدها حتى لا تكون ممن قال القائل فيهم:

صلى وصام لأمر كان ينظره لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاماً

نموذج فريد

من سنن الله في الكون إهلاك القرى الظالمة وتدميرها- فإن عادت إلى رشدها واتصلت بربها وحسنت صلتها بالله فإن الله يرفع عنها العذاب. ويفتح لها أبواب الخير. ويأتيها رزقها من كل مكان وإلى هذا أشار الحق سبحانه إلى حال أمة أخطأت. فأسرعت إلى التوبة وندمت على عصيانها فتغير حالها

يقول الله في بيان هذا "قلولا كانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين"⁽¹⁾.
ويلاحظ أنه لا بد من الصبر والثبات والتفؤل. والاستعانة بالله والتوكل عليه. والثقة في الله. مع الثقة في النفس وبالفرق المعاون. مع الابتكار في أساليب المكافحة. والتحلي بالشجاعة- وعدم التوتر. والقدرة على إيجاد حل سريع للمشاكل التي تتولد عند الأزمة- وهذا يذكرنا بالأزمات التي أحاطت بالأمة الإسلامية والمشاكل التي تفجرت فيها ويجعلنا نتساءل:

لماذا أصاب المسلمون هذا؟

هذا الوضع الراهن للحالة العامة في المجتمع الإسلامي. وهذه المشاكل العامة والخاصة في الداخل. قد انعكس آثار ذلك على العلاقات الدولية- الأمر الذي أوجد تكوينات سياسية- تفكر في تدخل عسكري لعرض مخطط معين. فالأمر ينذر بخطر بسبب هذه الصراعات التي تؤدي إلى أزمات تدمر الشعب وتزيد من عنائه ويجعلنا نتساءل ألسنا بمسلمين. ونبينا صلى الله عليه وسلم واحد. وقبلتنا واحدة- ومنهجنا واحد. وشعائر ديننا واحدة. فلم هذا التطاحن. وهذه الصراعات- ولم يقتل الأخ أخاه- وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام- كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا؟ إلى يوم تلقون ربكم"⁽²⁾. وتأمل هذه الكلمات النبوية التي تبين حرمة قتل أي إنسان وحرمة أكل أموال الناس أو

(2) سورة يونس 98

(1) سورة البقرة 153

الإعتداء على أعراضهم. إن الإسلام الذي نؤمن به- لا يقر هذه الحالة أبداً ولا يرضى للناس أن يقتتلوا ويتشاجروا ويتخاصموا لأنه "لا يحل لمسلم أن يهجر- يخاصم- أخاه فوق ثلاث. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلم" والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن الله يعذب الذين يعذبون عباد الله في الدنيا"⁽¹⁾ ولنتأمل في وصية رسول الله لجيش الذهاب إلى ميدان الحرب- يقول لهم "اغزوا باسم الله. في سبيل الله- قاتلوا من كفر بالله- أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا- ولا تقتلوا وليداً أو امرأة. ولا كبيراً فانياً. ولا منعزلاً بصومعة"⁽²⁾ إن الأخلاق النبيلة التي تحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم في دفاعه لأعدائه الذين شنوا عليه الحرب فكان يصددهم لأنهم أعداء الدين والأخلاق النبيلة العالية- لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحارب المسالمين وإنما حارب المعتدين, وكان دائماً في سلمه وحربه يتصف بالرحمة حتى مع أعدائه فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالطفل الصغير. والشيخ الكبير. والنساء والمرضى والضعفاء- وكان صلى الله عليه وسلم يوصي قادة جنده بتقوى الله. ومراقبة الله ليدفعه ذلك إلى الإلتزام بأخلاق الحروب وأهمها الرحمة في التعامل حتى في غياب الرقابة البشرية- ولهذا كان يُردد على مسامع الدنيا كلها "من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل حتى وإن كان المقتول كافراً"⁽³⁾ هكذا يوضح رسول الله عليه وسلم الأمر ببساطة ويُسر. ولم يحاول أبداً أن ينتقم لنفسه

(2)، (3) رواه مسلم

(1) رواه البخارى

(4) رواه البخارى

فيسفك الدماء. وينتهك الأعراض. ويخرب الدور، ويثير الفزع- بل العفو من شيمته والإحسان إلى الناس كلهم من طبعه- والمروءة مع العدو والصديق- يعفو عن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه. ويصل من قطعه فأين نحن من هذا السلوك. نحن أمرنا أن نفتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم. فتركنا ذلك. وضرب الأخ أخاه- لأن هذا فى حزب كذا وذاك فى جماعة كذا انهارت الأخلاق وضاعت القيم وغاب الحق- وطمست الحقيقة وتساءل أعداء الإسلام- أهذا هو الإسلام؟ وأنا أقول- لا تظلموا الإسلام فالإسلام- دين محبة- دين تآلف- دين يحافظ على الدماء- وأعلن النبى صلى الله عليه وسلم أن المسلمين إذا التقيا- بسيفهما- أو بالرشاشات والمدافع- والخرابيش والمسدسات- والحجارة- والمليتوف والزجاجات الفارغة- فالقاتل والمقتول فى النار- يعنى مفيش واحد شهيد- الكل فى النار- لماذا؟ لأن كل واحد- كان حربياً على قتل الآخر. إذا ماذا نسمى ما يجرى فى المجتمعات الإسلامية الآن؟

مسلمون بالاسم فقط

من يحمل السلاح على أخيه- ومن يحمل حجراً ليرميه على وجه أخيه- ومن يحمل خرطوشاً ليصيب أخاه بعاهة- فى عينه- فى أذنه- فى بطنه- المهم أنه يحاول- أن يصيبه بأى إعاقة- هو مسلم بالاسم فقط. وليس بمسلم وغير صادق فى علاقته بربه "مناقق". لأن المسلم يحرص على سلامة المجتمع- وأمن الناس. وعدم قطع الطريق على أحد- فقد سئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم أى المسلمين أفضل؟ فقال من سلم الناس من لسانه ويده⁽¹⁾ - إن هذه الدماء في رقبة وذمة من؟ فى رقبة الطامعين في المغانم - والساعين إلى انتهاز الفرص للوصول إلى القمة - فأين الإسلام يا دعاة الإسلام - أسأتم - ولوثتم السمعة. وجعلتم الناس ينفرون من الإسلام لأنهم اعتبروه - دين يحب سفك الدماء. وتمزيق صف الأمة. وتفريق الوحدة الإنسانية، والإسلام برئ من كل هذه المطامع وغيرها. لأن الإسلام دين الحب والتآلف والوحدة والأخوة ولهذا يقول رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"⁽²⁾ الإنسان يمثل الإسلام بعمله. فإن خالف عمله منهج دينه فليس من الإسلام في شئ. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما قر فى القلب وصدقه العمل. وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم. وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل، إن الأزمات والمصائب التى حلت بالمجتمع الإسلامى نتيجة الجشع والغدر والخيانة. وشهادة الزور والفواحش ما ظهر منها وما بطن. وبهذا حل على المجتمع غضب من الله - وتلك سنته سبحانه فى أتباع الأنبياء - ولهذا كان يبعث إليهم بالرسول يذكروهم - لكن الرسل ختموا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فليس بعده رسول - وختم الوحي بالقرآن الكريم فليس هناك كتاب ينزل بعده من عند الله - فالله يبعث بالنذر ليتذكر الناس جبار السموات والأرض وهو يغار من أن تؤتى محارمه - كما قال سبحانه: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون"⁽³⁾ ويقول سبحانه "فأرسلنا

(1)، (2) حديث متفق عليه

(1) سورة الأعراف 130

(2) الأعراف 133

عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين" (1) ويقول سبحانه مبيناً لنا فئة حالها كحالة المجتمع الإسلامي اليوم "هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها- جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذ هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعلمون" (2) دروس مستفادة للتخلص من الأزمات- لكن الناس لا يعقلون لماذا نقطع الطريق؟ لماذا نتطاحن؟- لماذا ننسى الله ونتعلق بالدرهم والدينار لماذا ننسى إخوتنا- فى الإنسانية العامة- وأخوة الوطن- وأعلى من كل ذلك أخوة الدين؟ لماذا ننسى العلاقات الإجتماعية المبنية على الحب والتعاون والإخاء؟ أسئلة يجب أن نجيب عليها لنصح المسار الحياتى ونتعاش فى دنيانا سعداء. نشعر بالأمن وننعم بالهدوء والإستقرار. ونتجه إلى البناء والتعمير. والزراعة والإنتاج. والصناعة والتجارة. والإبتكار فى الأداء وحسن الأداء.

نماذج من الأزمات تعرض لها القرآن الكريم

أرسل الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وقد ختم الله به الرسل- وأيده بالمعجزات كما أيد الرسل السابقين- ومعجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى هي القرآن الكريم لأن هذه المعجزة تلائم طبيعة الناس جميعاً من يوم نزول القرآن وإلى أن تقوم الساعة- لأن وجوه الإعجاز فيه تتعدد وجوهها- وتناسب البشرية في رقيها وتقدمها. وتحل مشاكل الإنسانية بصدق- وتوضح الرؤية أمامها. لتقوم الحجة على الناس وتبرهن على أنه من عند الله القادر العليم الخبير- ويظل القرآن بين يدي الإنسانية شاهداً على ربانية الدين. وصدق مبلغه عليه الصلاة والسلام...

ومن فضل الله على العالم أن الله الذي أنزل القرآن هو الذي تولى حفظه- حتى لا يعيب به سفيه- ولا يزيد أو ينقص منه إنسان مشوش الفكر لا خلق عنده ولا أدب. فصان الله القرآن وحفظه. ويسر حفظه. وفهمه لمن يريد الخير لنفسه والسعادة- ولهذا يقول الله سبحانه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"⁽¹⁾ - فالقرآن على نسقه العجيب. ونظمه البديع عندما يستمع إليه الشخص فكأنما يستمع لهمس خاطره النقي ومن قرأ فيه كأنما يقرأ في طوية نفسه. فهو يستولى على مشاعر أى إنسان وأحاسيسه ويظل أسلوب القرآن سارياً على نسق عجيب- فيه السمو في جمال اللفظ. وعمق المعنى مع دقة الصياغة وروعة التعبير رغم عرضه لموضوعات مختلفة. فأسلوبه يجرى

على نسق بديع بعيد عن الأسلوب المعروف. من نظام كلام العرب. وهم أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء- وأعرف الناس بأوجه الشعر- والنثر- والأدب. ولقد صيغ أسلوب القرآن ليصلح لمخاطبة الناس كلهم على اختلاف ثقافتهم- ومداركهم العقلية ومع تباعد أزمانهم وأوطانهم واختلاف لهجاتهم ومع تطور العلوم والاستكشافات والتقدم التكنلجي فإن الله منزل القرآن يقول "ما فرطنا في الكتاب من شيء"⁽¹⁾ ولقد يسر الله آياته لكل من يريد- أياً كانت مهنته أو ثقافته فيقول سبحانه "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر"⁽²⁾ وكررها حتى لا يشعر أحد بالعجز في فهم القرآن. فإن حال دون فهمه شيء فيقول لك منزل القرآن سبحانه وتعالى "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"⁽³⁾..

ومما لا شك فيه أن الأزمات والصراع موجود ذلك من أزمان بعيدة من الأيام الأولى لحياة الإنسان على الأرض. وكانت مهمة الأنبياء أن يعالجوا الخلل الذي وقع في المجتمع ويديرون الأزمة إدارة إدارية متميزة متلائمة مع الواقع حيث إن الأزمة تحتاج إلى تصرف حاسم وسريع حتى لا تتفاقم الأزمة وتتأصل ويصعب حلها. فكان زمام المبادأة في يد قيادة فئة لديها قدرة على تفهم الأحداث. لذلك كان من الضروري أن يكون قيادة الإدارة في يد أمينة ترعى مصلحة الأمة وفق مقتضيات الأمور- والأنبياء هم لنا قدوة أمرنا الله أن نفتدى بهم فيقول سبحانه "أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده"⁽⁴⁾ والكتب التي أنزلها الله على الأنبياء فيها الهداية والنور ورسم الخطة لتوضيح الطرق

(2) سورة الأنعام 38

(4) سورة النحل 43

(1) سورة الحجر 9

(3) سورة القمر 17، 22، 32، 40

(1) سورة الأنعام 90

وحل الصراعات وهذا القرآن العظيم الذى حل مشاكل المجتمع عند نزوله وأدار حل الأزمات بأسلوب ابتكارى وقضى على الصراعات وأزال الخلاف. ثم حول رعاة الغنم من أبناء الأمة العربية- إلى قادة أمم- وأصبحوا بفضل الله عليهم حكماء علماء. دانت لهم الدنيا وأصبح زمام الموقف فى أيديهم. فنشروا العدل وتعاملوا بالمساواة- وطبقوا نظام الشورى- فأسسوا حضارة وبنوا أمة على الأخلاق والقيم. فكانوا أمناء كرماء شرفاء يقدمون مصلحة المجتمع على مصالحهم- ويحبون للناس ما يحبونه لأنفسهم. قدموا الكفاءات للعمل القيادى. وتعاملوا بذمة. وفي أيامنا هذه قال أحد الناس هو "برنردشو" وهو فيلسوف معاصر سئل "أترى مشاكل العالم واختلاف أنواعها. هل هناك مصلحون يستطيعون- أن يعيدوا للمجتمع أمنه وسلامته؟ ويحلوا مشاكله قال نعم. قالوا له حددهم لنا- قال هو واحد فقط- أعظم العظماء "محمد بن عبدالله" لو كان حياً "الآن- ويبيده كتابه- لقاد سفينة المجتمع الإنسانى إلى شاطئ الأمان. وبر النجاة" والفضل ما شهدت به الأعداء..

ماذا أصاب المسلمون؟

أصيبوا- بمشاكل وأزمات حيث ضاقت عليهم حياتهم- تأخروا عن غيرهم لأنهم أكلوا ما لا ينتجون- ولبسوا ما لا يصنعون- واستعملوا فيما لم فيه يفكرون. قلدوا غيرهم في التقاهات. وابتعدوا عن الجد والاجتهاد والإبتكار- وفر النابغون منهم من بلادهم إلى بلاد أوروبا فأسهموا في بناء حضارتها. وفى غمرة الشهرة نسوا بلادهم وأوطانهم إلا القليل منهم. ولو أن الصقور المهاجرة عادت لبلادها لتغير الحال وأصبحت النكبة منحة. والأزمة عطاء وهذا ما نرجوا من الله أن يوفق هذه الصقور للعودة لبلادهم والإسهام

في بناء الأوطان. ويومها يختفى خفافيش الظلام الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. لأن البلهاء والبلطجية عندما يروا نور العلم سوف يفرون. ويخنفون - إن المسلمين عندما أهملوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وتاهوا عن القافلة. وهذه سنة الله في الكون وإلى هذا أشار الحق سبحانه "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى - قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً - قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى" (1)

تحليل لنماذج من الأزمات

الأزمة فعل إنساني - نتيجة تصرف خاطئ - يعود الخطأ على المجتمع وتكوينه، لهذا فإن نجاح إدارة الأزمة يتوقف إلى حد كبير عن المسئول الذي يقدر على تجميع المعلومات عن مثل هذه الأزمة - ويقوم بتحليل هذا وعرض النتائج على فريق التعامل مع الأزمة - والغرض الخروج من الأزمة بأقل الخسائر. مع درجة الإستعداد مع الاتصال بمتخذي القرار ليكون على استعداد لإصدار القرارات اللازمة للأزمة مع وضع تصور لتوابع الأزمة أو الكارثة - ودرجة قوتها. وموقعها. وتجميع البيانات عن الخسائر. ووضع تصور للعلاج - والقيام بحملة توعية للقريبين من موقع الأزمة ورسم خطة لهم واضحة بينة. مع توضيح المساعدات التي سوف تقدم. وعلينا أن نأخذ في الأسباب التي تؤدي بنجاح إلى العلاج والخروج من الأزمة بأقل الخسائر وقد أرشدنا ربنا إلى ذلك في قوله "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تنبيهاً" (2)

ويراعى المحلل أثر الأزمة على الجماهير. والمتعاملين مع المؤسسة أو العمارة التي انهارت- أو القطار الذي خرج عن القضبان- أو أزمة ثقة بين صديقين وتهدد هذه الأزمة بعدم استمرار صداقتهما وتؤثر على الشركة التي كونوها- أو أزمة الصراع الإجتماعي- الناتج من الصراع بين طبقات الشعب حيث يحتكر 15% من مجموع الشعب دخل الشعب ويمتلكون الأرض والعمارات والسيارات. ويتحكمون في إدارة حركة الحياة وحركة المعيشة لـ 85% بلا رحمة ولا هوادة. كذلك الصراع الثقافي والقيمي لهدم صرح الأخلاق وإبادة العرف الإجتماعي. وطمس التقاليد الإجتماعية. كذلك الأزمة التي تنشأ من الصراع السياسي الناشئ من تعدد الأحزاب وكثرتها. والأساليب الملتوية للوصول إلى نظام الحكم مع عدم التأهيل لذلك وعدم التدريب السياسي والتثقيف الذهني والاستعداد العقلي.

إن أزمة الصراع غالباً ما تكون نتيجة للتكالب على السيطرة على الموارد المادية- وهناك فرص متعددة في هذا المجال عندما تكون النظرة سطحية- أو مادية وهناك معنويات كثيرة ومتعددة- إذا نظرنا إلى الأزمة التي هي فعل إنسان فلا ننسى الأزمة التي ننسبها إلى الطبيعة تأدياً مع الله- مثل الزلازل- وهبوط الأرض والحرائق التي هي نتاج لرد فعل إنسان- أو ناتجة عن الصواعق....

هنا يأتي دور صانع القرار- فلا بد أن يكون معه فريق يعاونه- لأن الفريق الذي يتكون من عدة أفراد يختلف كل واحد عن الآخر. ويحيطون جميعاً بالأزمة دراسة تفصيلية من كل زواياها. حتى تكون على ما وصلت إلى ما هي عليه. وصانع القرار. لا يعيش في غرف مكيفة معزولاً عن الجماهير فهذا أكبر دليل على فشله: وأن قراره لا يلامس الواقع ولن يكون

من ورائه حل- لهذا عليه أن يعايش الناس ويحتك بالمتضررين يسمع منهم ويحلل حتى تأتيه نتيجة بحث زملائه. مع ملاحظة أن الزمن لا يتوقف لذا فإن السرعة مطلوبة جداً، إن نجاح متخذى القرار لمهمته ونجاحه في إدارة الأمور يتوقف على ترك هامش للظروف غير المتوقعة- طارئة أو بفعل إرادة يغيب عن الساحة من وراءها فتنسب إلى الله سبحانه. حيث فيها خير عظيم ولطف كبير غير متوقع...

إن متخذى القرار عليهم أن يهتموا بجمع المعلومات من مصادر متعددة. وعليهم الدراسة بموضوعية. وسوف تقابلهم مصاعب متعددة لأن بعض الناس فضوليون. قد يدلون بآراء. يظهر فيها التلفيق. لكن غرضهم أن يظهروا في التليفزيون أو الجرائد ولا تهتمهم الحقيقة. لكن الكذب واضح فى كلامهم لتردد بعض الجمل. والنهضة وكثرت الالتفات حوله وتلفيق المعلومات وأثرها ظاهر. لهذا كان الخط الفاصل نحو اتخاذ القرار الصحيح يتطلب الأمر تدقيقاً في المعلومات وربطها بالنتائج. مع استبعاد الرؤية الشخصية والإهتمام بالتحليل الجيد ووضع القرار المناسب مع سرعة الإنجاز لأن الزمن لا يجامل أحدا مهما كان.

إن العامل النفسى له أثر كبير عند حدوث الأزمة لذلك نحرص على توجيه شخص. فاهم متوازن. هادئ يتسم بالصبر والتحمل وضبط النفس للتحدث إلى الناس ورفع معنوياتهم. وتثبيتهم عند الابتلاء. فالحفاظ على معنوياتهم في خضم الأزمة أمر مهم جداً. ولذلك يتحدث القرآن إلى الناس ينبههم إلى أن الناس شركاء في المصائب والأزمات. لكن المؤمن يتميز بحسن ظنه بالله- وثقته فيه. إن المؤمن لا يجعل لليأس على نفسه سبيلاً. مهما كان حجم الخسائر. وفي القرآن يقول المولى سبحانه "أم حسبتم أن

تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله - ألا إن نصر
الله قريب" (1) .

لقد بلغت الأزمة ذروتها. وحلت المصائب متنوعة. حتى قال الرسول
والذين معه - متى نصر الله - ولم يكن ذلك للشك في الله وسوء الظن به،
وإنما هو تعبير نفسى عن أن الأزمة شديدة جداً ووقعها خطير وأثارها عولمة
صعبة - لذلك سمعوا في اللحظة - ألا إن نصر الله قريب - إن التربية الدينية
أمر مهم جداً - والتدريب على احتمال النكد - يدل على قوة الإيمان - وثقة في
النفس ويقين على أن الأمل قريب - وذلك حتى لا ينهار الفرد المسلم ولا
يقوى على مواجهة الأزمة وحلها - ويشعر الإنسان بالندم لأنه بسبب عمله
ويقينه حلت المصائب ونزلت المحنة، ولهذا يقول الله سبحانه - "ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم" (2) فلا بد من حث
الجمهير على التوبة والرجوع إلى الله والاستغفار. والصلاة والسلام على
النبي المختار فذلك يخفف الوضع المشحون بالآلام ويرفع البلاء. وتأمل قول
الله سبحانه "حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم
وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب
الرحيم" (3).

وينبها ربنا سبحانه إلى الاستغفار ونتائجه عظيمة وعطاء ربك
للمستغفر كثير وهو القائل سبحانه على لسان سيدنا نوح وهو يوجه قومه إلى

(2) سورة التوبة 118
(4) سورة نوح 10، 11، 12

(1) سورة البقرة 214
(3) سورة محمد 31
(5) سورة الزمر

الآثار المترتبة على الإستغفار فيقول "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً"⁽¹⁾ والمؤمن على ثقة بوعد ربه الذي وعدنا على الصبر أجراً عظيماً وثواباً كبيراً وخيراً لا يحصى ولا يعد لقوله سبحانه "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"⁽²⁾.

إن المسلم مطالب بالصبر وحسن الظن بالله- والثقة فيه مع اتخاذ كافة الوسائل الممكنة والعمل بإيجابية. والتحرك على الساحة الإجتماعية والتشاور مع أهل الفكر والخبرة وانتظار أحسن النتائج لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً... كما قال في سورة الكهف؟

أما الإنسان الخامل الكسول. الذي لا يعتمد على الله ولا يثق في نفسه ولا يستشير غيره. ولا يتحرك فإن أى أزمة تدمره ويصاب بحالة يأس. علماً بأن باب الفرج مفتوح أمامه. لكن جهله عماه. وصدته عن ذلك كبرياء نفسه بغباء. فزلزلة الأرض تحت قدمه. وأحاطت به المشاكل وأصيب بالإحباط وشعر بالمرارة. فهو كمن قال الله في شأنه "ومن الناس من يعبد الله على حرف فإنه أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين"⁽³⁾- وفيه وفي أمثاله وجه الله لهم هذا التحذير "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم"⁽⁴⁾ إن الله سبحانه وجه الكسالى والخاملين إلى أن يتبعوا الحق. مع العمل الجاد- وسؤال أهل الاختصاص. والتعامل بالنصيحة لأنه لا خاب من استخار ولا ندم من

(2) سورة محمد 38

(4) سورة النساء 83

(1) سورة الحج 11

(3) سورة النحل 43

استشار. ولهذا يقول الله سبحانه "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (1) ويقول سبحانه "ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم" (2).

إن الأزمة تمثل موقفاً غير عادى. وتقع في وقت غير متوقع، شديد وقعها وخطورتها لأن أحداثها متلاحقة. أسبابها مختلطة- وتمثل محنة في وقت عصيب مع الإضطرابات النفسية. والجو المحيط فيه هرج ومرج- تشويش في نقل المعلومات. والإرتباك واضح على الجميع- ومع مضى الزمن يشعر الجميع بالإرهاق والإجهاد المفرط. لهذا تكون القرارات غير منضبطة وطائشة. وهنا نرى أن المنظور الإسلامى يوجه المسلم بقوة نحو البعد الإيجابى للأزمة. ويعتبرها منحة ربانية. فيقول الحق سبحانه "ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" (3) وهكذا ترتبط الرؤية الإسلامية وتوضح لنا النتائج النهائية للأزمة وعائدها بالنفع لمن يسلم أمره الله. ولكنه يأخذ في الأسباب. ويستمر في حسن الظن بالله والثقة فيه لأن ابتلاء الإنسان بالشر والخير أمر دائم ولن ينجى الإنسان من الشر إلا الإعتصام بالله رب العالمين.

أسباب تفاقم الأزمة

تتفاقم الأزمة. ويستفحل خطرهما ويشتد وقعها إذا:

(5) سورة البقرة 155-157

1) إذا كان الإنسان بعيداً عن ربه- لا يفى بوعده. ولا يلتزم بالقيم الأخلاقية. وقد ضرب الله لنا مثلاً بقوله سبحانه "هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين"(1).

2) نموذج آخر. جمهور أعلنوا عصيانهم وتمردهم على الله. فأندروا ثم أندروا فلما لم يستجيبوا ضرب الله القرية ضربة مهلكة مدمرة أخبرنا ربنا بذلك فى قوله سبحانه "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان. فكفرت بأنعم الله.... فأدقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون....."(2).

3) قوم لوط. كانوا أشباه الرجال. وأساءوا الأدب. مع الله. وخالفوا الفطرة الإنسانية السليمة وأصيبوا بالشذوذ. فأندروا وأندروا فلما تماردوا فى غيهم وإفكهم حل بهم الدمار. وقلبت قريتهم على من فيها وهم أحياء، ونجى الله سيدنا لوطاً ومن معه يقول الله "ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. أننكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء. بل أنتم قوم تجهلون"(3)

4) أصحاب الجنة الذين منعوا الزكاة ولم يعترفوا بأوامر الله. أهلك الله حرثهم ودمر الله زرعهم وزلزلوا عندما رأوا حديقتهم وقد أتلفت فى أقل من سبع ساعات يا سبحان الله- قدرة على الضربة الشديدة فى أقل من لحظة لأن أمر الله بين الكاف والنون- يقول الله سبحانه "أنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة. إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من

(2) سورة النحل 112

(1) سورة يونس 22، 23

(3) سورة النمل 54، 55

ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن لغدوا على
 حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلنها اليوم عليكم
 مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما رأوها قالوا إنا لضالون. بل نحن
 محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا
 ظالمين. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين.
 عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون. كذلك العذاب ولعذاب
 الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون" (1)

(5) إن قصص القرآن عن الأنبياء يوضح لنا أن قوم ثمود أهلكهم الله
 بالطاغية وقوم عاد أهلكهم بريح صرصر عاتية. لأن الظلم والانحراف
 والخروج على مقتضى الفطرة الإنسانية والخصائص البشرية يؤدي إلى ذلك،
 لهذا فإن علينا أن نعي الدرس. ونعترف بضعفنا وأن القوة العظيمة المهيمنة
 حددت لنا طريق الخير من طريق الشر ونبهنا ربنا أن الشر والفساد
 والانحراف عن القيم الأخلاقية. ومخالفة تعليمات الله سبحانه والتي أبلغنا بها
 على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. فإن العواقب وخيمة والأزمات متلاحقة.
 والكوارث دائمة. يقول الله سبحانه "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة
 ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً
 قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى" (2) إن الذين وصلوا أنفسهم
 بالله. والتزموا بأوامره- واتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم وساروا على
 نهجه. أولئك لهم الأمن. لماذا؟ لأنهم هدوا إلى الصراط المستقيم والتزموا
 طريق الله- وأدوا فرائضه. ورددوا "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

(2) سورة طه 124-126
 (4)، (5) رواه الحاكم

(1) سورة القلم 17-33
 (3) سورة الأنعام 162

الله رب العالمين لا شريك له" (1) وتمسكوا بسنة نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا نماذج خير. ومشاعل هداية. ونماذج طيبة. في الصبر. والوفاء. والتزموا بأداء الحقوق. وتعاملوا مع الناس بسعة الصدر. وحو الكلام- وطهروا قلوبهم وصفوا نفوسهم. وأحبوا للناس ما يحبون لأنفسهم وعاشوا وهم يمشون على الأرض هوناً ولفروجهم حافظون- وعلى صلواتهم يحافظون. هؤلاء سلاحهم الذى يحمون به أنفسهم من الأزمات أو الكوارث هو الدعاء لأنه نداء الله في وقت النعمة. وفي وقت الشدة- فهم يدعون ربهم تضرعاً وخفية. يدعونه لأنهم يؤمنون بقدرته وعظمته. ولأنه الخالق المبدع- الجبار المنتقم. فهم يؤمنون بأن الرسول العظيم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم. لا ينطق عن الهوى. يقول "ليس شئ أكرم على الله من الدعاء" (2)- ويقول عليه الصلاة والسلام "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله" (3) ويقول عليه الصلاة والسلام "من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة. وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأله العافية- وأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لا ينزل- ولا يرد القضاء إلا الدعاء- فعليكم بالدعاء" (4) ويقول عليه الصلاة والسلام "ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع" (5) والذى يدعو ربه عليه أ، يكون موقناً بالإجابة لقول الله سبحانه "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم" لكن الدعاء المقبول له شروط. أهمها:

- 1) أن تكون عيشة الفرد من مال حلال
- 2) أن يكون على نية التوبة دائم الاستغفار
- 3) محافظاً على الصلاة

(1)، (2) رواه الترمذى

- 4) على علاقة طبية بالصالحين
- 5) بعيداً عن التدخين للدخان والحشيش والمخدرات وفعل الموبقات.

الإرشادات الإلهية والتوجيهات النبوية لحل الأزمة

الإنسان صنعة الله - خلقه في أحسن تقويم. وهداه النجدين. وألهم الله نفس الإنسان. فجورها وتقواها. والإنسان من يوم مولده إلى أن يدخل قبره. وهو يكابد. حيث يسعى على الأرض ويتحرك في جنباتها تقابله المشاكل. وتعرضه الأزمات. وهو يستعمل عقله. ويهتدي بهدى ربه. ويأخذ من سنة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويقتدي به في علاج المشاكل وحل الأزمات. لأن الإنسان. أى إنسان. إن لم يشغله الحق شغله الباطل. لهذا فإننا ونحن نتكلم عن المشاكل. والأزمات. والكوارث. وما شاكل ذلك فإن علينا أن نعود إلى تاريخنا نقرأه. ونحل ما فيه ونأخذ منه. لأن من لا ماضى له. لا حاضر له. ومن لا حاضر له. لا مستقبل له والإنسان العاقل هو الذى يأخذ من هدى الله وتعاليم نبيه. العلاج لحل مشاكله. ولذا قيل "ما أشبه اليوم بالبارحة".

وعندما نقرأ التاريخ نقرأه من تاريخ بناء الدولة الإسلامية فى أول بدايتها. لأن مرحلة الدعوة فى أول عهدها كانت على مرحلتين. الأولى. فى مكة. وكانت الدعوة فى هذه المرحلة تهتم ببناء الإنسان. حيث توصل فيه القيم الأخلاقية. تثبت فيه العقيدة. تنمى فيه روابط الحب للناس جميعاً والألفة والتعايش السلمى مع الآخرين. وتبعد عن أنفسهم وقلوبهم التعصب لجنس أولون. أو وطن. وتنمى فيهم روح المساواة وطول البال. وهدوء الأعصاب.

وعدم التسرع في الغضب وهكذا كان البناء النفسى للإنسان. على المبادئ العالية والقيم الرفيعة. والمروءة المبنية على حب الله ومراقبته. وحب النبى صلى الله عليه وسلم والإقتداء به ومساعدة الغير ومعاونته وجب الوطن والحفاظ على أرضه واحترام العلماء والأكابر من الناس. هذه هى بعض ملامح المرحلة المكية. كانت تهتم ببناء الإنسان وتكوينه على نبذ العادات السيئة. والبعد عن كل خلق دنى. والإرتقاء به وإظهار خصائصه الربانية وقيمه الرفيعة. المرحلة الثانية. وتبدأ بعد الهجرة. عندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة. إلى. المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام ولم تكن الهجرة إلا- تخلصا من الإضطهاد والأذى الذى كان ينزل بالمسلمين من المشركين في مكة. ومع ذلك كانت الهجرة لبناء مجتمع جديد يمتلئ بالأمن وينعم سكانه بالسلام وتثمن منه حضارة الإسلام على المجتمع الإنسانى كله حيث يطبق العدل. ويسود الجب وينعم سكان هذا المجتمع بالمساواة لأنه لا إكراه لأحد على اعتناق الإسلام لأن المبدأ الإلهى "لا إكراه في الدين"⁽¹⁾ ويقول الحق سبحانه لحبيبه ومصطفاه "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن. ومن شاء فليكفر"⁽²⁾ ويقول سبحانه "لكم دينكم ولى دين"⁽³⁾ إلى آخر آيات متعددة تبين أن الإسلام دين تسامح وتفاهم فالوطن للجميع والدين لله جل جلاله- لأنه لو شاء الله سبحانه لوحد الأديان. ولكنه سبحانه يقول "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. ولذلك خلقهم"⁽⁴⁾.

(2) سورة الكهف 29

(4) سورة هود 118، 119

(1) سورة البقرة 256

(3) سورة الكافرون 6

إن المسلمين الذين هاجروا أصبحوا في ظروف تختلف عن مكة. فقد كان لهم بيوت وأزواج وبنين وحفدة. ولهم محلات تجارية. وورش صناعية. وها هم اليوم مطاردون والمشركون يستولون على بيوتهم ويبيعونها. ولذلك قال الصحابي الجليل "أبو أحمد" من عائلة "بنو جحش" في رسالة بعث بها إلى إبي سفيان وهو الذي باع الدار وأخذ ثمنها- ونص الرسالة:

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامة

دار ابن عمك بعثتها تقضى بها عنك الغرامة

وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامة

إذهب بها اذهب بها، طوقتها طوق الحمامة⁽¹⁾

فالمهاجرون تركوا أموالهم وأمتعتهم. حتى ملابسهم استولى عليها أهل مكة. والمهاجرون همهم اللحاق بالحبیب المهاجر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتمتع بالنظر إلى وجهه- والاستماع لما نزل عليه من قرآن. فذلك يحقق لهم السعادة. وكل شئ يهون.

إن كل أمة ناشئة- أو خارجة من صراع. مع متطرفين- أو- إرهابيين- أو كانت تمر بأزمة- فلا بد أن تمر بعقبات- وأول عقبة تواجهها هي أن تجتهد في توحيد صفها وأن تؤلف بين سكانها- ليكونوا لحمة واحدة- تقوى جبهتها في الداخل حتى يكون المجتمع كالجسد الواحد- أو كالبنيان المرصوص. والغرض من ذلك. عدم تمكن أعداء العقيدة والوطن من الخارج- أو الداخل- من فتح ثغرات- وفي هذه الثغرات تتمكن الميكروبات البشرية من أن تتسرب منها لتنتشر مكروبات الفساد. وتؤجج نار العداوة بين السكان فيدب صراع معلناً حيناً وتحت الغبار مرة أخرى. فتقطع العلاقات.

ويبدأ الاضطراب. فيكون المجتمع سهلاً للتفتيت والتفكك. ومن ثم تبتلعه الأمم القوية المتربصة بهذا المجتمع. وما يجرى على الساحة أمامنا خير شاهد مثل ما جرى في العراق- السودان- اليمن- تونس مصر. وفي العديد من دول العالم وغير ذلك غير خاف على أحد- وتأمل في عمل الذين أشعلوا نار الفتنة وأججوا الخلاف. ووسعوا الهوة- وأزهقوا الأرواح- وفي عقولهم أنهم يقومون بعمل ريادي خدمة للمثل النبيلة في زعمهم- والحق أنهم مهدوا السبيل لتمزيق الأمة. وكانوا عوناً ويدا مساعدة على إراقة الدماء لكي يتمكنوا من الوصول إلى تمزيق الأمة- والتمن مدفوع من أعداء الوطن الذين يريدون الوصول إلى أعماق هذا المجتمع. وهذا الفريق القابض الثمن من الأعداء له نظير- ظهر في المجتمع الأول الذي كونه وشيد أركانه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قول الله سبحانه "قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون بالبأس إلا قليلاً" (1) وقالوا كما ذكر القرآن الكريم "هم الذين يقولون لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يعلمون" (2) تأمل عمل المنافقين الذين هم أشد خلق الله. وأخبث من اليهود لأنهم هم الذين قالوا "آمنّا" فرد الله عليهم لأنه سبحانه أعلم بما في قلوبهم. فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وهم أكبر أزمة في حياة البشر. يقول ربنا سبحانه عنهم "قالت الأعراب آمنّا. قل. لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" (3) وطبيعة هؤلاء الغدر والخيانة وعلاماتهم أنهم كما

(3) سورة المنافقون 7

(4) حديث متفق عليه

(3) سورة الحجرات 14

(5) حديث صحيح. الترغيب والترهيب ج3 ص194

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان"⁽¹⁾.. وفي رواية أخرى. ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر. وقال إني مسلم"⁽²⁾ وزيادة لمعرفة هؤلاء اقرأ عنهم من الآية 7-18 من سورة البقرة وقرأ عنهم كذلك من.. الآية 138- إلى الآية- 143 من سورة النساء. وقرأ كذلك من الآية 61- إلى الآية- 87 من سورة التوبة.. إلى غير ذلك في القرآن الكريم.

كيف تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأزمات. وأسلوب حله لها

بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم برسالة الحق. والعدل. والتسامح والرسالة التي بعث الله بها النبي المصطفى الأمين. هي خاتمة الرسالات الإلهية وقد تعرض النبي المصطفى الأمين. منذ اللحظة الأولى لبعثته لسنوف مختلفة من أنواع المضايقات. والتشهير. ثم الإساءة. الشئ الكثير. بغرض وأد هذا الدين في أول الأمر وواجه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه. بأزمات مختلفة الأشكال. اتسمت في أول البعثة- بالتعذيب. ثم بالتشهير. ثم بالحصار في شعب أبي طالب ثم بتأمر المشركين على قتله. بالإتفاق. مع اليهود. ثم مع المنافقين على المضايقات. ثم بحشد الجيوش وخيانة اليهود والمنافقين لليهود والمواثيق. وهكذا تتوالى الأزمات. ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يضع الحلول المناسبة لحل كل أزمة بما يلائمها في حينها. والعرض من ذلك. أن نفتدى به لأنه كما يقول ربنا سبحانه "من يطع الرسول فقد أطاعه الله"⁽¹⁾. وقول الله سبحانه على لسان رسوله الكريم "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"⁽²⁾ ويقول سبحانه "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً"⁽³⁾. إنه على مدار تاريخ الأمم. نلاحظ أن أى أمة ناشئة تمر بأزمات تواجهها وبالتخطيط. والاستشارة. والتعاون.

(2) سورة آل عمران 31

(4) سورة المائدة 2

(1) سورة النساء 80

(3) سورة الأحزاب 21

والإتحاد. والوقوف خلف قيادة تتسم ببعد النظر والتدقيق في اختيار معاونيه لإمكان العمل بقدرة وكفاءة على حل الأزمة بهدوء وثقة في معاونة الله سبحانه. فيد الله مع الجماعة. وقد قال الله سبحانه "وتعاونوا على البر والتقوى. ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"⁽¹⁾. نجد الحل المناسب. والقضاء على التوابع.

إننا سوف نقرب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. نتعلم من هديه. ونقتبس من سيرته. لأن سنته صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم للتشريع.. فلنبدأ بعون الله وتوفيقه.

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

لقد وضعت الإدارة الحديثة خطوات يمكن اتباعها في حل الأزمات. لكنها تجاهلت النظام الإسلامي وأسلوبه في الحل. ذلك لأن علم إدارة الأعمال في الإسلام لا بد أن يكون بدقة وانضباط واختيار الكفاءات. والإستعانة بأهل الخبرة. وأصحاب العقول الناضجة والبعد عن المحسوبية. والشللية. فنحن نرى في العصر الحديث أن الدول تهتم بتدريب القيادات ومستوياتها وقد أعطت هذا الموضوع أهمية. وقد أصبح الابتكار في أسلوب التدريب في حل الأزمات والأداء الجيد والتفنن فيه أمر ملحوظ لأن الأيام تكشف في كل لحظة عن صعوبات. تواجه القيادات في العمل في العصر الحديث الذي تتعدد فيه المشاكل المتعددة حتى صار كل ميدان يخدم المجتمع يحتاج إلى تخطيط لتدريب القيادات. من أجل أن يسوس الإنسان أخاه الإنسان. ولا شك أن هذه قضية خطيرة لأن كل شخص يقول "الكل في حق الحياة سواء" فلماذا يتم

اختيار فلان ولا يتم اختيار فلان؟ ومن هنا كانت عملية الإدارة. من أهم الوظائف وأصعبها ولا بد أن يختار لها الأكفأ والأقدر والذي يتسم بالثبات والعزيمة. والعلة في ذلك. أن ميدان الإدارة يتسم بعنصر الحساسية الاجتماعية والسرعة في التنفيذ والكفاءة في صنع القرار. لأن المفروض في أى قائد في أى ميدان. أن يكون لديه القدرة على توصيل الحقوق إلى أهلها. وأن يكون في نفسه لديه الرغبة في حب الخير وإيصاله إلى الناس مع التحلى بالصبر والرضا واحترام الآخرين. مع إبراز عنصر العمل الإيجابي البناء لديه مع عاطفة تسمو إلى حب الخير للجميع. وعندما نقلب صفحات التاريخ نرى أن الإنسان يضيق صدره. وتتوتر أعصابه. وهو يشرف على فصل في مدرسة. طلابه يتسمون بعدم الانضباط. وأحياناً ينوء المشرف الاجتماعى من كثرة الطلبات التي ترد إليه ولا يقدر على أن يقدم الحلول. وقد يعجز السياسى الداهية عن الوصول لحل قضية بلاده ونحن نذكر هذا أمامنا خبرات. وخبرات. وقنوات فضائية. وفيس بوك. وتليفون محمول. وإنترنت. وجرائد. ومجلات. وإذاعة ومع كل ذلك فإن العقول قاصرة. فما بالك بمن نشأ في الصحراء. وليس بها أى شئ مما ذكرنا. حدودها مفتوحة. آفاقها بعيدة. منافذها مترامية. شاسعة. هذه الصحراء أجود بيئة رغم قلة الماء وليست بها إضاءة ومع ذلك فقد خرجت لنا أعظم قيادى تمرس على العمل القيادى مع أنه كان يرعى الغنم التي كانت هى أعظم وسيلة للتمرس على العمل القيادى فهى تدريب رائد. وتجعل الشخص يتحلى بالصبر. واحترام الوضع الاجتماعى للآخرين. فراعى الغنم يتسم بالانتباه. واليقظة. والحرص. لأن واحدة من أغنامه قد تشرد. وثانية تجرى في الصحراء. وتتخلف واحدة. ويتناطح اثنان. والذئب يتربص هنا وهناك فترى الراعى اليقظ يجمعها من

تشردها في صبر. ويحميها في تحركاتها. ويدلها على الطريق. ويختار لها مكان الكلاً والماء. ويقيها شر العوادي. وهو يشعر أن الغضب عليها سوء في إدارتها وضرر بها. فهو لها أنيس وبها رفيق.. فراعى الغنم قائد ماهر. فليس للتهوين عليه مغزى. وهو رفيق برعيته. ورائد يتعلم منه صانع القرار. ويقتبس من عمله من يخطط لنجاح الأمم "ولقد كان النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه الله ورعايته له راعياً للغنم لأن في ذلك ترمساً له على اليقظة الدائمة وتدريباً له على نشأة تتسم بالعاطفة الرحيمة للإنسان والحيوان. وكل ذى كبد رطب. لقد كان رعى الغنم. كما شاء الله له. لوناً من ألوان التهئية التي أعده الله لها. حيث سيكون رحمة للعالمين ورعى الغنم مجال للتدريب الراقى. وإعداد الشخصية السوية العادلة في تصرفاتها ومن هنا كان الأنبياء جميعاً رعاة غنم لأنه أجود مجالات التدريب. وأصدقها صقلاً لتربية عاطفة حب الخير من غير انحراف للعاطفة. وأحسن مجال لاكتساب خبرات أساسية في القيادة- أهمها. ضبط النفس. عدم التوتر وعدم الانفعال والبعد عن الغضب. ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم قال له أصحابه. وأنت يا رسول الله؟ قال نعم. كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة"⁽¹⁾ يقول السهيلي "وإنما جعل الله هذا في الأنبياء تقديماً لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعاياهم"⁽²⁾.

والنبي صلى الله عليه وسلم قام برعى الغنم مرتين:

(1) أخرجه البخارى

(2) الروض الأنف للسهيلي ج1 والطبقات الكبرى ج1 لابن سعد

(3) محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد الصادق عرجون ج1 فى 27 من رمضان سنة 1391 سلسلة البحوث الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية

الأولى: وهو فى بنى سعد. رضيعاً. وغلماً. يخرج مع إخوته يذهبون وراء بيوت الحى ويرتادون لأغنام قومهم المراعى وأماكن المياه. وظلال الشجر وفي هذه البادية نشأ على فصاحة البيان والبلاغة وقوة الإفصاح ولذلك قال لأصحابه في رجولته "أنا أعربكم. أنا من قریش. ولسانى لسان بنى سعد بن بكر"⁽¹⁾.

الثانية: هو شاب بمكة- وإليها يشير حديث البخارى السابق. ونؤكد على أن رعى الغنم لم يكن مهنة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل كان تدريباً وصقلاً لموهبته. على حسن القيادة والفتانة. ثم قام بالتجارة. ليكون له مع الناس احتكاك وتعامل بالدرهم والدينار. ولتظهر أخلاقه في التعامل مع الناس على أرض الواقع.

الأمين المشارك

كان لحرب الفجار آثار سيئة في المجتمع العربى. فالعلاقات الإجتماعية قطعّت وصلات القربى تأثرت. فى هذا المناخ الإجتماعى المتوتر فنهض الزبير بن عبد المطلب "عم النبى صلى الله عليه وسلم فأجار رجلاً من اليمن كان أحد أكابر قریش اشترى بضاعته وحاول أن يماطل في دفع الثمن وحتى يدعم الزبير موقفه دعا إلى إنشاء وتكوين "حلف الفضول، وكانت مهمته درء المظالم دون مقابل والعطف على الضعفاء وهى مهمة جليلة عظيمة. إنسانية النزعة. لذلك شارك فى هذا الحلف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو شاب. وقد فرح العرب بهذا التجمع لأن فى ذلك صوتاً لكرامتها وإحياء لمقوماتها الأخلاقية وتعمل على نشر العدل والخير بين القبائل"⁽²⁾. وهذا هو أساس العمل التطوعى.

(2) سيرة ابن هشام ج1 بتصرف

لقد كان اشتراك النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحلف ثمرة من ثمرات التهيئة الإلهية ليتعرف على قواعد العمل الإجتماعى المبني على سلامة الوجدان المرهف والتجربة الهادفة لأن دعوته ستقوم على أساس من التطوع دون مقابل من عرض الدنيا. لأن الله الذى كلفه بها كفاه كل شئ. ولأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب رسالة. وليست وظيفة لنيل منصب. أو لجمع مال- إنه صاحب رسالة هياها الله من أجلها. ولذلك أمره بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل. لقد وهب الله جل جلاله. النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة. فضائل عالية وقدرة فائقة على إدارة الأزمات الإجتماعية. ولذلك شهد له الجميع بقناعة بأن الشخصية المحمدية جديرة في عالم الخلق بالإحترام والتقدير. ولذلك كان لقب الصادق الأمين وساماً لم ينله غير هذا النبي العظيم. وكانت سابقة في صياغتها الاجتماعية بين القبائل كلها.

إن لقب الأمين لم يكن وصفاً عابراً ولا كلمة مجاملة. ولكنه كان خلقاً أصيلاً فيه. الأمر الذى جذب إليه النفوس. وأحسوا بالراحة النفسية في كنفه. وبلذة الحياة في صحبته- وأدركوا العزة في صداقته. وأحبوا فيه صدقه وعشقوا فيه أمانته. ولذلك ارتضوه- حكماً وقاضياً بين العرب جميعاً. يوم أن رفعت السيوف وشرعت الأسنة وكاد يفضى ذلك إلى الحرب. وتهب رياح حرب الفجار من جديد. وذلك أن السيول طغت على الكعبة فغمرها بالماء. فتصدع بنيانها. فتشاورت قريش في إعادة بنائها بعد الذى أصابها. وكان العرب يتهيبون هدم الكعبة. مخافة أن يصيبهم الله بسوء. وأخيراً جمعوا أموالاً وهدموها ثم قاموا ببناؤها. وارتفع البناء وجاء دور وضع الحجر الأسود فاختلفوا فيمن يتشرف بوضع الحجر في مكانه. ووقعت الفتنة

وارتفعت السيوف. وتعصبت القبائل ولو وقعت الفتنة لا يدري أحد إلا الله كم ستكون الخسائر فى الأرواح. ومتى تنتهى. لذلك قال قائل منهم أمسكوا سيوفكم وحكموا بينكم أول داخل من باب الصفا.

حل الأزمة

لقد حلت أزمة عظيمة تحتاج إلى عقول مفكرة. وحكماء لهم خبرة. فى حل الصراعات وإدارة الأزمة. نظر الناس جميعاً إلى باب الصفا. وتعلقت أبصارهم إلى أن أقبل محمد بن عبدالله- فما إن رأوه حتى صاحوا وقالوا. هذا هو الصادق الأمين- رضينا به حكماً. وعرضوا عليه المشكلة الخطيرة. لقد نظر سيدنا محمد إلى هذه القضية وفكر واقتنع بأن المجتمع يجب أن يتحلى- بالوحدة- والإتحاد- والإخاء- دون تفرقة بينهم بسبب الجنس أو اللون أو العرق. ولا بد أن يعيشوا فى حالة مسالمة تجمع بين أبناء المجتمع الذين يجب أن يعيشوا فى أمن وسلام. فكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حل الأزمة بهدوء ثم قال. أبسطوا ثوباً. ثم حمل الحجر بيده الشريفة ووضعها على الثوب. ثم أمر ممثل كل قبيلة أن يمسك بالثوب. ثم يرفعه جميعاً. وحمله ممثلوا القبائل كلها. ثم تقدم وأخذه بيده الشريفة فوضعه فى مكانه ورضى الجميع بذلك. وبذلك حققت الدماء. وعادت الألفة بين القبائل. وكان حل الأزمة. نوع جديد فى حل الأزمات ولهذا قضى على الفتنة ونشر المودة. وحمد الناس لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذه الروح. وهذا العمل الذى ليس بغريب عنه. فهو الصادق الأمين. ثم إنه حافظ على الأمن والإستقرار وأعاد السلام إلى المجتمع المكى الذى حمد للصادق الأمين جسناً التصرف. ولبعد النظر. وسرعة الحل. بلباقة غير معهودة. وليس للأزمة نظير قبل ذلك

مما يدل على رعاية الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلهامه الصواب لكل خير له عائد اجتماعي. تدعيماً لشخصه وتكريماً له صلى الله عليه وسلم.

حسن تصرفه في العلاقات الاجتماعية وعصمة الله له

لو أن المفكرين في العالم تتبعوا حياة العظماء في الدنيا في تاريخها الطويل ليصلوا إلى شخص يستطيع أن يعالج مشاكل المجتمع الإنساني. لن يجدوا أبداً إلا شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فهو صلى الله عليه وسلم منذ ولادته إلى أن بعثه الله رحمة للعالمين وإلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى فهو الصورة الحية للإنسانية التي على فطرتها. فقد حفظه الله منذ ولادته وفي مراحل صباه وشبابه من كل دنس ينزع إليه الشباب. لقد عايش المجتمع وظهرت آثار تربية الله له. لذلك لقبوه بالصادق الأمين. واتفق المجتمع العربي على إعطاء هذا اللقب له. لأنه موثّل سرهم. وأمين ودائعهم والحكم العدل في قضاياهم. والصادق في كل أخباره. هذه الشخصية العظيمة السوية تدرّبت على كل أنماط الحياة في المجتمع. لقد عاش حياة البشر. فصلت له بالممارسة معرفة بثقافة البيئته. وتعرف على طبائع الناس. ولم يتعرف على ذلك في معاهد تدريب. ولا قاعة محاضرات ولم يقرأ في كتب. ولم يجلس إلى محاضرين ولم يناقش أحداً في ذلك. لكن التدريب الميداني وهذا مصطلح اتفق عليه العاملون في حقل الخدمة الاجتماعية. يكون بالممارسة ويأتي الحفظ من الله رعاية وحفظاً ولهذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله "ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهتمون به إلا في ليلتين. كلتاها عصمني الله عز وجل فيهما. قلت ليلة لبعض فتيان مكة.

ونحن نرعى الغنم. قلت لصاحبي. أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال بلى. فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة. فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير. فقلت ما هذا؟ قالوا تزوج فلان فلانة. فجلست أنظر فضرب الله على أذنى. فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس. فرجعت إلى صاحبي. فقال ما فعلت؟ فقلت. ما فعلت شيئاً. ثم أخبرته بالذى رأيت: ثم قلت له ليلة أخرى. أبصر لى غنمى حتى أسمر. ففعل. فلما جئت مكة سمعت الذى سمعت تلك الليلة. فقيل لى: نكح فلان فلانة. فجلست أنظر. فضرب الله على أذنى. فالله ما أيقظنى إلا مس الشمس. فرجعت إلى صاحبي. فقال. ماذا فعلت؟ فقلت لا شئ ثم أخبرته الخبر. فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشئ من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته⁽¹⁾ ويتبين من هذا أن الله قد عصم النبي صلى الله عليه وسلم من كل سوء منذ صغره وشبابه لأنه صلى الله عليه وسلم كان متمتعاً بخصائص البشرية السوية كاملة المحاسن متحلية بالأدب والأخلاق العالية. ولكنه كان يجد فى نفسه ما يجد كل شاب من مختلف الرغبات: لكن عصمت الله له حفظته ورعته. فكان على خلق عظيم.

النبي الخاتم

لقد كانت عناية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم. وحفظه له. من كل ما يسئ إلى مقامه الرفيع ومكانته السامية شئ ملحوظ فقد بغض الله إلى هذا النبي العظيم القرب من الأوثان وكل أنواع الباطل التى كان يأتيها فتیان قریش ورجالاتها. من شهود حفلات الغناء أو الرقص أو شرب الخمر أو لعب القمار. وسائر الملاهى. ومع بعده ونفوره من كل ذلك فإنه كان يشارك

(1) رواه ابن اسحاق والبيهقى

قومه فى كل أعمال الخير.. وأكبر دليل على ذلك أن أهل مكة نزلوا على حكمه فى وضع الحجر الأسود وهذه أزمة خطيرة حدثت عند تجديد بناء الكعبة لكنه ببعد نظرته وفراسته حلها بسهولة وذكاء. ونقف اليوم أمام أزمة اقتصادية. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعثه الله نبياً ورسولاً. بدأ دعوته سراً. ثم أعلن. وفى المرحلتين كانت المضايقات من قريش والأذى ينزل بالمسلمين فصبروا صبراً جميلاً. وبسبب التعذيب استشهد منهم شهداء "كسمية أم عمار بن ياسر" ولقد بذلت قريش كل ما فى وسعها من حيلة لإطفاء أنوار الدعوة. لكن قريشا باعت بالفشل. ولما خاب ظنها وقلت حيلتها حولت طاقتها إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين - كسيدنا بلال. وياسر. وزوجته. وولده عمار. وخباب بن الأرت وغيرهم وشدد أعداء الإسلام قبضتهم فى تعذيب المسلمين. ثم اتجهوا إلى المفاوضات مع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبو طالب" الذى قال للنبي صلى الله عليه وسلم "إبق علىّ وعلى نفسك. لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمه "والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى أهلك دونه" ثم قدموا عروضاً للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له "إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا. وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذى يأتىك ركباً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم "إن توليتكم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله"⁽¹⁾.

وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "إنه ما بى ما تقولون. وما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم. ولا الشرف فيكم. ولا الملك عليكم. ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً. وأنزل على كتاباً. وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فأبلغكم رسالات ربي. وأنصح لكم فإن تقبلوا منى ما جئتمكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة. وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم"⁽¹⁾ ولما يؤس المشركون من- تعذيب المسلمين كانوا يفكرون فى حيلة جديدة. وأساليب مبتكرة من المضايقات- كما أن المسلمين لم يقبلوا أنصاف الحلول- ولم يقبلوا ما عرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم بدعوا يعرضون على بنى هاشم أن يسلموهم محمداً ليقتلوه- ويأخذوا بدلاً عنه أجمل فتى فى قریش أو يقبلوا ديته- لكن بنى هاشم رفضوا وبشدة. عندئذ أجمع المشركون على منابذة النبي صلى الله عليه وسلم ومنابذة المسلمين ومن يحميهم من بنى هاشم وبنى المطلب وأن يحاصروهم ويقاطعوهم ولا يتعاملون معهم. وكتبوا بذلك كتاباً- تعاقبوا فيه على أن:

- 1) لا يناكحوهم ولا ينكحون منهم. ولا يجالسوهم. ولا يجلسون إليهم.
- 2) لا يبيعون لهم أى شئ ولا يبتاعون منهم أى شئ. ولا يكلموهم. ولا يسمعون لهم

مقاطعة - إقتصادية - إجتماعية - سياسية.

وعلقوا هذا الكتاب فى جوف الكعبة ليكون له قدسية فى نفوسهم جميعاً وهذه أزمة شديدة- لأن الحياة- علاقات إجتماعية- وبيع وشراء وشبكة اتصال إنسانى من خلال الزواج. ويظهر من هذه المقاطعة الظالمة- أنها أزمة خانقة. وهنا تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى التعامل مع

(2) سيرة ابن هشام

هذه الأزمة التي تتسم بالتعسف والظلم. ولقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عنتاً شديداً ولم يجدوا الطعام أياماً وليالي كثيرة وصبر المسلمون. وكان أطفالهم يتضاغون من الجوع. ويسمع بكاءهم من بعيد. وكانت قريش تهدد التجار فلا يبيعون للمسلمين إلا بأثمان عالية جداً فلا يشترون. لأنهم لا يقدرّون على دفع الثمن المبالغ فيه.

الحل

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين على فك هذه الأزمة بالآتي:
- 1) القدوة الحسنة- فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة. لأنه كان آخر من يأكل. وأول من يشبع. وكان طعامه قليلاً جداً.
 - 2) الصبر. فقد تحلى بالصبر. وأمر به. وقرأ على المسلمين "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"⁽¹⁾. فصبروا وتحملوا بعزيمة قوية. وإيمان قوى. وبالصبر. والإرادة ينتصر الإنسان.
 - 3) كان يربط على بطنه حجراً خفيفاً. ويحمد الله. ولم يظهر الضعف أو الوهن أمام المسلمين.
 - 4) كان المسلمون يروا ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من قوة وعزيمة وربط الحجارة على بطنه وهمته العالية. ولجوؤه إلى الله بالدعاء والتضرع فيقتدون به.
 - 5) كان يكثر من اللجوء إلى الله بالصلاة والصيام. عن فناعة ورضا. وصبر جميل. ونحن نعلم ونوقن بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو سأل ربه أن ينزل على المسلمين مائدة من السماء لأنزلها عليهم في حصارهم. فلقد أنزل الله مائدة من السماء لسيدنا عيسى عليه السلام كما أنزل على قوم

(1) سورة الزمر 10

سيدنا موسى عليه السلام - المن والسلوى - لكن الرسول صلى الله عليه وسلم والذين معه ضربوا مثلاً رائعاً في الصبر والتحمل. وكانوا يأكلون ورق الشجر. ولم تهن عزيمتهم. ولم يضعفوا أبداً. وكان الصبر هو السلاح الأقوى لحل الأزمة مع الأخذ في الأسباب والإتصال ببعض الشخصيات المترنة لحل الحصار. وخرج المسلمون من الحصار وهم أقوى عزيمة وثقة في الله، إن بعض الدول الكبرى عندما تهدد بعض الدول الصغرى بالحصار الإقتصادي فتضعف إرادة قادة الدولة الصغرى ولو أنهم درسوا نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدوا الحل بوضوح. ولم تتمكن الدول الكبرى من فرض هيمنتها على الدول الصغرى. وربطها في فلکها. لذلك نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى الإقتداء بالنبي المصطفى الأمين. وخرج المسلمون من هذه الأزمة الخانقة. وهم أصلب عوداً وأقوى عزيمة وأشد بأساً. وكانت عناية الله معهم. فأمدهم بالعزيمة. بينما أثلّف كتاب أعدائهم. وقبض رجالاً تصدوا لقومهم وأجبروهم على الرضوخ لحل الأزمة. وخرج المسلمون من الحصار نورهم يسعى بين أيديهم.

الأزمة فى الفكر الإسلامى

لا شك أن المسلمين فى بداية الدعوة الإسلامية تعرضوا لصنوف متنوعة من التعذيب. ثم كان الحصار الإقتصادى والإجتماعى والسياسى وكان المسلمون - بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم يفكرون فى تحقيق نصر. وحل لأزمات التى يتعرضون لها مع حماية العناصر البشرية من أى أذى. وتأمين وسائل المعيشة. ووقف التدهور الخلقى الذى يتولد مع الأزمات وبعدها وعدم الخسائر. ودراسة الأسباب والعوامل النفسية عند المشركين، إنه من المعلوم أن من يسيطر على الاقتصاد. وحركة البيع والشراء. فإنه يتمكن من السيطرة على جميع نواحى الحياة. ولذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة، كان فى أثناء الحصار يأكل قليلاً جداً. وأحياناً يأكل ورق الشجر. لأن المشركين كانوا يغالون فى الأسعار على المسلمين - ونحن اليوم ننظر إلى المسلمين وهم يرمون الطعام الجيد فى النفايات ولو أنهم رشّدوا حياتهم ووضعوا أمامهم ما يكفيهم وتبرعوا بالباقي للفقراء فإنه لن يظهر متسول فى المجتمع الإسلامى. فعلينا أن نتجه إلى سياسة الترشيد وعدم الإسراف. وعدم التبذير لأن هذه الأشياء منهى عنها ونتجه إلى سياسة الترشيد. ونطبقها فى حياتنا العامة. وندرس أسباب الغلاء الذى حل بالمجتمع العالمى. والمسلمين جزء منه فسوف نجد أن الإسراف والتبذير هما السبب المباشر وراء ذلك، ثم قلة الإنتاج وقلة العرض، وكثرة الإقبال على الشراء. إننا نؤمن بالله. وبرسوله صلى الله عليه وسلم. ونؤمن بالقرآن وما جاء فيه. فالقرآن يشرح لنا أن الرزاق هو الله. وأن رزقه وخيره تتالهما البشرية بكثرة ووفرة. إذا هى

أخذت في الأسباب وحسنت علاقتها بالله الواحد. ونقرأ عن ذلك في قوله سبحانه عن أهل الكتاب "ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتتة وكثير منهم ساء ما يعملون"⁽¹⁾ وقال سبحانه عن المسلمين "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون"⁽²⁾.

هكذا يوجه الخطاب إلى أتباع الأنبياء بأن أى أزمة تعرض لكم وتحل بساحتكم فمفتاح الحل من عند الله القادر. ولكن هذا يتوقف على قوة إيمانكم وبقينكم وعزيمتكم وأخذكم في الأسباب والعمل الحاد والإبتكار في أساليب الإنتاج. وقرءوا تاريخ آبائكم وأجدادكم من بداية المجتمع الأول الذى تعرض لكثير من الأزمات. مختلفة الأشكال. وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضع خطط الحلول - إنه من بداية تأسيس الدولة الإسلامية. والرسول صلى الله عليه وسلم يدير أزمات الدولة. بالأساليب العلمية الدقيقة - وما بدأ العالم يفكر فيه من أساليب حديثة. هى نتاج العقول الإسلامية. التى تعلمت الإسلام وقرأت القرآن وتعرفت على سيرة النبي الأمين فلو أن قيادات العالم اتجهت إلى دراسة سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لوجدوا الحلول حتى فى الحروب الأهلية والفتن الداخلية، سنجد الحل لأن أى موقف من حياة النبي صلى الله عليه وسلم رسالة إعلامية موجهة للبشرية كلها لأنه رغم كثرة الأزمات التى يختلقها المنافقون. واليهود. والمشركون. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان دائماً على درجة عالية. من ضبط النفس. وعدم الغضب، لم تتوتر أعصابه أبداً. وهو متماسك في اتران. ولم يفقد ابتسامته أبداً. لقد

كان صلى الله عليه وسلم ذا قدرات فائقة فى حسن التعامل مع الجماهير. والسيطرة على ردود الفعل. والسرعة فى إنهاء الخصومات. والقضاء على المنازعات. وإخماد روح العصبية ووأدها من أول لحظة تظهر فيها. بكل يسر وسهولة وثقة فى الله فى كل حال والعمل بتوجيهات الله سبحانه فى قوله "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"⁽¹⁾.

أزمة السوق

السوق - هو المكان المعين المحدد المعالم يتجمع فيه الناس للبيع والشراء. واليهود هم الذين أنشئوا الأسواق لأنهم يهتمون بالتجارة فى أى شئ ليتمكنوا من وراء ذلك من السيطرة على جمع المال. ويحرصون عليه لتكون لهم السيطرة على الإقتصاد والتجارة. وفى الأسواق يتعاملون بالكذب. والغش. والاحتيال والربا وكسب المال بأى وسيلة. ومبدؤهم الغاية تبرر الوسيلة. فلما مر النبى صلى الله عليه وسلم على السوق فى المدينة. وجد أن اليهود يسيطرون عليه وأن زمام الإقتصاد بأيديهم. وهم يتعاملون بالربا الفاحش. فكان لابد من تغيير الموقف بالتدرج والحكمة. لأن اليهود يختلفون الأزمات. ولا بد من وضع حلول. بحيث لا يكون فيها صدام مع الغير، لذلك فكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى نقل السوق إلى مكان أوسع وصالح لمواجهة التطور ومواجهة الزيادة البشرية وقد تم ذلك. ولم يشعر اليهود إلا وقد انتقل السوق. وبهدوء وأمن، وفى السوق الجديد تم إلغاء الرسوم التى كانت تفرض على الداخل إلى السوق. وحتى لا تكون سبباً فى ارتفاع

(1) سورة الرعد 11

الأسعار. وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم فى وضع قواعد جديدة تدعيماً للتعامل على منهج الإسلام مثل:

(1) منع احتكار السلع وتخزينها للعمل على غلاء الأسعار فنهى عن ذلك فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم "بئس العبد المحتكر. إن أرخص الله الأسعار حزن. وإن أغلاها فرح"⁽¹⁾. فالمسلم يقيم التوازن. بيعاً وشراءً. ويجب للناس ما يحب لنفسه. ولا يخزن البضائع أبداً.

(2) لذلك وروى "الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله. والمحتكر من سوقنا كالملحد فى كتاب الله"⁽²⁾ فالمسلم فهو يجتهد أن يجلب للسوق أجود البضائع رخيصة الثمن. والناس فى حاجة إليها.

(3) فقد روى "من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والإفلاس"⁽³⁾.

(4) وروى "من دخل فى شئ من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله تبارك وتعالى أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة" هذا الحديث رواه الإمام أحمد وفى رواية الحاكم "كان حقاً على الله أن يقذفه فى جهنم. رأسه أسفل". لهذا فإن المسلم يتعامل بالمروءة. والرفق. والإحسان.

ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم نظم السوق بحيث لا يكون هناك احتكار للبضائع وتخزينها لدى التجار حتى إذا زاد السعر وغلا. بدأ التاجر فى طرح ما لديه بالسعر الذى يرضيه" ونحن نؤمن بأنه لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب" وهذا أسلوب اليهود. لكن المسلمين لا يقرون هذا أبداً. لإيمانهم بأن الله فى عون العبد. ما دام العبد فى عون أخيه...

(2) رواه الحاكم مرسلأ

(4) سورة النور 37

(1) رواه الطبرانى والبيهقى

(3) رواه الإمام أحمد

نظرة المسلم إلى السوق

لابد للناس كلهم من الدخول إلى السوق للبيع والشراء لكن المسلم له أخلاق نبيلة يتعامل بها من الناس كلهم العدو كالصديق أهمها- الصدق عدم الحلف. لا يبيع بدمتين وإنما كلمة واحدة- عم الغش. بيان ما فى السلعة من عيوب لأن الله سبحانه يقول عن المسلمين. "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار"⁽¹⁾ إن الأسواق هي "شر بقاع الأرض إذا دخلها الإنسان. وهو طامع. مضمّر الغش. يحتكر الأصناف القليلة ليغلى السعر لا يبالي بحاجة الناس. يحلف بالله كاذباً. لذلك كان شر الناس أولهم دخولاً للسوق وآخرهم خروجاً" لماذا؟ لأن الشيطان يحرش بين الناس. ويدفع بهم للحلف بالأيمان الكاذبة. لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تكن أول من يدخل السوق. ولا آخر من يخرج منها. ففيها باض الشيطان وفرخ"⁽²⁾.

ولما كانت أبغض الأماكن إلى الله- الأسواق- لما فيها من غش ونقص للكيل والميزان والحلف بالأيمان- تالله- وبالله. والطلاق. وغير ذلك. جاء عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله "شر المجالس الأسواق والطرق. وخير المجالس المساجد. فإن لم تجلس فى المسجد فالزم بيتك"⁽³⁾ وفي قوله صلى الله عليه وسلم "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق- ولا آخر من يخرج منها. فإنها معركة الشيطان. وبها ينصب رأيتة"⁽⁴⁾

(2) رواه الطبرانى

(4) رواه البيهقى، والترمذى

(6) رواه الحاكم

(8) رواه مسلم

(1) رياض الصالحين للنووى رقم 1842

(3) رواه مسلم

(5) رواه الطبرانى

(7) رواه ابن ماجه

(9) رواه السيخان

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن أطيب الكسب كسب التجار - الذين إذا حدثوا لم يكذبوا. وإذا ائتمنوا لم يخونوا. وإذا وعدوا لم يخلفوا. وإذا اشتروا لم يذوقوا. وإذا باعوا لم يطروا. وإذا كان عليهم لم يَمَطُّوا. وإذا كان لهم لم يعسروا"⁽¹⁾. وفي حديث آخر "أفضل المؤمنين رجل سمح البيع سمح الشراء. سمح القضاء. سمح الاقتضاء"⁽²⁾. وقوله عليه الصلاة والسلام "لا يحل لأحد يبيع شيئاً إلا بين ما فيه. ولا يحل لأحد يعلم ذلك إلا بينه"⁽³⁾ وقوله "من باع عيباً ولم يبينه لم يزل في مقت الله. ولم تزل الملائكة تلعنه"⁽⁴⁾ ويقول

عليه الصلاة والسلام "إياكم وكثرة الحلف في البيع. فإنه ينفق ثم يحق"⁽⁵⁾ - ويقول عليه الصلاة والسلام "الحلف منقفة للسلعة ممحقة للبركة"⁽⁶⁾.

ولقد أقام المسلمون نوعان من التفتيش على الأسواق والمراقبة للأسعار. وقد علمهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. فقد مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاماً. فسأله - يا صاحب الطعام - أسفل هذا مثل أعلاه؟ فقال نعم. يا رسول الله. فقال - من غش المسلمين فليس منهم"⁽⁷⁾ كذلك لا يجوز للمسلمين أن يغشوا غيرهم ممن يخالفونهم في العقيدة. ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم في حق أهل الذمة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا. فغشهم في البيع والشراء أو في أى تعامل حرام لأن الإسلام دين أخلاق قيمة. أخلاق عظيمة ومثل رائدة غيرت ما نشره أعداء الإنسانية الذين اتسموا بالأنانية وروج له من ليس لديهم دين. ولا عندهم أخلاق. هذه القيم الأخلاقية التي تعایش بها الناس أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ضربت فيها الأمة الإسلامية مثلاً علياً في العمل التجارى ومن خلال تمسكهم بهذه المثل نشروا الإسلام. وقد

أثنى عليهم حتى أعداء الدين. لأن القيم الأخلاقية جعلتهم يتسمون برحابة الأفق - وحسن التعامل مع الناس كلهم. ولذلك حافظوا على حضارات الأمم. وخالطوهم على اختلاف مذاهبهم الفكرية. والفلسفية.

ويتبين لنا

أن الرسول صلى الله عليه وسلم نظم السوق ليقوم اقتصاد الأمة على دعائم قوية أهمها:

- 1) تحريم الغش. وعدم التدليس. وعدم بيع أى شئ انتهت صلاحيته.
- 2) عدم التعامل بالربا. وتحريمه.
- 3) عدم الحلف. بالله أو بالطلاق لترويج أى بضاعة.
- 4) عدم المغالاة فى الكسب.
- 5) عدم الاحتكار لأى بضاعة- لأن اللعنة تلاحق المحتكر.
- 6) عدم شراء الحاجات المسروقة- ففى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم "من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد شارك فى عارها وإثمها"⁽¹⁾ وعدم بيع أى شئ مجهول المصدر.
- 7) التيسير فى البيع والشراء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء"⁽²⁾ ويقول "من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله"⁽³⁾.
- 8) المراقبة- والمتابعة- والتفتيش- وعدم فرض رسوم- من باب التخفيف وعدم رفع الأسعار.

(1) رواه الطبرانى

(2)، (3) رواه البخارى

(4) رواه مسلم

9) رعاية ظروف الناس - وأن تكون كلمة التاجر على ثمن السلعة واحدة. حتى لا يجره ذلك إلى الكذب. والحلف. ويجره ذلك إلى التلاعب والضحك على السذج من الجمهور.

إن التجارة فيها الخير والبركة وتسعة أعشار الرزق فيها. إذا التزم التاجر بالصدق. والأمانة وعدم المغالاة ففي الحديث "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"⁽¹⁾. وبهذا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبواب الخير. ووجه المسلمين إلى فن التجارة لأهمية ذلك لصالح المسلمين ولتعاملوا بالرفق وحسن الخلق. وعلمهم أصول فن البيع والشراء. واليوم يتحالف أعداء الإسلام لسحب بساط الجودة والإتقان في التجارة والصناعة من تحت قدم المسلم. فلننتبه لما يراد لنا ويخطط في الظلام ضدنا نحن المسلمين. وعلينا أن نعود إلى الله ونلتزم بالأخلاق لأنه:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهموا

لم بين ملك على جهل وإقلال.

(1) رواه الترمذى

أزمات الهجرة

الشيء الذى لا يختلف عليه أحد- أن حب الوطن من الإيمان. لكن قد يُكره الإنسان ويجبر على ترك وطنه. وهو محب له. ويعيش فى غربته وهو يتمنى العودة إليه وهذا ما حدث مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن هذه أزمة. ولا بد من حلها- مع مراعاة وضع البدائل المتاحة. واختيار الشيء الملائم إلى حل الأزمة وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم دوراً لكل فرد من المشاركين فى الهجرة. ونبههم إلى الملائمة عند حدوث أمر يتطلب تغيير الموقف. مع اختيار الوقت المناسب للخروج إلى الهجرة. ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم فكر فى الهجرة من مكة- إلى- يثرب- بعد البيعة الكبرى للأَنْصار فى العقبة فى موسم الحج بعد البيعة الثانية- لأن بعدها اشتد إيذاء المشركين- فضيقوا على المسلمين بعد أن حاصروهم وقاموا بتعذيبهم. والتفريق بين الرجل وأهله. وحبسهم وسلب أموالهم. لكل هذه العوامل اتجهت فكرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإذن لأصحابه بالهجرة. كان فى بادئ الأمر أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة. وبعد بيعة العقبة الثانية استقر الأمر أن تكون الهجرة إلى يثرب. وهذه أزمة خطيرة جداً لأن المشركين وضعوا خطة لإراقة دم النبى صلى الله عليه وسلم- حيث اجتمع المشركون فى مؤتمر عقد فى دار الندوة- وانتهى الأمر أخيراً على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ويعطى كل شاب سيفاً صارماً. ثم يقوموا جميعاً بضربة تقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقت واحد بأيديهم جميعاً- وحتى لا يستطيع بنو هاشم على محاربة القبائل فيقبلوا الفدية

ويرضوا بها. وكان المؤتمر قد عقد سراً فلم يعلم به أحد. لكن الله مطلع عليهم وعليهم بكل شئ ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وصدق الله العظيم "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (1) ولذلك بعد انتهاء المؤتمر وقبل أن يخرج الناس من دار الندوة جاء الوحي يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث بالتفصيل يقول الله سبحانه "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله. والله خير الماكرين" (2). كيف يواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأزمة الخطيرة جداً وكذلك توابعها. حتى يستطيع أن يبني دولة. يتعلم قاداتها من الزعيم العظيم والنبي المرسل. أسلوب مواجهة مثل هذه المشاكل. والأسلوب الذى انتهجه النبي صلى الله عليه وسلم. كان كالاتى:

(1) تخطيط دقيق لكل مرحلة من مراحل الهجرة إلى يثرب ولماذا تم اختيار يثرب.
(2) إسناد كل دور إلى شخصية معينة يتم اختيارها بدقة مع تحديد المهمة.

(3) كيف واجه الرسول صلى الله عليه وسلم أزمة الإسكان.

(4) " " " " " " " " أزمة البطالة.

(5) " " " " " " " " أزمة المواصلات.

(6) " " " " " " " " أزمة الطعام.

إنه من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. عرف أن قومه سيخرجوه من بلده فى الأيام الأولى لنزول الوحي عليه- قبل أن يعرف أى شخص بنبوة النبي المصطفى الأمين (وذلك أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم حبب إليه الخلاء. فكان يخلو بغار حراء. فيقيم فيه الليالي ذوات العدد. ثم يرجع إليه فيتزود لمثلها. يتحنث بحراء ففاجأه الوحي في شهر رمضان. وبعد أن تلقى النبي صلى الله عليه وسلم أول آيات نزلت عليه. وتلقاها من أمين الوحي جبريل عليه السلام. رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته. يرحف فؤاده. فأخبر زوجته السيدة العظيمة "خديجة بنت خويلد" وقال لها. لقد خشيت على نفسي. فثبته. وقالت له. أبشر. والله لا يخذيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم. وتصدق الحديث. وتحمل الكل. وتعين على نوائب الدهر" (1) ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به "ورقة بن نوفل" وكان ابن عم السيدة خديجة. وكان قد تنصر في الجاهلية. وكان يكتب العبراني. فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمى. فقالت له سيدتنا خديجة. يا ابن عم. إسمع من ابن أخيك فقال له ورقة- يا لبن أخى. ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال ورقة. هذا الناموس (إى جبريل) (أو الوحي) الذى نزل على موسى. يا ليتنى فيها جذعاً (شاباً قوياً) ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه. أو مخرجى هم؟ قال نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودى. وإن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ" (2). فالهجرة فى فكر النبى صلى الله عليه وسلم من أول لحظة. وبعد ما يقرب من ثلاثة عشرة سنة يبدأ التنفيذ. وهنا بدأ التخطيط. وبدقة.. ونلاحظ أنه قبل الهجرة وقع حادث الإسراء والمعراج. وهذا الحدث تم بسببه تمحيص الصف الإسلامى من الشخصيات الضعيفة. لأن ضعاف الإيمان لم يصدقوا بما حدث به النبى النبى صلى الله

(1) امتاع الأسماع المقريزى ج 1 ص 14 وما بعدها

(2) فقه السير النبوية/ د/ محمد سعيد البوطى ص 62 وما بعدها

عليه وسلم من رحلته الأرضية وعروجه إلى السماء. واختراقه سماء بعد سماء إلى أن بلغ سدرة المنتهى ورأى. وشاهد. فضعاف الإيمان نكصوا على أعقابهم. لأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم. وكان هذا الحدث بمثابة تقوية الصف الإسلامي من الشخصيات الضعيفة. لأن الهجرة هي التي يمارسها الأقوياء. وصدق الله العظيم (ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحص الكافرين⁽¹⁾) وكل ذلك دروس علينا أن نستفيد منها. والهجرة كذلك لم تكن هروباً من العذاب. والإستهزاء - لا - وإنما كان الغرض منها - إقامة مجتمع جديد. فى بلد آمن. يحمل راية السلام. والدعوة إلى التعايش السلمى مع كافة الناس. وإن اختلفت عقائدهم - نعم - لأن الله دعانا إلى نشر العدل. وإقامة الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. والحج إلى بيت الله الحرام وأن نتعايش مع من لا يؤمن بعقيدتنا بالإحسان فلا أجبره. ولا أكرهه على إعتناق الإسلام لأن الله الخالق هو الذى نبهنا إلى ذلك بقوله سبحانه "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي"⁽²⁾ وقوله سبحانه و"قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"⁽³⁾. ثم يؤكد الحق سبحانه على ذلك بقوله المسلم الحق. هو من يتعايش مع من يخالفه فى العقيدة بما علمه الله "لكم دينكم ولى دين"⁽⁴⁾. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النبى. الهادى. والقائد. وهو سيهاجر. لذلك أصبح فرضاً على كل مسلم أن يهاجر ليسهم ويشارك فى بناء الدولة التى يقود خطاها نبى يؤيده الوحى. والذى عرفه العالم بأنه الصادق الأمين.

(2) سورة البقرة 256

(4) سورة الكافرون 6

(1) سورة آل عمران 171

(3) سورة الكهف 29

(5) سورة البقرة 87

خطورة الموقف

كان الموقف في مكة قد ازداد سخونة- خاصة وأن قريشاً عرفت بأمر مبايعة أهل يثرب الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بايعوه عن يقين ومعرفة لأن عندهم علم بهذا النبي وزمان بعثه من اليهود الذين كانوا يعلنون أن رسولاً آن الأوان لمبعثه وهم سيتبعوه ويطردون الأوس والخزرج من يثرب لتكون لهم وحدهم لأنها بقعة مباركة. لكن اليهود كما يقول ربنا سبحانه وهو يوجه الخطاب إليهم "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون"⁽¹⁾ وقال سبحانه "ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين"⁽²⁾ إنه بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية. وبها يعتبر أن الداعي الأول- قد نجح في فتح منفذ جديد. وببصيرته. وبعد نظره تأكد له أنه نجح في تأسيس وطن للمسلمين. يجدون فيه الأمن. ويستطيعون ممارسة شعائر دينهم في جو آمن للمسلمين غير مكة. وبين للمسلمين أن شخصيات من أهل يثرب يدينون بدينهم. وهذا هو أعظم كسب حصل عليه نبي الإسلام في هذا الجو الملتهب الملئ بشياطين الإنس. ولقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين الذين يعذبون بمكة بالهجرة إلى يثرب "الوطن الجديد لأن الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت عواطف الحب لله ولرسوله في أحاديثهم. والولاء والتناصر بينهم وبين المسلمين في مكة. وعندهم شجاعة واستبسال في الدفاع عن الدعوة. وثقة في الله ورسوله لا حدود لها. كانت تجيش في صدورهم مشاعر الود

لإخوانهم فى مكة. بينما عندهم غضب على المشركين الذين يعذبون المؤمنين. وكانت هذه المشاعر والعواطف والحب نتيجة للإيمان بالله ورسوله وبكتابه. وتلحظ أن ثمرة هذا الموقف ظهرت عندما وصل المسلمون إلى يثرب. فقد سجل أهل يثرب على جبين الزمن أعمالاً ليس لها نظير فى الماضى - ولم يشهد المستقبل مثيلاً لها. كذلك نرى أن المسلمين فى مكة كانوا يعرفون أن الهجرة قد يكون فيها إهدار المصالح. والمهاجر يسير إلى مستقبل مبهم غير معروف لا يدري أحدهم ما تسفر عنه الأيام. ثم التضحية بالأهل. والمال. مع العلم أنه مستباح الدم. قد يهلك فى أول الطريق. أو آخره. فالاعتماد على الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً إن فضل الله عظيم فقد هياً المناخ العام لتكون الهجرة فى وسط هذه المعمة المتخمة بالأزمات والتحرش والصعاب وتنتج هذا النجاح لتتم الرسالة. ويعم نورها. فى الآفاق. وتتكون دولة. فيها الحب والتعاون والإخلاص والوفاء. وكل القيم النبيلة وقائدها قال الله سبحانه له " وإنك لعلى خلق عظيم" (1).

يثرب

تكررت القبائل العربية وفى مقدمتهم قريش للدعوة الإسلامية وهم أعرف الناس بالداعى العظيم. ومع ذلك ناصبوه العداة لكن الحق سبحانه هياً قبيلتين من يثرب هما الأوس والخزرج. شرح الله صدورهم للإسلام. لذلك أحبوا الإسلام. وآمنوا مع قومهم بالرسالة. والمعروف عن أهل يثرب أن الله طبعهم على رقة العاطفة. ولين الجانب. وعدم التعالى. وليس من طبعهم التكبر. أو جحود الحق. لأنهم هاجروا من اليمن إلى يثرب بعد خراب سد مأرب سنة

120 ق.م. وأهل اليمن كما يؤخذ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرق أفئدة وألين قلوباً" ومن حكمة الله سبحانه أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار يثرب لتكون داراً للهجرة. ومركزاً للدعوة. لأن الله سبحانه أراد بأهلها خيراً لأسرار يعلمها الله سبحانه. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله "إني رأيت دار هجرتكم. ذات نخل بين لابتین. وهما الحرتان. فهاجر من هاجر إليها"⁽¹⁾ وكان الأوس والخزرج. ألفوا الحرية. فهم لم يخضعوا لمستعمر ولم يدفعوا إتاوة لأحد. وعندهم إباء. وقوة. وفروسية⁽²⁾ جاء فى العقد الفريد "ومن الأزدي. وهم الأوس والخزرج. وهم ابنا حارثة بن عمرو بن عامر. وهم أعز الناس أنفسا. وأشرفهم همما. ولم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك"⁽³⁾ كما كان بيثرب بنو عدى بن النجار. وهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم. كان سكان يثرب كجسد واحد يصلون الأرحام. ولها حساب كبير عندهم. ولم يجد الشيطان سبيلا إلى قلوبهم لإثارة الفتنة. أو إثارة النخوة العصبية الجاهلية رغم الحرب التي يشعل نارها اليهود لكن سرعان ما يعود الصفاء بينهم. لهذا كانت مدينة يثرب أصلح مكان هياه الله سبحانه لهجرة رسوله صلى الله عليه وسلم. واتخاذ يثرب دارا وقرارا. وتأخي المسلمون على أرضها أخوة لم تعرف الدنيا لها مثيلاً. ولهذا قال الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم "هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم. لو أنفقت ما فى الأرض ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم"⁽⁴⁾، والرسول صلى الله عليه وسلم هياً قلوب الأوس والخزرج

(2) يراجع ابن هشام ج 1
(4) سورة الأنفال 62-63

(1) رواه البخارى
(3) العقد الفريد لابن عبد ربه ج 3

ليستقبلا الطليعة الأولى من الذين تربوا في مدرسة النبوة، وبسواعدهم ستقام الدولة الأولى لأصحاب العقيدة الصحيحة من المسلمين الأوائل.

التحرك من مكة

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف المسلمين أنهم سيذهبون إلى يثرب. وأكد على ذلك بقوله "إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا إرسالا. ولم تكن الهجرة شيئاً هيناً سهلاً - لا - لأن قريشاً لن تطيب بها نفساً لذلك كانوا يضعون العراقيل أمامهم لمنعهم من الهجرة. فكان المهاجرون منهم. من يترك ما له ويتنازل عن كل شيء - كصهيب الرومي. ومنهم من أخذوا منه زوجته وولده. فهاجر وتركهم كما فعل أبو سلمة. وغيرهما كثير. ذلك لأن مكة ضيقت على المسلمين. فضاقت على المسلمين الأرض بما رحبت. والوطن غالٍ وعزيز. فكان حب الوطن يجرى في عروقهم مجرى الدم ولكن ومع هذا لم يمنعهم ذلك من مغادرة الوطن. ومفارقتة وترك السكن استجابة لداعي الخبر والإسلام الذي خطط وبدقة لكل حركة أو سكنة من المسلمين، ولذلك نجحت الهجرة.

ولقد فتحت يثرب أبوابها. وقبل ذلك قلوب أهلها. وهي باسمه الثغر. ترتدى لباس الفرح والفخر. تستقبل الرعيل الأول الذي تحمل من العذاب ما لم يتحملة أحد. وكان الصبر كأسهم فوفاهم الله أجرهم بغير حساب، وهياً هذه القلوب لأن تستقبل هذه الصفوة المباركة من خير رجال الدولة الذين حملوا راية الإسلام وحافظوا عليها، رغم القسوة في المعاملة والفظاظة في العشرة والعذاب الذي تحملوه رغم شدته وقسوته.

تعبية أهل يثرب لأهل مكة

كان سكان يثرب يتبعون قريشاً في العقيدة الدينية. وكانوا ينظرون إلى قريش كسدنة للبيت الحرام. وقادة في الدين. وقدوة في الإعتقاد. يعبدون الأصنام التي تعبدها قريش. وكان سكان يثرب يعظمون "مناة" وكان تعظيمهم لها أشد من تعظيم قريش التي عدت الأصنام. وكانت قريش تعترف بشرف الأوس والخزرج وكانوا يتزوجون منهم. وكانت يثرب بطبيعتها أرض زراعية حيث كان أهلها يعيشون على الزراعة. فكانت بها جنات النخيل والأعناب. والحبوب. والبقول. وكان اعتمادهم على ماء المطر. كما كانت ييثرب حركة تجارية. لكنها لم تكن كأهل مكة في التنوع التجارى.

لقد هاجر المسلمون إلى هذا البلد الطيب أهله. تسللوا في ظلام الليل يخرجون فرادى ثم يجمعهم الطريق. إلا سيدنا عمر بن الخطاب لما أراد الهجرة. تقلد سيفه. وحمل قوسه. وجمع السهام ومضى نحو الكعبة. والمالاً من قريش بفنائها. فطاف بالبيت سبعا. وصلى في المقام. ثم خاطب المشركين فقال لهم "شاهت الوجوه. من أراد أن تثكله أمه. أو ييتم ولده. أو ترمل زوجته فليقننى وراء هذا الوادى. يقول الإمام على كرم الله وجهه. فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين الذين هاجروا معه"⁽¹⁾.

(1) أسد الغابة للعلامة عز الدين أبى الحسن ص4

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم قائد- ولا بد أن يطمئن على جميع من معه. لذلك هاجر المسلمون من مكة. والنبى عليه الصلاة والسلام بها يطمئن على كل فرد ويتابع خطاهم حتى اطمأن. وعندئذ جاءه الأمر بالهجرة. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعدّ خطته. وتتلخص فى الآتى:

(1) تكليف من ينام مكانه ليوهم الأعداء أنه بالداخل. ثم يقوم برد الأمانات التى عنده للمشركين. لأنه رغم عداة المشركين فى مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ويستعدون لقتله. إلا أن ثقتهم عظيمة فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فليس هناك أحد فى مكة عنده شئ ثمين نفيس له قيمة. ويخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - لماذا؟- لثقتهم فى أمانته. وصدقه ووفائه حتى مع أعدائه. فكانت الودائع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً. ولم يحاول أن يعرض أصحابه منها. رغم أن بعض الذين يحملون السيف ليشارك فى قتله ويقف فى صفوف المتآمرين له أمانة بالداخل. ولا يخاف عليها لأن الأمين لا يخون أبداً تحت أى مسمى. فكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا على بن أبى طالب لينام مكانه. وعرفه بالودائع وذكر له أصحابها وأمره بردها. يا سبحان الله. الموقف رهيب. والأزمة صعبة جداً. الشباب يقفون على الباب. معهم أبو جهل، وأبو لهب، وأمىة بن خلف، وعقبه بن أبى معيط، وغيرهم أشخاص أكثر من ثلاثين شاباً من قبائل متعددة. والنبى صلى الله عليه وسلم يراهم ومع ذلك يعرف الودائع لسيدنا على- ويأمره بردها. من يقدر على هذا الموقف:

الأنبياء، لأنهم قدوة حسنة، وهذا العمل الرائع الرائد من نبي أمين صادق يُعلم الناس أجمعين بأن الإيمان ليس بالتمنى ولكن ما وفر فى القلب وصدقته العمل.

2) كان المشركون يحيطون ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متيقظين ينتظرون ساعة الصفر. لكن الله غالب على أمرهم. لأنه مع تخطيط المشركين الدقيق إلا أنهم فشلوا فى هذه اللحظة الحرجة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واخترق صفوفهم. ثم أخذ حفنة من التراب. ورمى بها فى وجوه الشباب والأكابر من قريش. وكان النبی صلى الله عليه وسلم يتلو قول الله سبحانه "يس. والقرآن الحكيم - إلى قوله سبحانه - فأعشيناهم فهم لا يبصرون"⁽¹⁾ وكان تخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتجه مع سيدنا أبى بكر رضى الله عنه إلى غار بجبل ثور - وهو جبل بأسفل مكة. من ناحية الجنوب على بعد خمسة أميال وهو جبل عال جداً وعر الطريق. ذا أحجار كثيرة. صعب المرتقى. وكان النبی صلى الله عليه وسلم يمشى على أطراف أقدامه - كى يخفى أثره. فحفيت قدماه ودميت. وقد حمله سيدنا أبو بكر رضى الله عنه - إلى أن بلغ الجبل حتى انتهى به إلى الغار. ودخل سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ليطمئن بأنه ليس به شئ يؤذى النبی صلى الله عليه وسلم. ودخلا الغار وكانت قريش تبحث فى كل مكان. بعد أن عرفوا أنه خرج من بين أظهرهم ورمى بالتراب على رؤسهم ووجوههم. وقد وصلوا إلى غار ثور وأحاطوا به. وبكى سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. لأنه رأى المشركين وعرفهم. وقال يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال له النبی صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. وكان

(1) سورة يس 1-9

"كرز بن علقمة" وهو خبير بآثار الأقدام - قد تتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم. لكن الله سبحانه بقدرته ومشيبته أرسل العنكبوت فنسجت خيوطها. وعششت حمامتين على باب الغار. لذلك رجعوا خائبين وأعلنوا أن من قتل محمداً أو أبو بكر فله مائة من الإبل. مع دفع دينه"⁽¹⁾. هناك من ينكر هذا ونحن نقول لهم بمشيبته الله حمته في الغاز ولا ينكر ذلك أحداً أبداً - والله لا يعجزه شيء - وما يعلم جنود ربك إلا هو.. إن الرسول صلى الله عليه وسلم استنفذ قدراته فتدخلت عناية الله، لأنه سبحانه مع الذين اتقوا وهم محسنون.

(3) هذه لحظات من أدق اللحظات التي مرت بها الإنسانية. وهي حاسمة فاصلة. لقد حبست الإنسانية أنفاسها. ووقفت خاشعة تنتظر. فإذا بالمشركين عادوا خاسرين خائبين. لأن الله سبحانه هو القائل "فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها"⁽²⁾ الرسول صلى الله عليه وسلم سيمكث في الغار - ثلاثة أيام - فلا بد أن يكون على علم تام بما يتحدث به الناس في مكة ليتعرف على الاتجاهات. وما رأى رجل الشارع ورواد النادى والعمار لبیت الله.. وقد كلف بهذه المهمة الإعلامية شخصية لها كفاءة وقدرة. واستيعاب. وصدق في النقل. وأمانة في العرض. فكلف "عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما. لهذه المهمة. وقد أداها على أحسن وجه. فكان يمضى نهاره بين أهل مكة. وفي شوارعها. يسمع ما يقولون. في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبيه ثم يذهب بالليل إلى الغار. فينقل بدقة وحصافة ما دار طول النهار بين قریش وغيرهم"⁽³⁾.

(1) يراجع في ذلك. امتاع الأسماع للمقريزى، وسيرة ابن هشام ج2. ورواه الحافظ بن عساكر عن جماعة من الصحابة
(2) سورة التوبة 40
(3) ابن هشام ج2 بتصريف
(4) سيرة ابن هشام ج2

4) المدة التي سوف بقضيتها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سيدنا أبو بكر فى الغار - ثلاثة أيام يحتاجان فيهم إلى الطعام والماء فهل غاب عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطط لا. فقد تم تكليف السيدة/ أسماء بنت أبو بكر رضى الله عنهم تسميهما كل ليلة بالزاد والماء وبما عسى أن تكون قد سمعته أو رآته من حديث القوم وغيرهم⁽¹⁾ وأسماء صبية أمثالها يفدون إلا ملاعبهم - ويأوون إلى صدور أمهاتهم وتحملت مسئولية يعجز أشد الرجال وأبطالهم أن يقوموا بها. وهى فى كل ليلة تقطع ثلاثة أميال فى جوف الليل. ووحشة الطريق. ماشية حذرة متخفية مترقبة. تصعد إلى الجبل. وتحد من منه. بين أسنة الصخر. والرمال الناعمة. أى قلب هذا الذى تحمله؟ إنه القلب الذى أمده الله باليقين الصادق. والعزيمة القوية.

5) عبد الله بن أبى بكر. وأخته أسماء يذهبان فى كل ليلة إلى الغار. ولو أن المشركين ترصدهما لعرفوا مكان من يبحثون عنه. لكن الذى خطط للخروج من هذه الأزمة الصعبة لم ينس ذلك. فكلف عامر بن فهيرة - وهو عبد مملوك لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه أن يتتبع خطاهما كل ليلة. بالغنم يرهاها لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه فيتم محو أثر الأقدام. فكر ناضج. وبعد نظر. واستشعار الواقع. مما يدل على أن وحى السماء يلهم النبى المصطفى ويسدد خطاه.

6) أمر خطير أخطر من كل ما تقدم. وهو دليل الرحلة. ذلك لأن الرسول عليه الصلاة والسلام من تخطيطه أن يتحرك على طرق غير مطروقة. حتى لا يتعرف عليه أحد فى الطريق. فيرشد عليه. خاصة وان العرب جعلوا مائة ناقة لمن يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأبى

بكر رضى الله عنه. حياً أو ميتاً. لذلك. اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالدليل فى طريق رحلته. وقد اختار الدليل رجلاً مشركاً هو "عبد الله بن أريقط" ورغم أنه كافر. إلا أنه أمين - مهذب ولذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون الأمين على النبى صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبى بكر رضى الله عنه- وهما فى الغار. إن قريشاً جن جنونها حينما تأكدت أن النبى صلى الله عليه وسلم فلت من يديها. وهى التى خططت ودبرت ورسمت. لكن تخطيط النبى صلى الله عليه وسلم مؤيد من السماء مؤسس على الطهر فهو الناجح. أما المشركون فهم يمكرون. وعند الله ما مكروا.. بعد المكث فى الغار ثلاثة أيام يقول أبو بكر رضى الله عنه. أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قائم الطهيرة. وكان القوم يطلبوننا فلم يدر كنا أحد غير سراقه بن مالك. على فرس له. فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله فقال: لا تحزن إن الله معنا"⁽¹⁾.

كان "سراقه بن مالك" قد عرف الطريق. فحملة الطمع على أن يحصل على المائة ناقة- لكنه ما كاد يقترب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وعثر به فرسه ثلاث مرات. فعرف أن المطلوب مرعى برعاية الله وعنايته. فنادى سراقه. وقال. أنا سراقه بن مالك. أنظرونى أكلمكم. فوالله لا يأتىكم منى شئ تكرهونه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر. قل له ما تريد؟ قال سراقه. تكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك. فكتب عامر بن فهيرة- يأمر النبى صلى الله عليه وسلم. كتابا على عظم أو رقعة"⁽²⁾ ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم- لسراقه- كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟-

(1) صحيح البخارى

(1) سيرة ابن هشام وصحيح البخارى

الأصحاب لابن عبد البر ج2

(2) الاستيعاب فى معرفة

نبي مطارد يتتبع الناس أثره ويعد هذا الوعد؟ نعم. لأن له من الله وعد بالنصر. ولدينه بالظهور. وهو ينظر إلى اليوم البعيد وعنده ثقة قى الله. وأمل. وهو واثق من أن اتباع دينه سوف يفتحون البلاد. ويطأون تاج كسرى- ويحطمون عرش قيصر. ويفتحون خزائن الأرض. ففي وسط هذه الأزمة يتتبأ بهذا؟ نعم.. وتمضى الأيام. وفي عهد عمر بن الخطاب- جئ إليه بغنائم كسرى. ومن بينها- سوارى كسرى ومنطقته وتاجه- ونادى عمر بن الخطاب على سراقاة- أمام الناس فى المسجد. وألبسه إياها⁽¹⁾ كبر المسلمون. وقالوا- صدق الله ورسوله- إن الذى يدرس الهجرة يلحظ أنها أزمات صعبة جداً. لكن عندما يتأمل أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحل الذى انتهجه يتبين له أسلوب الحل وهو سهل ميسر بسبب التخطيط واتخاذ القرار. وإسناد كل مهمة محدودة إلى شخصية معينة لديها قدرة وحركة تفاعل مع الحدث والواقع.

فى يثرب

وصل المسلمون إلى يثرب. ولقد تمت فرحة المسلمين بوصول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان النبى صلى الله عليه وسلم يستقر فى يثرب حتى تحولت إلى مدينة عظيمة منورة بالقرآن. وبالنبى المصطفى عليه الصلاة والسلام. ولكن بدأت الأزمات تظهر وظهرت عبقرية النبى صلى الله عليه وسلم فى الحل. وقد أدرك المسلمون. أن الهجرة ليس الغرض منها التخلص من الفتن. والعذاب. والاستهزاء. وإنما كان الغرض من الهجرة التعاون على إقامة مجتمع جديد فى بلد آمن. وها هم اليوم أمرهم بأيديهم.

وليس عليهم سيطرة من أحد. فعليهم أن يواجهون الحياة بثقة وقوة. لأنه بلا شك لا يمكن تكوين المجتمع بين يوم وليلة. بل لابد من التكامل بالتدرج. مع تثقيف سكانه. مع التربية والتدريب. ولذلك بدأ المسلمون يواجهوا. مسائل المعيشة. وتنظيم الاقتصاد. ويخططون لمسائل الحرب والسلام والشورى والمساواة. وهذا المجتمع الجديد يواجه المسلمون فيه أصنافاً من الناس:

(1) الماجرون

(2) الأنصار

(3) اليهود

(4) المشركون الذين لم يدخلوا في الإسلام. ولا في اليهودية

(5) المنافقون. وهذه فئة جديدة من الناس كونها عبد الله بن أبي سلول بعد

استقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم في يثرب. أعلنوا إسلامهم. وأخفوا الكفر خوفاً على حياتهم. فهم أخطر فئات المجتمع.

وببعد نظر النبي صلى الله عليه وسلم وتأيد الوحي اتخذ أسلوباً قوياً

لمواجهة الأزمة.

مواجهة التفرق - أزمة التفرق

بدأ الأمر بتجميع المسلمين ببناء المسجد لأنه سيكون سبباً في تجميع المسلمين. خمس مرات يومياً فتتلاقى الوجوه. ويسأل هذا عن ذلك مع الإحاطة بأن اليهود من أساليبهم إطلاق الإشاعات. والمنافقون أسوأ منهم. فكان بناء المسجد. فيه القضاء على الإشاعات لأن المسلمين سيلتقون. خمس مرات في اليوم وفي ذلك قطع دابر الفتن والقضاء على الإشاعات ثم إن المسجد ليس مكاناً لأداء الصلوات فقط. ولكنه.

1) أصبح المسجد داراً يسكن فيه بعض فقراء المهاجرين اللاجئين وليس معهم مال. وأطلق عليهم أهل الصفة.
2) مدرسة. يتعلم فيها المسلم أمور دينه. ويتلقى توجيه نبيه صلى الله عليه وسلم.

3) منتدى. يلتقى المهاجرون والأنصار ويجلسون مع بعضهم يناقشون مسائل اجتماعية. وهذا يساعد على إذابة العصبية. والقضاء على النزعات القبلية. وقراءة القرآن لمحو ذكريات الحروب من أذهان المسلمين. والقضاء على فكرة. قتل قاتل الأب. أو الأخ- الأخذ بالتأثر.
4) قاعدة لإدارة شئون الوطن. والتشاور فيما يجب أن يكون عليه الوضع الاجتماعي.

5) أن يكون المسجد برلماناً لعقد الاجتماعات من أعضائه- الركع السجود وتتخذ القرارات التنفيذية. وإسناد الأعمال إلى أهل الخبرة والكفاءات وإبراز القيادات. استعداداً لبناء الدولة الناشئة.

استقبال الوفود الرسمية التي تفد إلى الدولة للتعرف على اتجاهاتها، أن اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناء المسجد أولاً كان من ورائه القضاء على شبه التشكيك وبث الإشاعات. ولقد أصبح المسجد مكاناً للتآلف والتجمع. ومن وراء ذلك تدعيم روح المحبة. والتسامح. والتشاور. ومن فضل الله أن شرع الأذان. والذي دوى في الأفاق بنغمة علوية. تجذب القلوب. وتحيي النفوس. وتستريح الأذن عند سماعه. وكأنه نشيد. يدعو الناس لأداء فرض من الصلوات عمل ابتكاري. فيه خير اجتماعي. ومنهج غير مسبوق. وحل لأزمات متعددة.

المواخاة

تم بناء المسجد. وأصبح يؤدي رسالته. والرسول صلى الله عليه وسلم فى تفكير متواصل. لأنه يريد لأصحابه أن يهدؤا ويستريحوا حتى ينطلقوا إلى عمل يخدم الإسلام. ويعمر دولة. ليتمكن المسلمون من تبليغ الإسلام فى أنحاء العالم- وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقيم التوازن بين كفتى الدولة من المهاجرين. والأنصار. ذلك لأن المجتمع يتكون من أفراد. ليس بينهم صلات قري. والمجتمع كله يومها يعيش على مبادئ القبائل. وهناك تفاوت فى الوضع الاجتماعى. ولا تستطيع السلطة أن تحقق مبادئ العدالة الاجتماعية بين الأفراد. إلا إذا كان هناك رابط من التآخى والمحبة. وهذا هو الضمان الحقيقى للاستفادة من مقومات الحياة- ومن فضل الله وتوفيقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أساس هذه الأخوة- الحب فى الله- والتمسك بالعقيدة الدينية والأخوة من أجل نصر الإسلام وتبليغه. وهذه هى الضمانات التى تجمع اناس ولا تفرقهم. بغض النظر لأى اعتبار آخر. من أجل هذا اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا التآخى أساساً لمبادئ العدالة الاجتماعية.

ماذا تحقق من وراء هذا الإخاء؟

لقد أثمر هذا العمل الإيجابى العظيم- حل الأزمات التى واجهت المجتمع الأول الذى تم تكوينه- وأهمها- أزمة الإسكان.

لم يكن ما أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه- من أخوة لله. وفى الإسلام مجرد شعار. وإنما تحول ذلك إلى حقيقة عملية تتصل بواقع الحياة. لذلك تمت الأخوة. بين شخص من الأنصار. وشخص من المهاجرين.

فكان الأنصارى يأخذ بيد أخيه المهاجر. ويذهب به إلى بيته. يقسمان البيت. والمهاجر هو الذى يختار. وهنا بدأت أزمة الإسكان فى الحل السريع لأنهم سكنوا واستراحوا،

إن نتيجة هذا الإخاء، أن ذابت العصبية الجاهلية. وأن تسقط الفوارق. التى تكون بسبب اللون - أو النسب. أو الوطن فلا يتقدم أحد على غيره. إلا بعمله وكفاءته. وتقواه لهذا رأينا عقد هذه الأخوة نافذا على أرض الواقع. فكانت عواطف الإيثار تمتزج فى هذه الأخوة وان تكون ذات نتائج خير بين هؤلاء. لهذا اقتسموا السكن. وتدرجت مبادئ هذه الأخوة فأصبحوا بها يتوارثون. وأصبح حق الميراث منوطاً بهذا التأخى. دون حقوق القرابة. والرحم. وقد شرع الله هذا الميراث لأن المهاجرين فارقوا أقوامهم. وديارهم. وتركوا أموالهم فى مكة - واستقر بهم المقام فى المدينة. فعوضهم الله بالأنصار خيراً. ولما استقر الأمر للمهاجرين. وتمكن الإسلام فى القلوب. أصبح من المناسب عود أمر الميراث إلى ذوى القربى والأرحام - ونزل قول الله "وأولوا الأرحام بعضهم أولياء بعض" (1).

بدأ رد الميراث - فالمهاجر لم يرث الأنصارى بعد نزول هذه الآية والتى نزلت بعد غزوة بدر.. كان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم. حتى أتى الله عليهم فى القرآن الكريم. فقال سبحانه "والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" (2) لقد هيا الله للإسلام هذه القلوب التى تلاقت على الإسلام. وقد مكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأخوة ليتمكن لهم من

بناء قاعدة إيمانية يعلو صرحها باسم الله القوى المتين الذى ألف بين هذه القلوب حتى صارت شيئاً واحداً. لذلك توارثوا بعد الموت.

أزمة البطالة

الذين هاجروا تركوا أموالهم. وليس معهم شئ. وأصبحوا فى مجتمع جديد. فهل يجلسون بلا عمل؟ طبعاً لا.. فلا بد أن يكون لهم عمل يتعاشون به. علماً بأن الإسلام يعلن نبيه أن "اليد العليا خير من اليد السفلى" ثم إننا ندرك أن المهاجرين لم يستغلوا كرم الأنصار ويطمعوا فيهم. لم يحدث هذا. فهم لم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أو دهم. ونذكر هنا. أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين - عبد الرحمن بن عوف - مهاجر - وبين - سعد بن الربيع - أنصاري - فقال - سعد لعبد الرحمن - إني من أكثر الأنصار مالاً. فسوف أقسم مالى نصفين. بينى. وبينك. ولى امرأتان. فانظر أعجبهما إليك فسمها فأطلقها. فإذا انتهت عدتها فتزوجها. فقال عبد الرحمن - لسعد: بارك الله لك فى أهلك ومالك. أين سوقكم. دنى عليه؟ فدلوه على السوق. فرجع آخر النهار ومعه طعام. ثم تابع الغدو - فجاء يوماً وبه أثر صفرة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم - مهيم؟ يعنى ما هذه الملابس الجديدة - وأثر النعمة؟ قال عبد الرحمن. تزوجت قال - كم سقت إليها؟ قال - نواة من ذهب⁽¹⁾ كما أن الأنصار - قالوا - للنبي صلى الله عليه وسلم "اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل - قال - لا. فقالوا تكفونا المؤنة. ونشرككم فى الثمرة. قالوا سمعنا وأطعنا"⁽²⁾ إن الإسلام دين عمل. وسعى فى مناكب الأرض. حث أتباعه على

(2) صحيح البخارى

(4) كتاب احياء علوم الدين ج 2

(1) صحيح البخارى

(3) رواه ابن ماجه والحاكم

ذلك ورغبهم فى العمل. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الحبل فيحتطب ثم يأتي به فيحمله على ظهره. فيأكل خير له من أن يسأل الناس ولأن يأخذ تراباً فيجعله فى فيه خير له من أن يجعل فى فيه ما حرم الله عليه"⁽¹⁾ فالمسلم القوى فى جسمه. وعقله. ودينه. أحب إلى الله من المسلم الخامل الكسول. الذى يحب أن يجلس فى بيته. ويقول يا رب ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يتاجرون فى البر والبحر ويعملون فى تقليم الأشجار. وتلقيح النخيل. ولهذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق. ويقول. اللهم ارزقنى. فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة"⁽²⁾.

إن الإسلام يدعو الإنسان إلى أن يتعلم المهن والحرف والصنعة ليستغنى بذلك عن طلب عن طلب المساعدة. ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب المؤمن المحترف"⁽³⁾. وعلى الإنسان أن يعمل ويتعب. ويجد. ويبتكر فى أسلوب الأداء. وجود صنعته. ويتقن عمله ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أمسى كما لا من عمل يده أمسى مغفوراً له ذنبه"⁽⁴⁾ إن الله سبحانه لو رزق العباد من غير عمل يتكسبون منه لأصبحوا فى فراغ قاتل ثم لو عاشوا بلا عمل لفسدت طبائعهم - فالذى يعمل بالنهار - يأتي عليه الليل يحب أن يستريح ليسترد قوته والذى لا يعمل - لا يعرف الليل من النهار. ومن رحمة الله بالناس أنه سبحانه خلق الناس متفاوتين. ما بين غنى. وفقير. وجعل الأغنياء محتاجين إلى الفقراء. فى أعمالهم وقضاء مصالحهم. وجعل الفقراء محتاجين إلى الأغنياء لأموالهم

(6) رواه الطبرانى فى الأوسط

(5) رواه الترمذى والبيهقى

نظير أعمالهم. فقد جعل الله رزق هذا على هذا. وما هي إلا وسائل كي يتآلف الناس ويتعاونون ولهذا قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
ولهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "من طلب الدنيا حلالاً استغافاً عن المسألة. وسعياً على أهله. وتعطفاً على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً مرئياً لقي الله وهو عليه غضبان"⁽¹⁾ إن من الأمثال الشعبية. لا تعطنى سمكة. أكلها اليوم ولا أجد من يأتيني بها غدا. ولكن. أعطنى سنارة. ودلنى على طريق البحر. إن العالم الذى يشكو من البطالة عليهم أن يعلموا أن الإسلام. عالج هذه المشكلة برفق لأنه كان يوجه أتباعه أن يغيروا مسار حياتهم. فمن يصنع الملابس لكن الناس انصرفوا عن صناعته. واتجهوا إلى الجاهز فإننا نقول له اتجه إلى صناعة أخرى. فيقول ليس عندى علم. نقول له تدرّب. وتعلم وإذا كانت همّتك متجهة إلى ذلك. فالله معك يمدك بمدده ويوفّقك لأنه سبحانه علّمنا أن ندعوه قائلين "وقل رب زدنى علماً"⁽²⁾ جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. يسأله- يعنى صدقة. فسأله النبي صلى الله عليه وسلم وقال له. أما فى بيتك شئ؟ قال- بلى- جلس نلبس بعضه. ونبسط بعضه. وقعب نشرب فيه. قال. فأتى بهما. فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده- فقال من يشتري هذين؟ قال رجل أنا أخذها بدرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. من يزيد على درهم. مرتين أو ثلاثاً. قال رجل: أنا

(2) سورة طه 114

(4) رواه أحمد

(1) رواه أبو نعيم فى الحلية ج 4

(3) رواه الإمام أحمد بألفاظ قريبة من هذه الرواية

(5) يراجع احياء علوم الدين ج 2

أخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياهما. وأخذ الدرهمين. فأعطاهما الأنصاري وقال. اشتر بأحدكما طعاماً فانبذه إلى أهلك. واشتر بالآخر قدوماً. فأنتى به. فشد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده. ثم قال. اذهب فاحتطب. وكل. ولا أرينك خمسة عشر يوماً. ففعل فجاء. وقد أصاب عشرة دراهم فاشتر ببعضها طعاما. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة. لذي فقر مدقع. أو لذي عزم مقطوع أو لذي دم موجع" (1).. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أى الكسب أطيب؟ قال - عمل الرجل بيده - وكل بيع مبرور" (2). يقول لقمان لولده "يا بني استعن بالكسب الحلال. فإنه ما افتقر أحد إلا أصابه ثلاث خصال. رقة في دينه. وقلة في عقله. وذهاب مروءته. وأعظم من هذه الثلاث. استخفاف الناس به" (3)

فالمسلم لا يعجز أبداً - ولا بد أن يعمل حتى ولو يقوم بصيد السمك. أو بيع أنابيب الغاز. وبلاده تتسع للأعمال الحرة. وتدبير المال يمكن أن يساعده الناس ولو من زكاة أموالهم. حتى نحول الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة. والعمل شرف وكرامة.

أزمة الطعام

من الأزمات التي واجهت النبي صلى الله عليه وسلم عند بدأ تكوين الدولة بعد الهجرة. قلة المؤنة. خاصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر هو وأصحابه. ويثرب بها اكتفاء ذاتي. إذا فلا بد من مواجهة الأزمة بحلول يستطيع كل شخص التعامل معها. وببسر وسهولة.

1) أمر بإكرام الضيف وقد وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحث على إكرام الضيف. والإحسان إليه. ومعاونته. ففي الحديث "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (1).

2) المسلم يقدم لضيفه ما يقدر عليه. فالجود أن تجود بالموجود. مع العلم بأن الله سبحانه يقول "لن تتالوا البر حتى تتفقوا مما تحبون" (2) إن الإيمان بالله يدعو إلى الجود والسخاء والبذل والإنسان يعتقد أنه مخلف عليه لقوله سبحانه "وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه. وهو خير الرازقين" (3).

3) ضرب الله لنا مثلاً بسيدنا إبراهيم عليه السلام عندما جاءه ضيوف لم يعرفهم فذهب إلى قومه وجاء بعجل حنيذ - يعنى مشوى بأحدث الأساليب يومها. ويعنى هذا أنه طيب. جيد. شئ عظيم.

4) ولقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال إنى مجهود. يعنى جائع. فأرسل إلى بعض نسائه "يسأل عن طعام" فقالت. لا والذي بعثك بالحق ما عندى إلا ماء. فأرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك. فقال من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار. فقال. أنا يا رسول الله.. فانطلق به إلى رحله. فقال لامرأته. هل عندك شئ؟ فقالت لا. إلا قوت صبيانى. فقال لها. فعليهم. بشئ. فإذا أرادوا العشاء فنوميمهم. فإذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج. وأريه أنا نأكل "زاد فى رواية" ففعدوا وأكل (4) الضيف وباتا طاويين. فلما أصبحا غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال للأنصارى "قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما".

(2) سورة آل عمران 92

(1) حديث متفق عليه

(3) سورة سبأ 39

(2) رواه الأصبهاني - الترغيب والترهيب ج 3

(1) رواه مسلم

(4) رواه أحمد

(3) رواه أحمد

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة"⁽¹⁾ وفي حديث آخر "لا خير فيمن لا يضيف"⁽²⁾ وعلى المضيف أن يقدم أفضل ما عنده. والضيف لا يصيب ما قدم إليه. فقد دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيدنا جابر. فقدم إليهم خبزاً وخلا. ثم قال لهم كلوا. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الإدام الخل. إنه هلاك بالرجل أن يدخل إليه نفر من إخوانه فيحتقر ما في بيته أن يقدمه إليهم. وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم إليهم"⁽³⁾ هذا هو الأسلوب التربوي الذي يؤلف بين القلوب ويربط بينهم برباط المحبة والرضا والقبول بهذا التعاون. والإيثار. ثم يرغب الرسول صلى الله عليه وسلم في الزراعة وغرس الأشجار المثمرة. ويقول لأصحابه "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة. وما سرق منه له صدقة. ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة"⁽⁴⁾ إن من زرع شجرة. وواظب على رعايتها والقيام بأمرها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها أو ظلها. أو حطبها لزارعها صدقة دائمة إلى يوم القيامة. ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "من غرس غرساً لم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله إلا كان له به صدقة"⁽⁵⁾ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى قال "طعام الواحد يكفي الإثنين. وطعام الإثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية"⁽⁶⁾ وتأملوا في تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه. تربية إيمانية تقوم على الصدق. والإخلاص. وحسن الاتجاه إلى الله سبحانه الذي يعلم السر والنجوى فيقول

(6) رواه أحمد

(5) رواه مسلم

(7) رواه مسلم

لأصحابه "إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو. أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد. ثم اقتسموه بينهم فى إثناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم"⁽¹⁾ إن الكرم يوسع على الكريم الرزق وينعم بسعادة الدنيا والآخرة تكون سيرة الكريم ذكية طاهرة. والجود دليل الثقة فى الله. وانتظار فضله ويدل الجود على أن الإنسان فاهم للواجب عليه ويؤديه بشجاعة وابتسامه الرضا- اطعموا الطعام. وأفشوا السلام. وصلوا الأرحام. وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام..

البخل

هو نقيض الكرم- فالبخيل بعيد من الله. بعيد من الناس- بعيد عن الجنة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيز من البخل. فى الحديث "اللهم إنى أعوذ بك من البخل. والكسل. وأرذل العمر. وعذاب القبر. وفتنة المحيا والممات"⁽²⁾ وفى رواية حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. خلق الله جنة عدن بيده. ودلى فيها ثمارها. وشق فيها أنهارها. ثم نظر إليها فقال لها. تكلمى. فقالت. قد أفلح المؤمنون. فقال وعزتى وجلالى لا يجاورنى فىك بجبل"⁽³⁾

الزكاة

إننا ونحن نستعرض الأزمة التى مرت بالمجتمع الأول بعد الهجرة. يتبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم. لم يترك للظروف أى فرصة إلا ودرسها. وحدد أبعادها. ووضع لها معالم تكون كعلاج واق من هذه الأزمة.

(2) رواه مسلم
(4) سورة البقرة 272

(1) حديث متفق عليه
(3) رواه الطبرانى

ففى أزمة البطالة وأزمة الطعام وجه للعمل وغرس الأشجار. وإكرام الضيف. والكرم. والتحذير من البخل. ثم تأتى الزكاة لتؤدى دوراً عظيماً فى التكافل الاجتماعى والإنفاق فى سبيل الله. ورعاية حق المجتمع. وإشراك الناس فيما أنعم الله عليك به من خير. عائد ذلك كله إلى الإنسان نفسه. مع الزيادة من رب كريم وهو القائل "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم. وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله. وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"⁽¹⁾

لقد عرف المسلمون. أن الامتناع عن إخراج الزكاة مع القدرة. سبيل إلى تهلكة المال. ودخول الأمراض إلى أفراد الأسرة. إن المال وسيلة إلى مرضاة الله. فى ظل إخوة إنسانية. يبنى فيها الإسلام مجده على التعاون. والتراحم لأن شرف الوسيلة من شرف الغاية. وتوجيه المال إلى الطرق التى حددها الله سبحانه. اعترافاً من الإنسان بأن المال مال الله. والإنسان مستخلف فيه. يتصرف فيه وفقاً لمنهج مالكة وصاحبه الذى يقول سبحانه "ولا تحسبن الذين يبخلون لما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة"⁽²⁾ إن الشيطان يتربص بالمسلم يريد أن يمنعه من إخراج الزكاة. ويهمس فى أذنه بأن مالك إن أخرجت منه الزكاة سوف ينقص. ولن تستطيع أن تزيد فيه بعد ذلك أبداً. وسوف تفتقر. ثم يهمس. أنت ستعطى مالك. لفلان. يا أختى ربنا عايز له كده. أنت هتخالف أوامر الله الذى لو شاء لأغناه. يبين الله لنا هذه المواقف فيقول سبحانه "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء. والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم"⁽³⁾ ويحدثنا ربنا جل

(2) سورة البقرة 268
(4) رواه أبو داود فى المراسيل

(1) سورة آل عمران 180
(3) سورة يس 47
(5) رواه البزار

جلاله عن فئة يمتنعون عن إخراج الصدقة أو دفع أى شئ إلى الغير وقالوا كما ورد فى القرآن الكريم "وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين"⁽¹⁾.

إن الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام. وعبادة من عباداته. ودعامة من الدعائم الخمس التى قام بناء هذا الدين - ومنكر الزكاة كافر. ومانعها آثم لأنها تكليف اجتماعى. شرعها الله تركية للنفوس. وتطهيراً للمال. وتطبيباً لقلوب الفقراء. ونزع الحقد والحسد من نفوسهم. لأن الزكاة حق معلوم. للسائل والمحروم وهذا النظام فيه من التكافل الاجتماعى ما يجعل الفقراء يحسنون الظن بالله سبحانه فلا تتطلع أعينهم إلى أموال الأغنياء يسرقونها. أو ينهبونها أو يفسدونها. والزكاة نظام إسلامى لم يسبق بنظام يشبهه. إنه يقرب بين الطبقات ويؤلف بين القلوب. والزكاة فرض عين على كل من توفرت لديه - الملكية - والنصاب - وأن يكون فاضلاً عن حاجاته الضرورية. وحال عليه الحول. ومن مات وعليه زكاة أخرج ورثته الزكاة من ماله قبل توزيع التركة فى الحديث حصنوا أموالكم بالزكاة - وداووا مرضاكم بالصدقة. واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع"⁽²⁾. ويقول عليه الصلاة والسلام "إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم"⁽³⁾ ويؤكد النبى صلى الله عليه وسلم على أن إخراج الزكاة بنفس طيبة. ويد سخية. وقلب طاهر. يدخل الإنسان الجنة. فقد سأل أبو أيوب النبى صلى الله عليه وسلم. بقوله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة؟ قال. تعبد الله لا تشرك به شيئاً. وتقيم الصلاة. وتؤتى الزكاة. وتصل الرحم"⁽⁴⁾ والذين يمتنعون عن إخراج الزكاة.

(2) رواه البيهقى
(4) سورة ابراهيم 22

(1) حديث متفق عليه
(3) سورة العاديات 8

يحل بهم الدمار. والخراب والأمراض. ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يا معشر المهاجرين. خصال خمس إن ابتليتم بهن. ونزلن بكم. وأعوذ بالله أن تدركوهن. لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين. وشدة المؤنة. وجور السلطان. ولم يمنعوا لزكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء. ولولا البهائم لم يمطروا. ولا نقضوا عهد الله. وعهد رسوله. إلا سلط عليهم عدو من غيرهم. فيأخذ بعض ما في أيديهم. وما لم تحك أمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم"⁽¹⁾ ويتبين لنا من مشروعية الزكاة- إنها. طعمة للفقير المريض الذي لا يقدر على العمل. لذوى الاحتياجات الخاصة. لأرملة. لليتيم. لبناء المصانع. وشراء مواد الإنتاج. وفي استصلاح الأراضي الصحراوية وتحويلها إلى أرض صالحة للزراعة. وحفر الآبار. وكل ما من شأنه يحول الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة... هناك فئة من الناس. وسع الله عليهم. لكنهم لا يخرجون الزكاة. استجابة لهمس الشيطان في أذنهم. ولأن المال حبيب إلى النفس وهي بإنفاقه شحيح. ليلها وظناً منها أن المال يطيل عمر الإنسان. يقول الله في أمثاله "وإنه لحب الخير لشديد"⁽²⁾ ومن منع زكاة ماله فقد خسر الدنيا والآخرة. ويأتيه الشيطان عند احتضاره كأنه له مرشد. حتى إذا شعر بالعذاب والهوان والنزول إلى سقر. أسوأ مكان في جهنم ساعتها يقول له الشيطان كما حكى القرآن الكريم "وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق. ووعدتكم فأخلفتكم. وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي. فلا تلموني ولوموا أنفسكم. ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إنى كفرت بما

(5) سورة المؤمنون 55:56

أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم⁽¹⁾ وإذا كان الإنسان قد أعطاه الله. ووسع عليه. لكنه ضن به في المساهمة في الأعمال الإجتماعية. وبخل به على الفقراء وأصحاب الحالات الخاصة. زاعماً أن المال ماله. وأنه حصل عليه بتعبه وأن الله ساعده لأنه على خير. نذكر هؤلاء بقول الله سبحانه "أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم فى الخيرات. بل لا يشعرون"⁽²⁾.

ونقرأ قصة قارون فى سورة القصص من الآية 76---- والآيات من سورة التوبة ومنهم الذى عاهد الله. لو آتاه من فضله سوف يتصدق. وعندما أصبح المال فى يده بخل. وانتفخت أوداجه. ومنع الزكاة. وقال تعبى وشقائى ماذا كانت نتيجةه. والآيات فى القرآن كثيرة ومتنوعة. فى سورة التوبة-75- . ولهذا المعنى يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تصدق بعدل ثمرة. من كسب طيب. ولا يقبل الله إلا الطيب. فإن الله يقبلها بيمينه. ثم يرببها لصاحبها كما يربى أحدكم فُلُوّه (هو المهر عند ولادته) حتى تكون مثل الجبل"⁽³⁾ وكان يحث أصحابه على الصدقة. فيقول لأصحابه. وللدنيا بأسرها "صنائع المعروف. تقى مصارع السوء. والصدقة تطفى غضب الرب. وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة. وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة. وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة. وأول من يدخل الجنة أهل المعروف"⁽⁴⁾ ويقول لهم "صدقة السر تطفى غضب الرب تبارك وتعالى"⁽⁵⁾ إن الأزمات التى تظهر فى أى مجتمع. مثل- البطالة. انتشار العنوسة. الثقلت الأمنى. أزمة المواصلات. أزمة التراخى والكسل.

(2)، (3) رواهما الطبرانى

(1) حديث متفق عليه

(4) رواه الطبرانى

وغير ذلك من الأزمات التي انتشرت في المجتمعات. سبب ذلك ضعف الهمة- فقد المروءة- إنهيار. الإقتصاد. وتصدعه. وخلخلة المؤسسات عامة وعدم قدرتها على المواجهة. وتخلف الإنتاج وقلته. ماذا يصنع الناس؟. سيصابون بالتخلف. يأكلون من إنتاج غيرهم. ويتحكم فيهم. وينتشر بينهم أزمة الثقة. وكل شخص مشغول بنفسه. فتننتشر الأمراض الفتاكة ويبحثون عن العلاج. وهو من إنتاج غيرهم. ولا بد من دفع الثمن. فأين المال؟ وهنا ينخر المرض في جسم الأمة فتضعف وتتهار. ويقام عليها مأتماً ولن يبكى عليها أحد. لأنها تخاذلت وأهملت. وعصت ربها. ولنا في سورة سبأ عبرة وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم درس وعظة. وذلك في قوله "خمس بخمس. قيل يا رسول الله. ما خمس بخمس؟ قال. ما نقض قوم العهد إلا سلب عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت. ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر. ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين"⁽¹⁾ إن الأزمة تحل- بالتعاون- والمال- لهذا كان الإسلام حريصاً على ربط القلوب بالحب- والتعاون. ثم تسخير المال لخدمة المجتمع والله سبحانه هو الخالق للإنسان وأقدر على حفظه ورعايته. وإدخال السرور عليه. حتى يعيش سعيداً. لهذا شرع الزكاة. وأمر بإخراجها. وشدد النكير على مانعها لأنه سبب لإلحاق الضرر بالمجتمع. والمسلمون اليوم. لو نظموا إخراج الزكاة لأصبحت بلادهم من أرقى أنواع الأمم وتنظيمها وعمل المشاريع الخيرية. والمصانع الكبرى. من هذه الزكاة. وأهم من كل ذلك "تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة" إن أولاد الشوارع في المجتمع الإسلامي يشكلون أعظم مشكلة وأخطر وضع اجتماعي. ونحن كمسلمين

عندنا نظام اقتصادى رائع. لكننا لم نستطع أن نوظف الزكاة فى وضعها الصحيح ولو فعلنا لقضينا على مشاكلنا فبنينا المساكن. وتزوج الشباب. وشغلنا الأيدي العاملة. إن الإنفاق فى سبيل الخير طريق للزيادة فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما - اللهم اعط منفقاً خلفاً. فيقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً" (1)

إن العيب فى المسلمين. لأنهم لم ينظموا حياتهم. وهم يقومون بخلع الشجر المثمر الذى له ظل. ويستبدلونه. بشجر لا ثمر فيه ولا ظل منه. وعندهم نظام اقتصادى يغنيهم. ويجعلهم من أقوى بلاد العالم. فالعيب فىنا. وإسلامنا عظيم وكامل ولذلك قال القائل:

نعيب زماننا والعيب فىنا

وما لزماننا عيب سوانا

نتضرع إلى الله أن يأخذ بأيدينا. ويوقفنا للعمل والإنتاج الجيد.

(1) حديث متفق عليه

مواقف متعددة

رسول الله صلى الله عليه وسلم واجه مشاكل لا حصر لها. وقد بين الله ذلك لنكون على دراية تامة. بأن أشد الناس بلاء. الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. ولهذا قال الله سبحانه "حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين"⁽¹⁾ ويقول سبحانه "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب"⁽²⁾ هكذا برى الله الرسول والمؤمنين به الذين يسرون على هديه ويتبعون سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث كان يتغلب على الشر بتذكير المسلمين بالله. واليوم الآخر. والأخوة وحقوقها. من ذلك. أن الأوس والخزرج كان بينهم فى الجاهلية صراع أدى إلى حرب يوم بعاث. وكان الذين يشعلون نار هذه الفتن والحروب هم اليهود. لماذا؟ لبييعون لهم السلاح. ومن ليس عنده مال يشتري به السلاح. فليرهن - ولده أو يرهن زوجته. أو يرهن بيته - أو أرضه. ولهذا يقول الله عنهم بأنهم يشعلون نار الحرب فى أى مكان فليدهم القدرة على ذلك. وجبلت نفوسهم على هذا. يقول الله سبحانه عنهم "وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله. ويسعون فى الأرض فساداً. والله لا يحب المفسدين"⁽³⁾ هذه طبائعهم. وهذا دأبهم لذلك عز عليهم أن يتعايش "الأنصار" الأوس والخزرج

(2) سورة البقرة 214

(1) سورة يوسف 110

(3) سورة المائدة 64

فى أخوة ومحببة وتعاون ببنهم وبن المهاجرىن. وكان سؤالهم - لمن نبيع أسلحتنا. ولمن نبيع الغدر والخيانة إذا تألف هؤلاء. إذا فالوقبعة ببنهم أهم شئ. وإشعال نار الفتنة أعظم شئ- ونقل الأخبار الملفقة المكذوبة ببنهم أقوى سلاح حتى تكون القطبعة والخلاف. والتراشق بالكلمات. ثم النهوض بالسلاح. وعندها ببحثون عنا. ونتعامل سراً. وبالربا الفاحش حتى نمتص دماءهم ونجفف جبوبهم. ونستولى على ما نقرر عليه من مال وأرض وعقار. ورن ما عندهم. هكذا يفكر اليهود- لذلك بذلوا جهدهم فى إيجاد أزمة.

كان شاس بن قيس رجلاً يهودياً مسناً شديد العدااء لرسول الله صلى الله عليه وسلم. عظيم الحقد وعلى المسلمين مرّ على جماعة- من الأوس والخزرج. وهم فى مجلس واحد. يتحدثون ويتضحكون فغاظه ذلك. لما رآه من أفتهم. وتوحدهم. واتحادهم. وأن الإسلام جمعهم على هذا الحب وإصلاح أحوالهم. وقد تم لهم ذلك فى ظل الإسلام. وعلى يد محمد بن عبد الله.. إنه بهذا الأمر لن يكون لهم عندنا حاجة. وستبور تجارتنا. وتمتلىّ مخازننا بالأسلحة التى تشتري. إذا لابد من عمل على الفور. استدعى أحد شباب اليهود. وقال له. إذهب إلى هذا الجمع واجلس ببنهم. وذكرهم بيوم "بعاث" وما كان فيه. ومن قتل من؟. وقرأ عليهم من الشعر الذى قاله الشعراء هيج مشاعرهم وحرك أحاسيسهم. وذهب الشاب. وفعل وقال. وتكلم. ومثّل حالة الأمهات والزوجات وما أصابهم من لوعة. وهنا ثارت النائرة. وتناول الناس على بعضهم. حتى قال أحدهم. إن سننم رددناها الآن جذعة. يعنى نشعل نار الحرب قوية ونعلن حتى يأخذ كل واحد ثأره. وتواعدوا على الظاهرة يعنى وقت الظهر. حتى نأتى بالسلاح. واستعد كل فريق. وضم إلى صفوفه ما أمكن من البشر وكادت تنشب حرباً أهلية.- أزمة خطيرة. النفوس غاضبة.

والسلاح فى الأيدى والقلوب مليئة بالغىظ. بلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء مسرعاً. ومعه بعض المهاجرين. ووقف على مكان عالٍ وقال. الله. الله. أيها الناس. أبدعوى الجاهلية. وأنا بين أظهركم. أبعء أن هداكم الله للإسلام. وأكرمكم به. وقطع عندكم أمر الجاهلية. وأستفتدكم به من الكفر. وألف بين قلوبكم، أتعودون إلى الكفر يضرب بعضكم بعضاً.. لقد تنبه الناس وعرف القوم أنها نزعاً من الشيطان. وغرس يهودى خبيث ماكر لئيم. وكيد دبر لهم هذا اللئيم هذه المكيدة حتى وصلوا إلى هذا الحد لكن الرسول صلى الله عليه وسلم تداركهم وبعد أن سمعوا صوته بكوا. وقاموا يتعانقون ثم اتجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحاطوا به. وأعلنوا أسفهم وندمهم وتابوا إلى الله⁽¹⁾ حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم أطفأت نار العدو - وردت كيده إلى نحره.

هذا نموذج من كيد اليهود. وخلق الأزمات. ووضع العراقيل فى طريق المسلمين. لأن اليهود كانوا ينشرون الأكاذيب ويبثون الإشاعات ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين. كما كانوا يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره ليبثوا بذور الشك فى قلوب الضعفاء. ولكن الله. وفق رسوله على كشف حيلهم. وإبطال ألعيبهم. لذلك على كل شخص أن يكون إيجابياً فى حياته. يسهم برأيه فى سبيل الصالح العام. يأمر بالمعروف ويحث على المتمسك بالقيم الأخلاقية. وينهى عن المنكر ويحمى وطنه من كيد الخارجين على الأمن. الذين يحرقون بيوت الآمنين ويدمرون سيارات المواطنين. ويستعملون الأسلحة الفتاكة ويزعجون الكبار والصغار. وقنابلهم لا تفرق بين مسلم أو غير مسلم ذكر أو أنثى. طفل أو شاب. فعلى أى إنسان أن يحاول نصح

(1) سيرة ابن هشام ج1 بتصرف

هؤلاء يذكرهم بالله وآياته. واليوم الآخر وأهواله. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه. التقوى ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"⁽¹⁾

ويقول عليه الصلاة والسلام "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار"⁽²⁾ ويقول عليه الصلاة والسلام "إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم. فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلها جميعاً. قال الراوى. فقلنا. يا رسول الله. هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال. إنه قد أراد قتل صاحبه"⁽³⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم "من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة"⁽⁴⁾ إن الإسلام دين أمن ومحبة وسلام. ولا يقر العنف. ولا الإرهاب.

أزمة المواصلات

المواصلات هى وسيلة الانتقال من مكان إلى مكان. قد تكون المسافة قريبة. أو بعيدة وقد ذكرنا ربنا بوسائل المواصلات فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وهى - الخيل. والبغال. والحمير. والجمال. وقد أشار القرآن إلى الوسائل الحديثة- كالطيارة. والسيارة. والقطار. إجمالاً فى قوله سبحانه "والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين

(2) حديث متفق عليه

(4) رواه الطبرانى

(6) سورة غافر 79-80

(1) رواه الترمذى

(3) حديث متفق عليه

(5) سورة النحل 5-8

(7) سورة الزخرف 12-14

تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. إن ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون⁽¹⁾ ويقول سبحانه "الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون. ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون"⁽²⁾ ويقول سبحانه "والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه. وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون"⁽³⁾ إلى غير ذلك فى آيات القرآن الكريم. يبين لنا من نعمه علينا من وسائل المواصلات وهى زينة كذلك لنا لأن منافعها كثيرة. والرسول صلى الله عليه وسلم واجهته أزمة فيها. وحلها. وقضى عليها، كما حل كل الأزمات التى واجهته عند بناء مجتمع المدينة. وهو يؤسسه على الهدوء والاستقرار وتعالوا نتعلم من هديه صلى الله عليه وسلم كيف حل هذه الأزمة وبسهولة. ويسر دون تعقيد. وقد حلها بأسلوبين - الأول: فى غزوة بدر. كان عدد المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين "313" ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وروى ابن اسحاق انهم كانوا "314" وكان مع هذا العدد (سبعون بعيرا وفرسان) فكيف نقل هذا العدد - وهذه أزمة. لأن المسافة طويلة.

فقد اهتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحل. وهو كل ثلاثة يتعاقبون على بعير واحد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب. ومرثد بن أبى مرثد الغنوى على جمل واحد.. ولما لم تكن الساعة قد عرفت. فقد روا للراكب أن يقرأ جزءاً معيناً من القرآن ثم ينزل

فيركب الثانى. ثم ينزل ويركب الثالث. وهكذا. وقد قال على ومرثد. يا رسول الله- اركب أنت (على طول الطريق) ونمشى عنك. فقال لهما ما أنتما بأقوى على المشى متى. ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما⁽¹⁾ سماحة. وعدالة. وثقة. لأن غزوة بدر مليئة بالأحداث العظيمة. والأزمات الشديدة ولكن حكمة رسول الله. يسرت الأمور. وسهلت الأحداث. وجعلت الجمال فى كل حركة. والذوق سبيل للتفاهم.

الحل الثانى: لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم إدارة أى أزمة ينتبأ بها قبل وقوعها بهدوء. وبعُد نظر. وبتخطيط دقيق "الاستشعار من البعد" ولهذا يتبين لأى دارس "منصف" أن الدولة الإسلامية التى كونها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمنذ تأسيسها. يجد الدارس ما لا يحصى ولا يُعد من أصول منهجية لعلم "إدارة الأزمات" مؤسس على أصول البحث العلمى. وكان سبب نجاح النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك اعتماده على:

(1) الله- الذى علمه ما لم يعلم. وهداه النجدين. وشرح صدره. ووفقه إلى الخير. وصدق الله العظيم "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.. ومن يتوكل على الله فهو حسبه"⁽²⁾

(2) إشراك الصحابة ومشاورتهم فى رأى الذى يطرح للحل لأن هذا توجيه من الله سبحانه حيث قال سبحانه "فبما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم. وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"⁽³⁾ ويقول سبحانه "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم

(1) الروض الأنف للسهلى

(2) سورة الطلاق 3،2

ينفقون"⁽¹⁾ إن المشورة حصن من الندامة. وأمان من الملامة. يقول أحد الحكماء "ما خاب من استخار. ولا ندم من استشار. لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرك أصحابه ويشاورهم. وينزل على رأيهم. ويدبر بهم على العمل الجماعى. وأهم مظاهر العمل الجماعى فى الصلاة. فى الصيام. فى الحج. لأن يد الله مع الجماعة. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوسع فى نطاق المشاورة. لأنها خير وبركة فى العمل الذى يعود على المجتمع بالخير والأمن والسلام.

(3) لقد كان لنجاح النبي صلى الله عليه وسلم فى حل أزمة المواصلات أثر عظيم. ولذلك نسمعه يقرر إذا أراد أن يغزو "يا معشر المهاجرين والأنصار. إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال. ولا عشيرة. فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة. فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة لعقبة.. يعنى يحمل أحدكم أخاه أو أكثر حصل قدرته وما عنده من ظهر. قال راوى الحديث فضمامت إلى إثنين أو ثلاثة مالى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملى"⁽²⁾ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن فى سفر إذ جاء رجل على راحلته. فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كان معه فضل ظهر. فليعد به على من لا ظهر له. ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له" فذكر من أصناف المال ما ذكر. حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل"⁽³⁾ وعنه عليه الصلاة والسلام "إنه إذا كان فى سفر يتخلف فى المسير فيزجى الضعيف ويردغه ويدعو له"⁽⁴⁾ يعنى يركب خلفه الذى لا يقدر على المشى لضعفه.

(2) سورة الشورى 38
(4) رواه مسلم

(1) سورة آل عمران 159
(3) رواه أبو داود
(5) رواه أبو داود

أزمة الأمية

الأمية- يعنى - عدم معرفة القراءة والكتابة. وأى مجتمع بهذه الصورة مجتمع محكوم عليه بالانهيار والضياع. ولهذا حرص الإسلام دائماً على أن ينه على فضل العلم. ورفع مكانة العلماء. وصرح وأشار فى أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشير إلى القراءة والكتابة فيقول الله سبحانه "اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم"⁽¹⁾ لذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتعلموا لأنهم هم الجسور الموصلة لتعاليم السماء. وهدى النبى صلى الله عليه وسلم إلى العالم. وتسابق المسلمون فى تعلم العلم. وحفظ القرآن. ونقل الحديث النبوى. ومع ذلك فهم فهموا قول الله سبحانه "وقل رب زدنى علماً"⁽²⁾ ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا. نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة. والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة. وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله. ويتدارسونه فيما بينهم إلا حفتهم الملائكة. ونزلت عليهم السكينة. وغشيتهم الرحمة. وذكرهم الله فى يوم عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"⁽³⁾ إن شعار المسلم. "مع المحبرة حتى المقبرة".

(2) سورة طه 114

(1) سورة العلق 1-5

(3) رواه مسلم والنسائى والترمذى

(4) امتاع الأسماع للمقرئى بتصرف، والروض الأنف ج 3

ولهذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفيد من أى موقف يسهم فى الإرتقاء بالمستوى الأدبى. ويمحو أمية الأميين. ويعلم الكبار لتكون هناك نهضة تقوم على العلم. والثقافة والمعرفة- ففى غزوة بدر وقع أسرى من المشركين. وأصبحوا فى أيدي المسلمين وعليهم أن يقدموا فداء ليفتدوا أنفسهم. لكن بعضهم فقراء ليس عندهم مال. فقال لهم رسول الإنسانية. ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم كل واحد منكم يعلم عشرة من غلمان المسلمين الكتابة ويكون هذا فداؤه وكان فداء الأسير أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف- إلى ألف- كل شخص حسب قدرته المالية. وكان من أهل مكة كثير يكتبون. وأهل المدينة لا يكتبون. وهنا تم محو أمية الكثير. وتعليم الكبار (1) إن المجتمع الإسلامى اليوم فى حاجة ماسة إلى أن يستحضر هذا الموقف العظيم. وأن تجتهد فى محو أمية الأميين. لأنه من العيب أن نكون نحن أمة "إقرأ" وعندنا أكثر من 50% خمسين فى المائة لا يقرءون ولا يكتبون والبعض يستعمل البصمة والآخر يستعمل الخاتم. ثم نتكلم عن الجامعات وعددها والمدارس وكثرتها ومع ذلك فإن الخريجين ليس لديهم معرفة بحقائق الإسلام. بل هم فى أمية دينية. كل ذلك يجعلنا ننادى تعلموا واو أصبح سنكم "100" مائة عام. لأنه لا يستوى الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. فيا أمة "اقرأ" هلموا إلى العلم وساحاته. حتى يرفع الله أقداركم وتبنون أمنكم على العلم. والصناعة. والزراعة والتجارة ف ظل أخوة كريمة. ومحبة وتعاون. وعلم وثقافة.

فإنه بالعلم والمال يبني الناس ملكهموا

لم بين ملك على جهل وإقلال

الأزمة الطاحنة

فى السنة الخامسة للهجرة. وقعت غزوة "المريسيح" ويقال غزوة "بنى المصطلق" وسبب هذه الغزوة.. أن سيد بنى المصطلق جمع القبائل.. وتألف الناس. باعتباره سيد بنى المصطلق وهو "الحارث بن أبى ضرار". والغرض من تجميع الناس حوله ليقودهم فى حرب مهلكة للمسلمين والغزوة- هى أى موقعة حربية قاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فيها جيش المسلمين. والسرية- هى مجموعة من المحاربين يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهم عليهم، وهل الإسلام انتشر بالسيف- لا- والرؤية أمام أعيننا واضحة. فالأعداء هم الذين يزحفون على المدينة. والمسلمون دائماً فى حالة دفاع- لقول الله سبحانه "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"⁽¹⁾ ثم إن الله سبحانه بين لنا فى القرآن الكريم- الحلال الذى يجب أن تعمله. كما بين الحرام الذى يجب علينا أن نبتعد عنه- ثم قال " لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"⁽²⁾

وفى غزوة المريسيح - حدثت أزمات أعظمها حادث الإفك- لكننا نشير إلى الأزمات ليتبين لنا- كيف واجه النبى صلى الله عليه وسلم هذه المواقف بحزم. مع الهدوء- وعدم الانفعال. ولم يضق صدره أبداً أمام هذه الأزمات المتكررة.

قول المنافقين

إن خلق الأزمات وابتكارها من ألعاب اليهود- وابتكار المنافقين - والغرض من ذلك- صرف اهتمامات القيادة من التفكير- فى خلق مناخ مريح

(2) سورة البقرة 256

(1) سورة البقرة 190

تجد فيه كل يد عملاً. وكل عقل متفجر بابتكارات وإنتاج يسهم في تقدم الأمة والنهوض بها. ثم إن ابتكار الأزمات في إثارة لبلبلة فكرية- وإحباط نفسى. وشعور بجو مشحون بالإنهزامية- وهنا تتعطل الطاقات. ويضيع الوقت. لهذا رأينا الصف النفاقي يحدث لبلبلة لكى يصرف طاقة القيادة عن العمل البناء. وإيجاد حالة من عدم الاستقرار. ويصاب المجتمع بحالة من الكسل. والتأخير فى أداء أى مهمة.

إن فن صناعة الأزمات مقصود به. السيطرة على الآخرين. وابتزازهم وإخضاعهم لفكرهم. ولذلك تجد صناع هذا الفن. يتخيرون الوقت غير المناسب لخلق جو تصادمى. فى مرحلة من حالات عدم التوازن. وخير مثال على ذلك.

المسلمون فى حالة فرح بسبب نجاحهم فى غزوة بنى المصطلق. والغنائم كثيرة. وليست عند المسلمين أى خسائر. وقد ذهب بعض غلمان من المهاجرين يستقون من بئر- وهناك على البئر بعض حلفاء للأنصار. فتشابه الطرفان. كان عبد الله بن أبى بن سلول "زعيم المنافقين" يرى هذا المنظر ومعه بعض أعوانه. ورأى أن المهاجرين انتصروا. فنظر إلى الناس وقال "ما رأيت كاليوم مذلة" أى وضاعة". والله إن كنت لكارها لوجهى هذا ولكن قومى قد غلبونى. وها قد فعلوها. وقد نافرونا. وكاثرونا فى بلدنا. وأنكروا نيتنا والله ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل...

"سمن كلبك يأكلك" والله لقد ظننت أنى ساموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف جهجاه وأنا حاضر لا يكون ذلك متى غير- والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.. ثم أقبل على من حضر من قومه. فقال. هذا ما فعلتم بأنفسكم. أحللتموهم بلادكم ونزلوا منازلكم. وآسيتموهم فى

أموالكم حتى استغنوا. أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم. ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتهم دونهم. فأيتمتم أولادكم. وقللتم وكثروا"⁽¹⁾.. أزمة خطيرة. وفتنة كبيرة. وكلام ينم عن حقد. وحسد. وكراهية. كان بين القوم صبي لم يبلغ العاشرة من عمره هو "زيد بن أرقم". فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث. وكان حوله جماعة من المهاجرين والأنصار. فتغير وجهه. ثم قال. يا غلام. لعلك غضبت عليه؟ قال. لا. والله قد سمعت منه. قال. لعله أخطأ سمعك؟ قال لا يا نبي الله. قال لعله شبه عليك؟ قال. لا والله يا نبي الله. لقد سمعت منه. وشاع هذا الأمر في المعسكر. ما قال ابن أبي. حتى ما كان للناس حديث إلا هو. وأنب جماعة من الأنصار "زين بن أرقم" الغلام. وقال "عمر بن الخطاب" يا رسول الله. مر "عباد بن بشرى" فليأتك برأسه. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال- لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه- وبلغ الخبر ابن أبي- ما نقله عنه زيد بن أرقم. فذهب مسرعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف بالله ما قال. عندئذ تحرك رسول الله بجيشه. وهذه ساعة ما كان يتحرك فيها بالجيش أبداً. وكان يظهر عليه الغضب لخوفه من حدوث شيء لا تؤمن عواقبه. فأدركه عمر بن الخطاب. عند شجره يتقيأ ظلها. وغليم أسود "يدلك ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر كأنك تشنكى ظهرك. فقال- تفحمت بي الناقة الليلة. فقال عمر. يا رسول الله- إئذن لي أن أضرب عنق ابن أبي- فقال- لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وجاء سعد بن عباد- وقال. يا رسول الله ساعة ما كنت تروح فيها. فقال- أولم يبلغك ما قال صاحبكم ابن أبي- زعم أنه إن رجع إلى

(1) إمتاع الأسماع

المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل - فقال - سعد. فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت. فهو الأذل. وأنت الأعز. يا رسول الله. ارفق به. فوالله. لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز. ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي. ليتجوه. فما يرى إلا إنك قد سلبتة ملكه⁽¹⁾.

كان زيد بن أرقم يحاول أن يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه ليؤكد له أنه صادق. والناس ينظرون إليه على أنه زاد في نقل الكلام. وأدرك زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه كان في حالة تلقى الوحي. فلما سرى عنه أخذ بإذن زيد. وقال - وقت أذنك يا غلام. وصدق الله حديثك ونزل في ابن أبي "إذا جاءك المنافقون" السورة كلها. وكان عبادة بن الصامت قد قال لابن أبي - لو أنك أتيت رسول الله يستغفر لك. فلوى رأسه معرضاً فقال عبادة لينزلن في لى رأسك قرآنا يصلى به أبدا. وبدأ الناس لا يكلمونه. احتقاراً لشأنه. وجاء عبد الله. بن عبد الله بن أبي بن سلول فقال - يا رسول الله. إن كنت تريد أن تقتل أباي. فيما بلغك عنه. فمرنى به فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا والله لقد علمت الخزرج. ما كان فيها رجل أبر بوالده منى وإنى لأخشى يا رسول الله. أن تأمر غيرى فيقتله. فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أباي يمشى فى الناس. فأقتله فأدخل النار وعفوك أفضل. ومنك أعظم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما أردت قتله. وما أمرت به. ولتحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال - عبد الله - الإبن. يا رسول الله - إن قفومى كانوا قد اتفقوا أن يتوجوا أباي ملكا عليهم. فجاء الله بك فوضعناه - ورفعناك وإن أباي معه قوم يطيفون به يذكرونه أموراً قد غلب

(1) سيرة ابن هشام ج3 بتصرف

الله عليها"⁽¹⁾ حدث ضخم. له دلالاته. وأبعاده الإجتماعية. وأزمة خطيرة. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تداركها بحكمته. وعالج الموقف بفطنة وبعد نظر. ومن دلالاتها أن كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤت الإسلام من قبله- المهارة فى تنبيه القيادة إلى ما يخطط ضدها. والدقة فى النقل. حماية

للدين. حتى ولو كان المتآمر أب- أو أخ- أو عم- فالدين عند المسلم أهم من كل شئ وقد يكون العفو من القيادة عن المسئئ يؤلف القلوب. ويجمع النفوس. ويجعل التآلف حقيقة واقعة. فلنكن مع الله يكن الله معنا بنصره وتوفيقه ورعايته للصالحين. لأنه سبحانه "يدافع عن الذين آمنوا".

ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن مواجهة الأزمات. والوعى بها شئ ضرورى. لنقضى على الشائعات. ونتفادى المزيد من الخسائر. ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم واضحاً فى تصرفاته فى كل أزمة. بلباقة يحول الموقف السلبى إلى إيجابى. وعنده أمل عظيم فى الله. وثقة به وكان دائماً متفائلاً يعمل جهده على السيطرة على الأزمة. والقضاء عليها. وتأمين الجماعة. والاستفادة من الموقف ولذلك فى غزوة بنى المصطلق.

فقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الإبل. وبحث المسلمون عنها قلم يجدوها. وهنا ظهر المنافقون وقالوا للمسلمين. أفلا يخبره الله بمكان ناقته؟ فأنكر المسلمون على المنافقين هذا القول. وأسعواهم كل

(1) سيرة ابن هشام- وإمتاع الأسماع بتصرف وابن سعد فى طبقاته

مكروه. وهموا أن يتشابكوا بالأيدي. لكن أحد المنافقين. ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتذى به من غضب المسلمين. وكان الوحي قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما حدث. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال. ألا يخبره الله بمكانها؟ فلعمري. إن محمداً ليخبر بأعظم من شأن الناقة. ولا يعلم الغيب إلا الله وإن الله قد أخبرني بمكانها. وإنها في هذا الشعب مقابلكم. قد تعلق زمامها بشجرة. فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾. والمنافق يسمع ويشاهد. ومع ذلك ظل على نفاقه. لأن الضمير مات. والقلب عليه ران بسبب النفاق. وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

حديث الإفك

إن أخطر شيء في حياة البشر. النفاق - لأن المنافق يعيش بوجهين. كما قال ربنا سبحانه: إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون⁽²⁾ والمنافق مريض القلب ميت الضمير. غائب العقل. مفسد في الأرض. لا يحب الخير لأحد أبداً إذا دخلوا على مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيوه بما لم يحيه الله به⁽³⁾ فيقولون "السام عليكم" فيرد عليهم

(1) إمتاع الأسماع بتصرف

(2) سورة البقرة 14، 15

(3) سورة التوبة 61

(5) سورة محمد 16

(4) طبقات بن سعد ج 2

(5) سورة محمد 29، 30

"وعليكم" وقالوا كما حكى القرآن عنهم- عن النبي صلى الله عليه وسلم
"ومنهم الذين يؤذون النبي. ويقولون هو أذن. قل أذن خير لكم يؤمن بالله.
ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم"⁽¹⁾ وكان المنافقون- إذا خرجوا من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم- يتساءلون ويقولون بتهمك وسخرية "ماذا
قال أنفاً" إلى هذا الحد. يبين الله ذلك بقوله "ويتهم من يستمع إليك حتى إذا
خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا أهواءهم"⁽²⁾ فالمنافقون شر خطير ولذلك. لا يساهمون في
أى عمل تطوعى خيري. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى. يراءون الناس.
وإذا قيل لهم آمنوا بصدق ويقين كما آمن الناس. يقولون. أنؤمن كما آمن
السفهاء. "زعيم هذه الفئة" عبد الله بن أبي بن سلول- هو الذى أسس النفاق
ونشره ووضع له ضوابط وقواعد زعيم المنافقين هذا له ولد يسمى "عبد الله"
مسلم بصدق. ويقين. طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل أباه.
بعد أن قال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لولده- نغفو عنه من أجلك. هكذا يصنع الإيمان. وتكون
المواقف البطولية الإيمانية. وموقف سجله التاريخ لعبد الله بن أبي الإبن. أنه
ضيق على أبيه الطريق- حتى وقفاً وجهاً لوجه- وقال الولد لأبيه. لا أفارقك
حتى تعترف أنك الذليل وأن رسول الله هو العزيز. وسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك فأسرع إليهما. وقال لولده- دعه- فلعمري لنحسنن
صحبته ما دام بين أظهرنا"⁽³⁾ إن المنافقين كانوا يظنون أن أحدا لا يعرف
أمرهم. لذلك تهادوا فى التآمر على المسلمين. وغاب عنهم أن الله يعرف

(2) سورة محمد 29-30

(1) طبقات بن سعد ج 2

(3) سورة التوبة 107-109

سرهم ونجواهم ذلك لأن في قلوبهم مرضاً. فزادهم الله مرضاً. لكن الله سبحانه كشف أمرهم. وهتك سترهم. وقال لحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكنهم فلعرفتهم. بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم"(1).

وإمعاناً منهم في الضلال. والتستر. والكتمان ورسم الخطط ضد الإسلام ونبيه. ونشر الإشاعات. وترويج الأكاذيب. بنوا لأنفسهم مسجداً سماه القرآن "مسجد الضرار" لأنهم يرسمون لأنفسهم الأسلوب الأمثل في إلحاق الضرر بنبي الإسلام والمسلمين. يقول الله سبحانه في حق مسجد الضرار "والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى. والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً. لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين. أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين"(2)

إن المنافقين أخطر من اليهود. لأنهم يعلنون أنهم مؤمنون بالله. وهم كذبة وغرض المنافقين من ذلك:

- 1) إشاعة حالة من الإضطراب. بسبب الإشاعات الكاذبة.
- 2) نشر حالة من الإحباط بين المسلمين.
- 3) تقوية روح الإنهزامية بين المسلمين لإصابة المسلمين بحالة من التدهور النفسى.
- 4) تمزيق الصف الإسلامى. وتنمية عناصر خوف الأخ من أخيه.

- 5) صرف الناس عن الداعية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
6) خلق مناخ فاسد يتسم بالبلبله والشك وعدم الثقة المتبادلة بين الجميع.
7) النيل من القيادة العظيمة. وخلق أزمات من حوله لصرفه عن الدعوة.
8) التدفق فى المعلومات المغلوطة لخلق مناخ يتسم بسوء الظن.
ز الشك- والإنزعاج

9) فقد السيطرة على أفراد المجتمع وينفرط عقد الجماعة. وتتسع الأزمة، هذا هو الذى يهدف إليه المنافقون. أصحاب النفوس الميتة والضمائير الخربة. فى هذا المناخ أشيع كذباً "حادث الإفك".
ولم يكن من قبيل المصادفة. التشهير- بأم المؤمنين- الصديقة بنت الصديق الطاهرة العفيفة لأن المنافقين. وجدوا هذه الفرصة لا تعوض. خاصة وأنها رضى الله عنها مع أبيها الصديق من عوامل النصر. وتحقيق الخير للمجتمع. وكانا من أكبر الدعامات فى سبيل نصره الحق. لأنه من المعلوم أن الأزمات تعطل عجلة التنمية. وتهدر الكثير من الوقت والطاقات الذهنية. ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حقق الكثير. والكثير من الإنتصارات. لذلك عمد المنافقون إلى صرف اهتمام القيادة من نشر روح المحبة. وإرساء دعائم نهضة. ولا بد من اشغاله بفتن متلاحقة.

إن المنافقين كانوا ينظرون إلى المسلمين. نظرة حقد وحسد. ويحاولون إثارة الفتن. لأن نصر المسلمين كان شوكة فى حلوهم. لذلك حاولوا إثارة الفتن. والتحرش بين المسلمين. والإساءة إلى مقام الرسول صلى الله عليه وسلم. ونشروا لمقالة حول عرضه. وكرامته. ويحاولون زلزلة الكيان الاجتماعى لأسرة تتعم بالهدوء والإستقرار. ولا شك أنه إذا أثيرت الشائعات

السيئة حول بيت النبوة. زالت عن جميع بيوت المسلمين ولهذا كان حادث الإفك أخطر ما خطط له المنافقون...

لقد كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. عند سفره- أو خروجه فى غزوة يصطحب إحدى زوجاته. وكان يجرى بين نساته قرعة لمن تخرج معه وفى غزوة بنى المصطلق كان نصيب الطاهرة. الشريفة العفيفة الصديقة. المبراة من فوق سبع سماوات السيدة/ عائشة- أم المؤمنين أن تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة وبعد انتهاء الغزوة. وما تحقق فيها من نصر. رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفى الطريق- بات ليلة- وعندما هموا بالرحيل فى الصباح الباكر كانت سيدتنا- عائشة- تقضى حاجتها فى الصحراء. وتحرك الجيش دون أن يفتن أحد إلى غياب سيدتنا- لأنها تأخرا ولم يفتن أحد لغيابها ورفعوا هودجها وهى خفيفة ولم يلاحظوا غيابها وسبب تأخرها أنها كانت تبحث عن عقد سقط من صدرها. فلما رجعت إلى مكانها. وجدت الجيش تحرك. وليس بالمكان أحد. فتلفتت بجلبابها وجلست فى مكانها.

كان من تنظيمات الجيش الإسلامى أن يكون له مقدمة. تستطلع الطريق وتتعرف على أحسن الطرق وأيسرها. وكذلك مؤخرة الجيش- يؤمنون به ظهر الجيش. وربما يكون قد تأخر أحد الجند لظروف خارجة عن إرادته وشاء الله- أن يكون "صفوان بن المعطل السلمى" يمر فى مكان نزول الجيش. ربما يكون هنا شئ نسيه الجند أثناء الإستراحة. فلما رأى سيدتنا عائشة رضى الله عنها- استرجع- وقال طعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قدم البعير. وأناخه. واستأخر. فركبت ثم تقدم وأخذ بخطام البعير. وانطلق سريعا يطلب الناس فأدركهم. لأنهم نزلوا يستريحون. قبل دخول

المدينة.. كون أنثى تكون وحدها. ويأخذها رجل يوصلها إلى منزلها. أمر
مألوف في البادية ومعهود في طرق القوافل. وكان الناس يحفظون أنفسهم.
ويتعففون عن العفيفات. لأن هناك صاحبة الرايات كثير. لمن أراد. فكان
الرجل العربي. يحافظ على دينه. ويصون شرفه ويرد:

**وأغض طرفي إن بدت لي جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها**

ومثال من كون الرجل العربي يصطحب سيدة يوصلها إلى بيتها كثيرة
خيرا من ذلك ما ذكرته سيدتنا- أم سلمة- وكان قومها منعوها من الهجرة
إلى المدينة مع زوجها- فكانت تخرج كل غداة. تجلس في الإبطح وتبكي لمدة
سنة. إلى أن مر بها رجل من بنى عمومتها. فرأى ما بها. فرق لها. وقال
لقومها. هذه المسكينة. فرقتم بينها وبين زوجها. وولدها. فقالوا لها. ارحلى
إلى زوجك. وردّ أهل زوجها ولدها إليها. فارتحلت بغيرها. ووضعت ولدها
في حجرها. ثم اتجهت إلى المدينة وليس معها إلا الله. فلما كانت بالتنعيم لقيها
عثمان بن أبي طلحة. فقال لها. إلى أين- يا ابنة أبي أمية؟ قالت أريد أن
ألحق بزوجي في يثرب. قال- أو ما معك أحد؟ قالت معي الله. وابنى هذا
فقال. والله مالك من منزل. فأخذ بخطام بغيرها. وانطلق يقود بغير أم سلمة
وتقول فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل.
أناخ البعير. ثم يستأخر عنها. فإذا نزلت آخر البعير فقيده في شجرة. ثم يبتعد
عنها وينام تحت شجرة. فإذا دنا الرواح. قام إلى بغيرها. فيقدمه إليها فإذا
استوت على ظهر البعير قاده. وهكذا. إلى أن وصل إلى قرية بنى عمرو
"بقباء" وقال لها زوجك هنا في هذه القرية. فادخليها على بركة الله. ثم
انصرف راجعاً- ولهذا كانت تقول عنه- ما رأيت صاحباً قط أكرم من

عثمان بن أبي طلحة⁽¹⁾ أخلاق عربية نبيلة. وتصرف يدل على الشهامة
والمروءة...

عندما وصلت سيدتنا عائشة. إلى الجيش. والأمر لا يسترعى انتباهاً ولا
تعليقاً. لأنه أمر مألوف- لكن المنافقين انتهزوها فرصة سانحة لإثارة فتنة
بين المسلمين- وخلق مشكلة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإضعاف
الثقة في أسرة سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وإضعاف ثقة المسلمين
في بعضهم. ولما رأى عبد الله ذلك- أشاع كذباً "حديث الإفك" وتناقله الناس.
وأصبح على كل لسان.. وتورط في الخوض في هذا بعض المسلمين الذين
يرددون ما لا يعلمون- ذلك لأن أمهات المؤمنين. بمنزلة أم الإنسان والإنسان
العاقل يأنف من الوقوع على أمه ولهذا لا يجوز لأى مسلم أن يتزوج من أى
واحدة من أمهات المؤمنين- والشخص المتهم هناك أكثر 100% يشهدون له
بالصلاح- والأدب- والأخلاق. لكن المنافقين. يطلقون الإشاعة. وتشتعل
النار وهم فى مأمن. لأنهم يعلنون أنهم مسلمون. وكذبوا. فقالوا حديث الإفك
واتهموا أمنا العظيمة بما لا يجوز أبداً.

وبلغ الخبر إلى مسامع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعرف ما
خاض الناس فيه. وكبر عليه ذلك القول. وعرف مصدر هذه الإشاعة فصعد
على المنبر. وقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه
فى أهلى. والله ما علمت على أهلى إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عنه
إلا خيراً وما يدخل على أهلى إلا معى.. فقام سعد بن معاذ- وقال أنا يا
رسول الله أعذره منك فإن كان من الأوس ضربت عنقه. وإن كان من
إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة. وقال. كذبت لعمر

(1) تفسير ابن كثير ج 2

الله. لا تقتله ولا تقدر على قتله. ولو كان رهطك ما أحببت أنه يقتل. فقام أسيد بن خضير. وقال لسعد بن عباد- كذبت لعمر الله لنقتلنه. فإنك منافق تدافع عن المنافقين. وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج. لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل من فوق المنبر وهدأهم حتى ثابوا إلى رشدهم أما سيدتنا عائشة. فكانت مريضة. وكانت عند أمها تمرض ولم تعلم بما يتكلم به الناس. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسأل عنها. ويمر على باب حجرتها. ويقول. كيف أنتم. كيف حالكم⁽¹⁾. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير بعض أصحابه. فيما يفعل فقال أسامة بن زيد- وهو مؤمن ببراعة سيدتنا عائشة. هم أهلك- أهلك ولا نعلم عنهم إلا خيراً. وقال على بن أبي طالب.. لم يضيق الله عليك. والنساء غيرها كثير. وسل الجارية- تصدقك فدعا عليه الصلاة والسلام- الجارية "بريرة" وسألها. هل رأيت من عائشة شئ يريبك؟ فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت إلا خيراً وما رأيت عليها أمراً قط آخذه عليها غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتى الداجن فتأكله..

إنه في خضم الأزمة قد تتوسع هوة الخلاف. وتظهر تيارات وانقسامات داخل المجتمع- فالقائد- تبدو عليه آثار الضغوط النفسية. وتزايد الحرارة الجسدية لديه. ويتمثل عظم الخسائر التي تصيبه إن صح شئ من ذلك. والقائد في هذه الفترة أحوج ما يكون إلى أن يستخدم ما لديه من مهارات. ومرونة للإستفادة من كل شئ لأن الجو مشحون بالأفكار السيئة. والبعض ينظر بسهام الإتهام إلى بيت النبوة. إن المجتمع كله يعلم أن سيدتنا عائشة- أطيب من طيب المسك وأنقى من الذهب الخالص. وإن حدث شئ لأخبره السميع

(1) السيرة الحلبية بتصريف

البصير الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء لكنها حكمة الحكيم. لتتعلم الدرس. ونتأدب بهدى السماء.

لقد أكد القرآن على سؤال أهل المعرفة بدقائق الأمور لهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل من لهم علاقة بسيدتنا عائشة رضى الله عنها. ومن خلال استقرائه لاستطلاع رأى يستطيع أن يواجه الموقف. لأن هذا أمر يتعلق بأهل بيته. ولهذا كان من الصعب عليه حسم الموقف لسببين:

الأول: نقص المعلومات. الأمر الذى جعل المجتمع الإسلامى يومها يعانى معاناة شديدة.

الثانى: تدفق إشاعات أهل النفاق - حتى صدقه بعض المخلصين الأوفياء.. ثم إن عنصر المفاجأة. والتسرع فى نشر المعلومة المغلوطة كان دأب المنافقين ولذلك رأينا أهل الورع والصلاح يتعاملون مع هذه الأزمة بهدوء ورباطة جأش. منتظرين ما تسفر عنه الأحداث مع استبعادهم لهذا الاتهام - لكنهم يرددون - اللهم اكشف هذه الغمة وأنزل على حبيبك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

إدارة الأزمة بحكمة

إن ابن سلول قال كلمة. يبوء بإثمها إلى يوم القيامة- فعندما رأى صفوان- الشخصية النبيلة- يقود الجمل الذى تركبه سيدتنا عائشة رضى الله عنها قال لمن حوله من أنصاره- "امرأة نبيكم باتت مع رجل" ثم فرق أنباعه فى جميع الاتجاهات ينشرون هذا الإفك. دون تقدير منهم للأحداث وزادوا على كلام المنافقين. والله ما نجت منه- لهذا كاد البعض يفقد سيطرته على نفسه يريد أن يقتل من يقول ذلك- ومضى شهر. والناس يخوضون فى هذا الحدث. والوحى لم يحسم الأمر- والسيدة عائشة رضى الله عنها- مريضة- ولا تعلم أى شئ. لهذا تحاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواجه السيدة العفيفة الطاهرة- عائشة رضى الله عنها وكان يسأل عنها وهى مريضة من على الباب. لأنه لا يريد مواجهتها. لربما يزداد مرضها. فى نفس الوقت يخاف على أبى بكر الصديق. وهو صاحب الوفى والصديق الذى ضحى بما له. وكل شئ فى سبيل الدعوة. فكيف يواجهه بمثل هذا. وهو ما زال يجمع المعلومات. ويتحرى رغم إيمانه القوى ببراءة أمنا العظيمة. لكنها طبيعة النفس الإنسانية. والوحى لم يسعفه. وهكذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يخاف على مشاعر الصديق. وأهل بيته.

وهذا أدب عالٍ تحلى به نبي الإنسانية- يراعى مشاعر الناس ولا يجب الأذى. ثم هو بشر- يوحى إليه- لذلك لا يعلم الغيب ولو كان يعلمه. لأخبر عن هذا الحدث الذى هز المشاعر وأثار البلبله ولهذا نزل عليه قول الله "قل لا أقول لكم عندى خزائن الله. ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك. إن أتبع

إلا ما يوحى إلى" (1) ويقول سبحانه "قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء. إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون" (2) وعلى هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يتكلم إلا بعلم ولأنه لا ينطق عن الهوى. فلا بد من التروى. حتى يوافيه الوحي - وفى رد بليغ على من زعم أن القرآن من عند محمد. فلو كان من عنده لقال آية ببراءتها وانتهى الأمر لكنها الرسالة والأمانة. والوحي من الله العلى العزيز.

وحديث الإفك يدل على كذبهم فلو كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو منشئ القرآن من عند نفسه أو يتعلمه من بشر لجاء بآية أو أكثر تدل على براءة الطاهرة العفيفة التى هى أطيب من طيب المسك ولكن المنافقين لا يعلمون. لأنهم فى الغى يعيشون لهم قلوب لا يفقهون بها. ولهم أعين لا يبصرون بها. ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام هم بل أضل. أولئك هم الخافلون" (3). ونؤكد على ذلك ونكررها ليفهم من يريد الحق.

المفاجأة

السيدة الطاهرة عائشة رضى الله عنها لا تعلم أى شئ عن حديث الإفك. لأن من حولها فى ذهول - لا يصدقون - لكن الكلام كل لحظة يرن فى آذانهم - لكنهم لا يهتمون ولتقتهم فى الله - وإيمانهم القوى يقول الله سبحانه "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير" (4) فالمؤمنون واثقون من أن هذه غمة سوف تزول

(2) سورة الأعراف 188
(4) سورة الحديد 22، 23

(1) سورة الأنعام 50
(3) سورة الأعراف 179

قريباً وبأمر الله سبحانه. وبعد شهر من الخوض في هذا الحديث. وكانت هي في حيرة من تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم حيالها حيث لم يدخل لحجرتها ويؤنسها كعادته قبل ذلك. فلما نَقَهَتْ خرجت هي وأم مسطح- وهي قريبتها من ناحية أمها. وهي وإبناها يعيشان في كنف سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه. فبينما هما يتمشيان عثرت أم مسطح فقالت. تعسى مسطح "تدعو على ولدها" فقالت سيدتنا عائشة رضى الله عنها- بنس ما قلت. أتسيين رجلاً شهد بدرا. فقالت "يا هنتاه" يعنى لقد أهان نفسه" أولم تسمعى ما قال- فأخبرتها بحديث الإفك- لأن مسطح كان من المتحركين وتقل خبر حديث الإفك. وما أن سمعت به حتى عادت مسرعة إلى بيتها وها لها هذا الخبر. وفى البيت خرت مغشياً عليها وبها حمى ترعشها فينتقض جسدها. وأمها تهون عليها وتقول لها- "يا بنية. هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقالت سيدتنا عائشة رضى الله عنها "سبحان الله. أو قد تحدث الناس بهذا؟ وبكت. وجافاها النوم وبعد يومين من البكاء المستمر وعدم النوم- ابيضت عيناها من الحزن.

وبينما هي على هذا الحال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل إلى حجرتها ثم جلس. وقال- أما بعد- يا عائشة إنه قد بلغنى عنك كذا وكذا- فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه.. فإن العبد إذا اعترف وتاب. تاب الله عليه. كانت سيدتنا عائشة رضى الله عنها قد جف دمعها. فقالت لأبويها. أجبيا رسول الله- قالوا. والله ما ندرى ما نقول. فقالت. إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به. فلئن قلت لكم إنى بريئة لا تصدقونى. ولئن اعترفت لكم بشئ والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقننى. فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا

أبا يوسف حيث قال "قصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"⁽¹⁾ ثم تحولت واضطجعت على فراشها. ولم يبرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه حتى نزل عليه الوحي ببراءة الطاهرة. من الآية 11-27 من سورة النور.

تحليل الأزمات

المجتمع الإسلامي منذ أن أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بداية الدعوة- وهو يمر بأزمات حيث اتفق أعداء الدين على وأده والدارس للتاريخ الإسلامي يلحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجه الكثير من الأزمات مختلفة الأشكال. ويلاحظ أن الأعداء يتفقون مع بعضهم عند محاربة الإسلام. وهذه الأزمات أبرزت لنا شخصيات عظيمة. صبروا وضحوا ببسالة وتضحيات لم تظهر في التاريخ. وليس لها مثيل. وهذه الأزمات جعلت المسلمين يضحون وتظهر بينهم روح التكافل الإجتماعى ومبدأ المشاركة مع مبدأ الثبات والإيمان لبلوغ الهدف.

(1) سورة يوسف 18

إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للأزمات

- إن العوامل التي أدت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاح الباهر في التغلب على الأزمات الرهيبة التي تعرض لها. يرجع إلى:
- 1- حسن الإعتماد على الله- مع الصبر..
 - 2- دراسة أبعاد الأزمة والإمام بأطرافها..
 - 3- البحث عن الأطراف الفاهمة المساعدة لإيجاد حل الأزمة.
 - 4- عدم تضييع الوقت واستغلال كل لحظة في التغلب على الأزمة لأن عامل الوقت مهم جداً.
 - 5- اختيار الشخصيات التي تعاون- ومشاورة أهل الخبرة.
 - 6- التعامل بهدوء ورباطة جأش.
 - 7- التوجه إلى جميع فئات المجتمع للمشاركة في وقف تيار الإشاعات- والأخذ على يد من يروج لهذه الإشاعات إعمالاً لقول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"⁽¹⁾
 - 8- العمل على ضبط النفس. وعدم الانفعال- حتى تتمكن القيادة من التفكير السليم والتخطيط الدقيق للسيطرة على الموقف. والتعامل برفق مع من تسبب في الأزمة. مع الوضع في الاعتبار أن أمر الخطأ وارد كما أن الذين يتحدثون إلى الناس عليهم أن يوجزوا طرحهم للمشكلة ووضع الحلول والغرض من ذلك أن يفهم الجميع ما يهدف إليه المتحدث.

(1) سورة الحجرات 6

9- يلاحظ أن كل أزمة لها توابع- فالقيادة الحكيمة. تذكر الناس بالأزمة. وتتصحهم لتجنب أسباب عودتها. وذلك بالبعد عن المعاصي وتجديد التوبة. ومتابعة الاستغفار. والعمل الجاد. وشغل أوقات الفراغ. وعدم التراخي. والبعد عن الغيبة والنميمة. وخلق مناخ طاهر يتسم. بسمو الروح. وصفاء النفس. والابتكار فى أساليب العمل النافع المفيد.

10- على القيادات- وهى تخبر أفراد المجتمع بزاول الأزمة- ينبههم إلى عدم الغفلة لأنه ربما تعود الأزمة ويتدرج معهم فى إبلاغ ذلك. وتأخذ هذا من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعد نزول الوحي ببراءة السيدة عائشة رضى الله عنها. بدأ يبتسم ويضحك ويبشر السيدة عائشة رضى الله عنها ببراءتها وأنها بريئة ثم تلا عليها ما نزل بشأن براءتها- والغرض من ذلك مراعاة البعد النفسى. وأثر الأزمة فى هذه النفس. ولا شك أن الفرح الشديد بعد الحزن الشديد. قد يؤدي إلى صدمة نفسية تؤدي إلى شئ لا تحمد عواقبه.

إن المجتمع الإسلامى عرف إدارة الأزمات على أعلى مستوى قبل أن تعرفه المجتمعات الحديثة بنظمها الإدارية. إن الإنسان صنعة الله- خلقه بيده- وعلمه ما لم يكن يعلم. وكرمه. وفضله على كثير من خلقه- ولهذا لم يتركه. تلعب به الشياطين. أو تتقاذفه الأحداث وإنما هداه النجدين. ووضح له طرق الحياة. وبعث إليه الأنبياء هداة مرشدين. وأنزل الكتب بين فيها معالم الخير وسيل السعادة. وأخبرنا أنه معنا. يدافع عن المؤمنين. وهو ولى الصالحين. ولا يضع أجر من أحسن عملا.

إقامة الحد على من خاض في حديث الإفك

"شغل حديث الإفك المسلمين فترة لا تقل عن سبع وثلاثين ليلة"⁽¹⁾ وكانت السيدة (عائشة) رضى الله عنها. واثقة كل الثقة. بطهارتها. وبراعتها، نفسها مليئة بالثقة في الله الذى يعلم كل شئ أنه سيبرئها. لأنها تعتر بنفسها شأن الأبرياء الذين لا يشك أحد في طهارتهم وعفتهم. لهذا كانت تثق أن الله لا يحب الظالمين. وسوف يبعد عنها كل ظن سئ أو تهمة من جاهل فلما نزلت براءتها من فوق سبع سموات انطفأت نار الفتنة التى أراد أن يشعلها المنافقون. ويروج لها اليهود. لذلك خرست الألسنة. ووقع الخزى والكآبة على من روجوا وأشاعوا كذباً وبهتاناً. ولقد عاد الهدوء إلى مجتمع المسلمين. ولكن لا بد أن يكون هناك حساب على من تناولوا وخاضوا بألسنتهم فى هذا الموضوع. يقول ابن اسحاق: "إن حسان بن ثابت. ممن خاض بلسانه فى هذا الموضوع فلما نزل قول الله تعالى "والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة. ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك الفاسقون"⁽²⁾ فضرب وضرب كذلك كل من تكلم وثبت عليه وهو منهم"⁽³⁾ حد من حدود الله نفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توابع الأزيمة

بعد أن نزلت براءة السيدة/ عائشة رضى الله عنها. وانحسرت مادة الفساد وأصاب الخزى الذين روجوا لهذه الإشاعة. وكأن شيئاً لم يكن ظهر شئ خطير بين الأوس والخزرج. لأنه فى أثناء الفتنة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى خطبته "ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى. ويقولون

(2) سورة النور 4

(1) إمتاع الأسماع للمقرئى ص 210

(3) الروض الأتف للسهيلى ج 4

عليهم غير الحق. والله ما علمت منهم إلا خيراً. ويقولون ذلك على رجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معي) فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك - وقف أسيد بن حضير. وقال يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيهم. وأن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا يأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم - تقول السيدة/ عائشة رضی الله عنها" رواية الحديث فقام "سعد بن عبادة" وكان قبل ذلك يُرا أنه رجل صالح. وقال كذبت لعمر الله. لا نضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج. ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد كذبت لعمر الله. ولكنك منافق تجادل عن المنافقين - قالت - وتساور الناس حتى كاد أن يكون بين الحيين. من الأوس والخزرج. شر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على المنبر ودخل إلى بيت السيدة عائشة رضی الله عنها⁽¹⁾ لقد اتسع الخلاف بين الأنصار. ولو ترك الأمر سيتسع الخرق على الرافع فلا بد من تدارك الأمر. خاصة. وأن المنافقين. واليهود بدعوا ينفخون في النار وعلى القائد العظيم أن يتحرك. ويطفئ النار. ويقضى على هذه الفتنة ولذلك كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بتدارك الأمر قبل أن تكبر الأزمة وتتضخم. لهذا فقد سارع النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بيد "سعد بن معاذ. وأسيد بن حضير ومعهما نفر من المسلمين. وذهبوا إلى دار "سعد بن عبادة. ومعه نفر من قومه. الخزرج. وجلسوا يتحدثون. ساعة. ثم قرب لهم سعد بن عبادة طعاماً فأكلوا. وانصرفوا. وبعد أيام. أخذ بيد سعد بن عبادة. ومعه نفر من قومه. وذهبوا إلى منزل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعندهما نفر من قومهما. فجلسوا يتحدثون ساعة. ثم قرب سعد طعاماً فأكلوا

(1) المرجع السابق

(2) إمتاع الأسماع للمقریزی بتصرف ج 1 ص 210

ثم انصرفوا. فذهب من نفوسهم ما كان من آثار لهذا الحدث وانطفت الفتنة وقضى عليها بحكمة البشير النذير⁽¹⁾ حكمة فى معالجة المشاكل وحل الأزمات. وبعُد نظر فى القضاء على الفتنة التى تفرق الجماعة. وتضعف الصف الإسلامى. لقد عاد الصفاء. وتشاغل المسلمون جميعاً بما أمرهم به الله ورسوله. وبما يعود عليهم وعلى الإنسانية من خير عظيم ونشر للإسلام فى الآفاق وهم قدوة فى السلوك الاجتماعى. والحب لبعضهم. والتآلف. والتعاون على البر والتقوى.

الأزمة الثانية

مسطح بن أثانة شاب يتيم فقير. ترعاه أمه وهى "أم مسطح ابنة رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف- وكانت أمها خالة لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. ينفق وبسخاء على مسطح وأمه. فلما خاض الناس فى حديث الإفك. كان المفروض فى مسطح أن يدافع عنها- ليكون بمثابة رد لإحسان أبيها إليه لأنه كما قال ربنا سبحانه "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"⁽²⁾ ومسطح يتكلم بما يلقيه له أبى بن سلول- زعيم المنافقين- لم يترؤ ولم يتعرف الحقيقة. وهو قد عض اليد التى تمتد إليه كل يوم بما يجعله شخصاً له مكانة اجتماعية من الناحية المالية التى يتحملها سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه- لذلك بعد أن انكشفت الغمة. وزال الكرب. وتوقفت الفتنة. وبرئت السيدة الطاهرة/ عائشة رضى الله عنها. وهدأت النفوس. فأوقف سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه الكفالة المالية.

(2) سورة النور 22

(1) سورة الرحمن 60

(3) بتصرف من الروض الأئف للسهلى ج 4 ص 12، 13

التي كان يدفعها سيدنا أبو بكر - لمسطح وأمه. وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. قد غضب غضباً شديداً من مسطح. فأقسم بالله. أنه لن ينفق على مسطح شيئاً أبداً. بعد الذى قاله ما قاله فى ابنته الطاهرة لكن من ينفق على مسطح وهو فقير جداً هنا تدخلت عناية السماء لأنها ترعى الكل فنزل قول الله سبحانه "ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين. والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم"⁽¹⁾ ولا يأتل أولوا الفضل - لا يحلف أهل الدين والغنى على أنهم لن يتصدقوا على المحتاجين وأهل القرابة من مالهم ما يغنيهم. لأن الله يتولى جزاءكم ويغفر لكم ولذلك قال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه. بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى. ورد على مسطح ما كان يأخذه. وقال. والله لا أنزعها عنه أبداً"⁽²⁾ إن الله سبحانه ما كان ليذر الناس تعترض حياتهم الأزمات وبسببها تنقطع بينهم أواصر العلاقات الاجتماعية. ويكون التناوب والهجران والقطيعة - فهذا بلاء إذا أصيبت به المجتمعات "فأقم عليها مأتماً وعويلاً، ولهذا كان من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلم "يعطى من حرمه. ويعفو عن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه. ويصل من قطعه" فالمسلم إذا قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعليه أن يقول "سمعنا وأطعنا" ويظهر لنا من قصة مسطح رغم أنه أساء الأدب. مع ولى أمره وكافله فإن الله قد أمر صاحب المال أن يعفو ويصفح لأن العفو من شيم الكرام - ومن أعطى الله - ومنع الله. فقد استكمل الإيمان. ولو أن المسلمين تعلموا لغة العفو عن أساء إليه وإذا أحسن إلى من أساء إليه لانتشر التآلف والتعاون دنيا المسلمين. وقويت شوكتهم. وأصبحوا فى دنيا الناس أمة عظيمة

لها مكانة مرموقة. وقوة يهابها العدو. ويأمن في جوارها الخائف ويعم عدلها. ومنها ينتشر السلام. والأمن الإجتماعى.

الأزمة الثالثة

من فضل الله على الأمة الإسلامية أن هيا لها من أمرها رشداً وسدد الله خطى العاملين للنهوض بالأمة لأنه سبحانه أوكل إليها نشر الإسلام. وإذاعة تعليماته. وأن يكونوا قدوة حسنة فى سلوكهم وتعاملهم مع غيرهم من الأمم. وأن يتمسكوا بالأخلاق الحسنة- لأنهم خير أمة أخرجت للناس كما قال ربنا عنهم "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"⁽¹⁾ ولما كان من توابع أزمة حديث الإفك. قصة حسان بن ثابت بن المنذر- من بنى النجار. وهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكنه خاض فى حديث الإفك. وجلد. ولكنه عاد. وتكلم فى حق صفوان بن المعطل بن ربيعة- وصفوان هذا- هو المتهم- البرئ- لأنه هو الذى جاء بالسيدة عائشة رضى الله عنها وقال فيه المنافقون ما قالوا- وكان من أصدقاء صفوان- جُعيل بن سراقه الغفارى، وجهجاه بن مسعود- فقال- عنهم- أبى بن سلول- زعيم المنافقين. أمثال هؤلاء الفقراء كان الواحد منهم لا يتكلم. فصاروا اليوم يتكلمون. وإذا بحسان بن ثابت يقول فى مطلع قصيدة شعرية له:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا

وابن القُرَيْعَةَ أمسى بيضة البلد

وهذا البيت فيه تلميح بالثلاثة. ولذلك جاء- صفوان بن المعطل- إلى جعيل بن سراقه- وقال له- إنطلق بنا نضرب حسانا- فوالله ما أراد بذلك غيرنا- ولنحن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسان. فأبى

(1) سورة آل عمران 110

جعليل أن يذهب إلا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم- فخرج صفوان-
مصلتنا سيفه حتى التقى بحسان فضربه ضربة مؤلمة- فلما صاح خرج قوم
حسان من ناديههم. فوثبوا على صفوان فأوثقوه وربطوه. وتولى ذلك- ثابت
بن قيس. فجاء عمارة بن حزم بن زيد ففك رباطه. وجاء به وبحسان إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال حسان يا رسول الله شهر على السيف
فى نادى قومى. ثم ضربنى ضربة مؤلمة كدت أن أموت. ولا أرانى إلا ميتاً
من جراحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لصفوان" لم ضربته وحملت
عليه السلاح؟ فقال صفوان يا رسول الله. آذانى. وهجانى وسفه على.
وحسدنى على الإسلام. فقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان. أسفهت
عليهم. إنهم أسلموا؟ ثم قال لمن حوله احبسوا صفوان. فإن مات حسان
فاقتلوه به. فخرجوا بصفوان وبلغ سعد بن عبادة. فأقبل على قومه من
الخرزج. فقال. عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تؤذونه. وتهجونه بالشعر. وتشتموناه. فغضب لما قيل فيه. ثم أسرتموه أسوأ
وأقبح الأسر. ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم؟ قالوا فإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بحبسه وقال. إن مات صاحبيكم فاقتلوه. قال.
سعد- والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو. ولكن
رسول الله قضى لكم بالحق. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحب أن يترك
صفوان. والله لا أبرح حتى يطلق. فقال حسان ما كان لى من حق فهو لك.
وأتى قومه فغضب قيس بن سعد. وقال عجباً لكم. ما رأيت كاليوم. إن حسان
قد ترك حقه. وتأبون أنتم. ما ظننت أحداً من الخزرج يرد أبا ثابت فى أمر
يهواه. فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق. فذهب به سعد إلى بيته.
وكساه حلة ثم خرج به إلى المسجد ليصلى فرآه رسول الله صلى الله عليه

وسلم. فقال صفوان؟ قال نعم يا رسول الله. قال من كساه؟ قال سعد بن عبادة. قال. كساه الله من ثياب الجنة. ثم جاء وفد من الخزرج فيهم حسان بن ثابت. ووقفوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسان. يا رسول الله. كل حق لى قبل صفوان فهو لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنت. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً ببير حا وهى أرض واسعة براحا لا نبات فيها ثم أهداه سيرين أخت مارية القبطية. وكان مقوقس مصر قد أهداهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأعطاه سعد بن عبادة أرضا بها نخل كثير. عوضاً له لما لحق به من أذى لأن الضرب من صفوان كان شديداً⁽¹⁾

الفتح الأعظم

من الشئ العجيب. الذى تؤيده السنة الكونية. وترويها الروايات التاريخية. والمصادر الصحيحة من كتب التاريخ. ومصادر الحديث والسنة النبوية. ويؤيدها القرآن الكريم. ويرشدنا إلى منابعها التى نستقى منها ذلك أنه العقل فى الإنسان لأنه مناط التكليف ثم إن الحياة الإنسانية لم تعرف طوال مسارها الطويل حدا لرقى الفرد فى الجماعة البشرية ينتهى إليه تدارك العقل. فالحياة متجددة. والمعارف الإنسانية متزايدة- والعقل البشرى دائب العمل. وخزائن الكون لا تزال مغلقة. وأسراره ما برحت محجبة وحقائق ما فتئت مجهولة. ومن المعلوم- أن مهمة العقل فى الحياة. هى كشف الأسرار الكونية. ومعرفة حقائق الوجود. واستخدامها فى رقى الإنسان وتخفيف أعباء

(1) القصة فى إمتاع الأسماع وهى هنا بتصرف من الجزء الأول ص 212، 213

الحياة عنه. لأنه من الغرور المدمر أن يزعم أى إنسان أنه وصل إلى العلم بحقائق الكون. وأنه حصل على ثقافة ومعارف لم يحصل عليهما غيره. لأننا نؤمن بأن ما عرفته الإنسانية عن الكون. شئ قليل جداً "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"⁽¹⁾. فالمجهول عن أسرار الكون لا يزال أعظم بكثير مما عرفته البشرية. لهذا كانت الثقافات. والمعارف لا تنتهى عند حد وما خصّلته الإنسانية قليل محدود. فعلى الإنسان أن يردد "وقل ربي زدني علماً"⁽²⁾.. ومن هنا يظهر حاجة الإنسانية إلى وجود الرسالات السماوية لقيادة العقل. إلى مجاهل الطبيعة وما وراءها. وإلى الكون وما فيه من أسرار وآيات. وآثار تدل على قدرة الواحد الأحد الذى نتعرف عليه عن طريق التفكير فى عجائب صنعته. وآثار قدرته. وبالغ حكمته ولذلك على أى إنسان يريد أن يزداد معرفته. بالكون وخالقه. وقدرته التى تربط بين عناصر الكون. ونكشف له عما يصيبه من منافع- أو يدفع عنه ما يصيبه من شرور أن يقوى صلته بالله والعقل فى الإنسان ليس بمعصوم عن الخطأ. بل ربما يكون كثير الخطأ خاصة إذا ضعف أمام الغرائز. واستجاب لدواعى القوى الشهوانية. وتصبح معارفه وسيلة لتلوين الحياة كما يشتهى- لذلك كان الأوفق وضع الضوابط الأخلاقية التى يلتزم العقل بها والتى يستحبها من يهدى الرسالات الإلهية لأنها هى التى تمدد بالخير. وترشده إلى فعله. وتهديه إلى الطريق السوى من هنا. فلو أن عباقرة التاريخ. وصناع الحياة. وعشاق فنها تتبعوا سيرة النبى العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته- وإلى أن بعثه الله رحمة للعالمين- وحتى بعد انتقال إلى الرفيق الأعلى وأراد أن يضع - هذه الحياة. فى إطارها الصحيح. وجمع ألوانها. ووجد بين أحداثها. وحوادثها. لوجد هذه

الصورة الجميلة- الكاملة العاقلة التي تعيش على خلق عظيم تحب السلم. وتدعو إلى السلام. وترفض العنف. ولا تقترب من ساحة الإرهاب هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان مع كل ذلك شخصية نشأت على فصاحة البيان. ورسالة المنطق. كان يكره الحرب. ولا يحب الخصام. وينهى عن هجر الإنسان لأخيه الإنسان مع أن الحرب سنة جرى عليها العرف الاجتماعى العربى- وكانت الحرب مألوفة عندهم عاشوا عليها ومارسوها. وتاريخهم مشحون بالحديث عنها. شعرهم. وهو سجل حياتهم. وأدبهم. ونثرهم. كل ذلك مفعم بأخبار الحرب. نصراً وهزيمة- شجاعة- وجبناً. فروسية وبطولة. تلك حياتهم عليها نشئوا وتمسكوا بها وأعلنوا "إننا وجدنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدرون" (1)

والمقتضى لأسباب الحروب التي شغلت العرب في جزيرتهم يجد أنها كانت تقوم على أسس تافه جدا. ما كانت تستأهل أن تكون دافعاً إلى إشعال نار الحرب التي تأكل الرجال. وتشرذم الأطفال. وترمل النساء. وتذل الأعداء وتنتشر الخوف والفرع بين الأمنين. لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم. لا يدعو إلى حرب أبداً ولا يبدأ بها. وإنما كان في حالة دفاع عملاً بقول الله سبحانه "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (2) وقال قبل هذه الآية "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" (3) وتعالوا بنا نقف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الفتح العظيم الذي تم بلا حرب. ولا اعتداء. ونتوجه بها إلى الناس جميعاً وننادى بنداء علمنا إياه ربنا "ادخلوا في السلم كافة" (4)

(2) سورة البقرة 194

(4) سورة البقرة 208

(1) سورة

(3) سورة البقرة 190

الرؤيا الصادقة

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام. أنه دخل مكة. وطاف بالبيت. دون أن يحدد الشهر. أو العام. فأخبر أصحابه بذلك. ففرحوا فرحاً عظيماً. خاصة أن المهاجرين اشتاقت نفوسهم لرؤية الكعبة. والطواف حولها وتطلعوا إلى رؤية أماكن صباهم. وملاعب شبابهم. والإسلام بتعاليمه زادهم ارتباطاً بالوطن لأن حبه من الإيمان. ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وصدق. لذلك تحركت كوامن الشوق. ودفين الحب وعواطف حب الوطن فى نفوسهم. وطنوا أن هذه الرؤيا ستتحقق هذا العام. فكان كل واحد منهم يهيب نفسه. ويجهز زاده ويعد راحلته. فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أنه متوجه إلى مكة معتمراً وكان ذلك فى شهر ذى القعدة سنة ست من الهجرة. وأنه لا يريد حرباً فخرج معه. "1500" ألف وخمسمائة. وساقوا معهم الهدى. وأحرموا بالعمرة. وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خارج زائراً للبيت معظماً له⁽¹⁾ وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشخص من "خزاعة" يتميز بالحصافة وبعد النظر. ولديه خبرة فى حضور الجماعات. والمشاركة فى الحوار ومعرفة بلغة الإشارة وفهم واسع لما يجرى فى المجتمعات، بعثة إلى قريش ليتعرف على أخبارهم. ويجمع المعلومات عن اتجاهاتهم. فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى "عسفان"⁽²⁾ أتاه الرجل الذى بعثه. وقال له (إن كعب بن لؤى مع قريش قد جمعوا لك الأحابيش) "جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ويستأجرون بالمال. وجمعوا الجموع وهم مقاتلون. وصادوك عن البيت. فواصل المسير

(1) يراجع زاد الميعاد ج1، وسيرة ابن هشام ج2 (2) مكان بين مكة والمدينة

حتى إذا كان "بالتثنية" برکت ناقته. فقالوا "خلأت القصواء" يعنى تعبت. فقال ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق. ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفسى بيده لا يسألونى "يعنى أهل مكة" خطة يعظمون فيها حرمان الله. ويسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها. فوثبت به وسار حتى نزل بأقصى الحديبية. فى مكان قليل الماء. فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته. وأمرهم أن يجعلوه فى بئر قليل الماء. وما أن وضع السهم حتى جاش بالماء. وما زال حتى انصرفوا".

فزع قريش

قذف الله الرعب فى قلوب المشركين جميعاً. وانتابهم خوف سيطر على نفوسهم وسبب الخوف والرعب. أن محمداً الذى تأمروا على قتله بالأمس والذي يدعو إلى السلام.. يؤمن الخائف جاء إليهم. يريد أن يدخل عليهم مكة ولا بد أن يحاسبهم على مطاردتهم له وتجميعهم الجموع وتحزيبهم الناس ضده ثم حاربوه. فانتصر عليهم- وكانوا هم الذين يذهبون إليه. ولكن ها هو اليوم جاء إلينا فماذا نصنع؟ ولقد مر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى طريقه على قبائل- بنى بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم ليخرجوا معه. وهو لا يريد حرباً. وإنما جاء معتمراً وهذا الهدى بين يديه- فاعتذروا لأنهم مشغولون بأبنائهم وأموالهم. وتهامسوا بين بعضهم وقالوا. أيريد محمد أن يغزو بنا قوماً عندهم استعداداً للحرب- فلديهم السلاح. والأعداد من الشجعان والأبطال، ومحمد وأصحابه أكلة جذور -يعنى ضعاف جداً- وهذا كناية عن قلة عدد المسلمين وقلة سلاحهم. ولذلك قالوا لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا

أبداً فسيقضى عليهم. لأنهم قوم لا سلاح معهم ولا هم عدد" (1) إن الله سبحانه ألقى في قلوب أهل مكة - ومن حولهم من الأعراب الخوف والفرع - رغم نظرتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن المشركين الذين كانوا بين القبائل يكذبون محمداً ويحشدون الحشود ضده. هم الذين سيطر عليهم الرعب. وصدق الله العظيم الذي بين لنا ذلك في قوله سبحانه "لا يغررك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد" (2).

وقوله سبحانه "إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان" (3) إن الإيمان بالله سبيل الأمن والسلام والتوفيق والنجاح.

هدايا تتدفق

مع أن القبائل كانت تتحفز برسول الله صلى الله عليه وسلم. ويريدون أن يلتقوا من حوله. ليحاصروه حتى ينزل على رأى قریش. إلا أنه صلى الله عليه وسلم ما يكاد يقترب من قبيلة إلا ويسيطر عليها الخوف. وتبعث بهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك.

1- فى مكان. الروحاء - لقي طائفة من بنى "تهد" فدعاهم إلى الإسلام - فأبوا - وبعثوا إليه بلبن من نعمهم. فرد ذلك وقال - لا أقبل هدية مشرك. فقام المسلمون بشراء هذا اللبن ودفعوا ثمنه. واشتروا كذلك ثلاثة "أضب". وهو

(2) سورة آل عمران 196، 197

(1) إمتاع الأسماع ج 1 بتصرف
(3) سورة الأنفال 12

يشبه الأرنب تقريباً. وهو يعيش في الصحراء. ولا يأكل الهوام - والعرب يحرسون على صيده وأكله.

2- أهدى إليه "الصَّعْبُ بن جُثَّامَةَ" حماراً وحشياً. فرده إليه. وقال إننا نوينا الإحرام بالعمرة. ذلك لأن الحمار الوحشى يصاد فلا يحل للمحرم أن يأكل منه لقول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم" (1)

3- وأهدى له "إيماء بن رَحْضَةَ الغفارى" مائة شاة. وبغيرين يحملان لبناً وبعث ذلك مع خفاف بن إيماء. ففرق ذلك على كل من معه- وقال: "بارك الله فيكم".

4- وُدَّان وهو واد متسع- مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأهدى إليه سكان الوادى "شئ كحمص الشام" الآن يسمى العتر- وضافيس "وله رائحة طيبة جداً- وهو شئ يشبه البطيخ والخيار. فأكل من كل ذلك وأخذ من كل شئ لزوجته السيدة أم سلمة رضى الله عنها وكان معها بعض النساء وهن:
1) السيدة أم عمارة، 2) والسيدة أم منيع، 3) أم عامر الأشهلية، 4) أسماء بنت عمرو بن عدى.. وكان كل شئ يأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم. يوزعه على كل من معه- الرجل كالمرأة عدالة في التوزيع ومساواة. حسبما أمر الله سبحانه وتعالى (2).

تخفيف من ربكم

رسول صلى الله عليه وسلم وهو بالإبواء التقى بـ"كعب بن عجرة" ورأسه ملئ بالقمل وهو محرم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تؤذيك هذه الهوام. يا كعب؟ قال. نعم يا رسول الله. قال فاحلق رأسك. وبعد لحظات نزل قول الله سبحانه "فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه

ففدية من صيام أو صدقة أو نسك⁽¹⁾ فكانت من باب التخفيف على المسلمين في كل زمان وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق.

استنفار

الخوف يسيطر على المشركين - لذلك استنفروا الشباب وجمعوا منهم مائتي فارس وأمروا عليهم "عكرمة بن أبي جهل. واستجابت ثقيف. وبعض الأحابيش. وخرجوا إلى "بلدح" ونصبوا بها الخيام. وضربوا القباب. وأخذوا نساءهم وأطفالهم. وعسكروا هناك. وقد أقسموا على منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخول مكة. إلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ "بسر بن سفيان" قادم من مكة. وقد علم خبر القوم. فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. وهنا استنثار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه. أيمضى إلى البيت الحرام. ويقاثل من يقف في طريقه أم يذهب إلى الذين استنفروا وخرجوا مع أهاليهم. فيصيبهم. فأشار سيدنا أبو بكر رضى الله عنه أن يمشوا لوجوههم ويقاثلوا من صدوهم. وقال.. "أسيد بن الخضير - يا رسول الله أرى أن نصد لما خرجنا له. فمن صدنا قاتلناه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنا لم نخرج لقتال أحد - إنما خرجنا عمارا. ويتضح من رد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يميل إلى السلم. ولا يشرع في حرب أبدا بدليل. الهدى الذى بين يديه. وقلة الصحابة الذين حوله. والسلاح الذى معه ومع علم قريش بكل هذا إلا أنها تعننت. وجمعت الشباب والأحابيش.

(2) إمتاع الأسماع ج 1

(1) سورة المائدة 95

(3) سورة البقرة 196

ومع ذلك نرى حسن الرد. وضبط النفس. وعدم الانفعال. لأنه لا يريد خلق أزمة تقوم بسببها الحرب وويلاتها معروفة.

موقف يخرج الإنسان عن طبيعته. ولكن

هناك أزمتان تصادف الإنسان. تجعل الحليم حيران. وتخرج الإنسان عن طبيعة الحلم والصبر.. لكن النبي صلى الله عليه وسلم الذى بعثه الله رحمة للعالمين. كان يتحمل ويصبر. ولا يفعل ولهذا قال الله سبحانه له "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون"⁽¹⁾ بيان لحالة النبي صلى الله عليه وسلم. وما كان يعانيه من تعنت المشركين. وقد بين الله ذلك فى قوله سبحانه "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"⁽²⁾ ولقد التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ"بُدَيْل بن وَرْقَاء" من قبيلة خزاعة فى نفر من قبيلته- فقال بديل- يا محمد. لقد اغتررت بقتال قومك. حلائب العرب- أى القبائل الكثيرة- والله ما أرى معك أحداً له وجه "يعنى معروف" وأراكم ولا سلاح معكم. فقال أبو بكر رضى الله عنه. عضضت ببظر اللات. فقال- بُدَيْل. أما والله لولا يدلك عندى لأجبتك. ووالله ما أتهم أنا ولا قومى ألا أكون أحب أن يظهر محمد. إنى رأيت قريشا مقاتلتك عن ذراريها وأموالها وقد خرجوا إلى "بلدح" مكان قريب من مكة فاضطربوا الأبنية معهم العوذ والمطاقيل "أى الأطفال والنساء. وترافدوا على الطعام يطعمون الخنزير من جاءهم يعنى الطعام الجيد الدسم. ليتفوق بذلك على حريك.. فانظر رأيك: إن قريشا جمعت أموالا. وترافدوا يطعمون من آوى إليهم من الأحابيش. وقد أعدوا موائد لذلك واحدة. فى دار

الندوة- والثانية. فى دار صفوان بن أمية. والثالثة فى دار سهيل بن عمرو. والرابعة فى دار عكرمة بن أبى جهل. والخامسة فى دار حويطب بن عبد العزى⁽¹⁾ كان خالد بن الوليد قد انضم إلى جيش عكرمة. وله وله كتيبة أخذها فصفها من ناحية القبلة. فى مواجهة المسلمين.. فدفعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ "عباد بن بشر" بمجموعة من الجنود. فقام قبالة خالد وصف كتيبته. وحانت صلاة الظهر. ولا بد للمسلمين أن يصلوا على أن يأخذوا حذرهم. لأن هذا أمر لكل مسلم من الله سبحانه فى قوله "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً"⁽²⁾ وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا. أن يؤذن ويقيم الصلاة. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش وهم يحملون السلاح لأنهم فى حالة تعبئة. العدو أمامهم. ومستعد. ولكن طمس الله على قلوبهم وأعمى بصيرتهم فلم يتحركوا. ولذلك قال خالد بن الوليد. لقد كان المسلمون على غرة. فلو حملنا عليهم أصبنا منهم. ولكن نأتى الساعة صلاة هى أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم. فننال منهم فنول جبريل بصلاة الخوف. وكان ذلك بين الظهر والعصر. وعلمها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهى الآية رقم 102- من سورة النساء. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر. على أساس صلاة الخوف. فلما أمسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تيامنوا. فة العَصَل "جبال من الرمال الملتوية" فإن عيون قريش بمر الظهران- أو- بضجنان- فأيكم يعرف تنية ذات الحنظل؟ فقال بريدة بن الحَصِيْب. أنا يا رسول الله. فقال. أسلك أماننا. فأخذ بريدة فى السير بين جبال "سراوع"، ولما انتهى منها حار. فلم يعرف الطريق. فنقدم "حمزة بن

(1) إمتاع الأسماع

(2) سورة النساء 71

عمرو" فسار بهم قليلاً ثم لم يدر أين يتوجه- فتقدم "عمرو بن عند نهم الأسلمى" فبلغ بهم المكان الذى يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه- ما مثل هذه الليلة. إلا مثل الباب الذى قال لبنى إسرائيل "ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة" ثم قال. لا يجوز هذه الثانية أحد إلا غفر له. فجعل الناس يسرعون.

حيلة لطيفة

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثنية ذات الحنظل" قال من كان معه "ثقل" دقيق- امتثالاً لتوجيه النبى صلى الله عليه وسلم رغم ما يعاونه من الإرهاق الشديد- فليصطنع- يعنى فليصنع لنا طعاماً- فقال "أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه- وأينا معه "ثقل" إنما كان عامة زادنا التمر فقالوا يا رسول الله إنا نخاف من قريش أن ترانا. وذلك لما أصابهم من هزال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنهم لن يروكم. إن الله سيغيبكم عنهم ثم أمرهم. أن يوقدوا ناراً فى أماكن متعددة. فأوقدوا النار فى خمسمائة مكان. وهذه حيلة لتعرف قريشا من أعداد هذه النار. أن الأعداد كثيرة. وأنهم يبضجون على النار للطعام وفى الصباح. جاء وفد من اليمن. فقال النبى صلى الله عليه وسلم "أتاكم أهل اليمن- كأنهم قطع السحاب هم خير من على الأرض. وكل الذين رأوا النار بالأمس. رأوا أهل اليمن. فأخبروا قريشاً فزاد خوفها وازداد الرعب عندهم: وصدق الله العظيم "إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"⁽¹⁾ نصر من الله. وفتح مبين لتبليغ الرسالة العالمية الخاتمة لرسالات السماء.

(1) سورة غافر 51 / يراجع ابن هشام. وإمتاع الأسماع.

مكابرة ومعاندة

لما نزل المسلمون الحديبية- اشتكى الناس قلة الماء- فانتزع النبي صلى الله عليه وسلم سهمان من كنانته. وأمر أن يغررز أحدهما في بئر به قليل من الماء. وما أن وضع السهم إلا وفار الماء. وأخذ المسلمون يأخذون من الماء ما شاءوا. وقد رأى المسلمون ذلك خاصة وأنهم اعترفوا ما شاءوا. كان يقف على البئر- قبل أن يوضع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من المنافقين. "الجدين قيس- وأوس بن الخولى. ومعهما أبى بن سلول) وولده - عبد الله بن سلول. وهو صادق الإيمان.. فقال "أوس بن الخولى.. ويحك يا أبا الحباب أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه. أبعدها شئ؟ فقال "أبو الحباب وهو بن سلول قد رأيت مثل هذا. فقال.. أوس.. قبحك الله. وقبح رأيك.. فأسرع ابن أبى يريد أن يواجه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن ينقل إليه أحد ما تكلم به.. فعندما رآه قال له. يا أبا الحباب. أين رأيت مثل ما رأيت اليوم؟ فقال ابن أبى. ما رأيت مثله قط. قال. فلم قلت ما قلت؟ فقال ابن أبى. استغفر الله العظيم فقال ابنه. استغفر له يا رسول الله. فاستغفر له. إكراماً لولده صادق الأيمان ولقد نزل مطر شديد فى أول ليلة للمسلمين وهم بالحديبية. وكثر الماء. ولذلك نودى على المسلمين أن يصلوا فجر اليوم فى رحالهم. وقد أشاع ابن سلول. أنهم مطروا بالنوء "يعنى الخريف" وإذا لم يكن الخريف. فقد مطرنا بالشعرى. فلما أصبح الناس وانتشر هذا الكلام. أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس. وقال لهم "هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا. الله ورسوله أعلم. قال قال الله. أصبح من عبادى مؤمن بى- كافر بالكواكب- ومؤمن بالكواكب كفر بى. فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب. وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا

فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب"⁽¹⁾ هذا التوجيه النبوى ليعلم الناس أن كل شىء فى هذا الكون إنما يجرى وفقاً لمشيئة الله سبحانه وحسب إرادته. وأمره "فسبحانه الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون"⁽²⁾

الاستشعار من البعد

ليس من رأينا إنكار الإرهاصات التى لا تقف عند نبى. ولا ولى. ولكنها تكون بين يدي الناس جميعاً فى المنام. أو اليقظة. مثال ذلك. ما جاء فى سورة يوسف "وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف. وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها المأأفتونى فى رؤياك إن كنتم للرؤيا تعبرون"⁽³⁾ وكما جاء فى سورة القصص عند الحديث عن أم موسى فيقول الله سبحانه "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليه وجاعلوه من المرسلين"⁽⁴⁾ والآيات فى ذلك كثيرة. وهذا ما يسميه البعض الاستشعار من البعد. ولو أن باحثاً حاول أن يحصر الإرهاصات المروية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لوجدها كثيرة فى العدد والنوع والأسلوب. والإرهاصات. حوادث أو إخبار عن شىء يسميه بعض الناس. بالأعاجيب. أو الحاسة السادسة ويسميه العلماء. إن وقعت من نبى قبل البعثة إرهاصات. وبعد البعثة. معجزة. والمسألة ليست مسألة عقل يحكم. أو منطق نقيس به وإنما يكون ذلك فى منطق العقل المنضبط المتوازن. وقضايا العلم الصحيح. وقوانين المنطق

(2) سورة يس 83

(4) سورة القصص 7

(1) إمتاع الأسماع. والحديث بمسند الإمام أحمد ج 4

(3) سورة يوسف 43

(3) سورة الحجر 77. والحديث رواه الترمذى رقم 3052

السليم الذى يجعل العقل خاضعاً لمشيئة الله الخالق. ثم إن العقل الإسلامى الذى يلتزم حامله بهدى السماء. وتعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتسم بالذكاء بسبب النور الذى قذفه الله فيه بسبب تقوى الله سبحانه. وحب الخير للناس جميعاً. وقراءة القرآن. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والبحث والتنقيب عن العلوم والمعارف والثقافة. والتفكير فى خلق السموات وما فيها والأرض وما عليها. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ "إن فى ذلك لآيات للمتوسمين"⁽¹⁾ والمتوسمين - أى المتفرسين إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم تمتع - وبدرجة عالية جداً بالفراسة. وبعد النظر والعقل المتوازن. والنطق السليم. وظهور الإرهاصات بين يديه قبل النبوة خاصة الإرهاصات المروية - عن حمله. وولادته.. ولم تقف هذه الإرهاصات عن حد معين. ولكن ثبت أنه كان لها صلة بكل شئ فى الأرض. وفى السماء. فى البر والبحر. فى أرض العرب. وفى بلاد العجم. فأيوان كسرى ارتجف. وسقطت بعض شرفاته - وخمدت نار فارس. وهى التى مضى عليها ألف عام لم تخدم. وغاضت بحيرة ساوة. وبشرت به وحوش المشرق - وحوش المغرب - وعندنا حادث الفيل. وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم. إن وقوع مثل هذه الحوادث تخفى أسبابها على عقول البشر. خاصة أنه ليس لدى هذه العقول معرفة بعوامل إنشائها على أن وقوع الإرهاصات التى تسبق ميلاد النبى: أمر قامت على جوازه دلائل قطعية فى الكتب السماوية. والنقول التاريخية التى تكاد أن تبلغ مبلغ التواتر ويدل على ذلك البراهين العقلية التى تقرر إطلاق قدرة الله الخالق من قيود العادات والقوانين المعلومة للبشر على قدر

(1) سورة الحجر 77. والحديث رواه الترمذى رقم 3052

عقولهم. وأنهامهم. ولذلك نلحظ من قرائتنا لكتب المرويات عن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان في طفولته كأحسن ما يكون الأطفال ذكاءً. ونشاطاً. وطهارة نفس. وصفاء قريحة. وسرعة بديهية. وأدب جم. وحياء وعدم تطلع إلى ما في يد الغير. ثم كان في شبابه. رجاحة عقل. وقوة بدنية. ودمائة خلق وفراسة. وقدرة على حل المشاكل. والتآلف. وحب الخير للناس. يحسن إلى من أساء إليه. بعيد عن كل خلق دنى. عالى الهمة. يتحلى بمروءة عالية. يصل رحمة. ويشكر لمن أحسن إليه. ويساعد المحتاج. ويقدم مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصية لهذا رأيناه في كل أيامه - ينسى الإساءة ولا يذكرها. ويذكر الإحسان ويشكر فاعله. وقد أهدى له "عمرو بن سالم، ويسر بن سفيان" الخزا عيان وهو بالحديبية - غنماً وجزوراً - ثم - إن عمرو، وبسر أهديا كذلك "السعد بن عبادة. غنما وجزورا" وكان صديقاً لهما فحاء سعد بالغنم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بأن عمروا وبسرا - أهديا إليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله في عمرة وبسر ثم أمر بالجزر فنحلات وقسم اللحم على الجميع. ثم فرق الغنم عليهم ولم يبق شيئاً. ثم دخل على أم سلمة بمثل ما أرسل لكل صحابى. ثم أمر بكسوة لمن جاء بالهدية. ولم يؤثر نفسه بشئ. وإنما تعامل نع الصحابة على أنه كواحد منهم وهذا أسمى درجات العدل - والمساواة - والإحسان. ومن هنا كانت الشفافية وعلو الهمة. والصدق فى التعاون - والإيثار. ولهذا نرى.

(1) جاء "بديل بن ورقاء - ومعه ركب من خزاعة - وقد كانوا عيبة(1) نصح لرسول الله منهم المسلم ومنهم الموادع. لا يخفون عليه شئ. فسلموا. ثم قال "بديل" جنناك من عند قومك "كعب بن لؤى - وعامر بن لؤى" قد

(1) عيبة وعاء من جلد يحفظ فيه المتاع - وهذا تشبيه لقلوبهم وما فيها من المودة والنصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم

استتفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم. معهم- النساء والأطفال. يقسمون بالله لا يُخلون بينك وبين البيت الحرام حتى تميد خضراؤهم- أى يتم هلاكهم. فقال صلى الله عليه وسلم "إنا لم نأت لحرب أحد. وإنما جئنا لنطوف بالبيت. فمن صدنا عنه قاتلناه وقريش قد أضرت بهم الحرب. فإن شاؤا ماددتهم مدة يأمنون فيها. ويخلون فيها بيننا وبين الناس. وهم أكثر منهم فإن ظهر أمرى على الناس. كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس. أو يقاتلوا وقد جموا- أى استراحوا- والله لأجهدن على أمرى هذا إلى أن تنفرد سالفتى أو يُنفذ الله أمره فعاد بُدِيل وركبه إلى قریش الذين تواصلوا أن يسألوا بديلاً عما جاء به من عند محمد فلما رأى بُدِيلًا- أنهم لا يسألونه- قالوا. إنا جئنا من عند محمد- أتحبون أن نخبركم. قال عكرمة بن أبى جهل. والحكم بن أبى العاص. لا- والله ما لنا حاجة بأن نخبرونا عنه. ولكن أخبره عنا. أنه لن يدخل علينا عامه هذا أبد حتى ولو أفنتنا الحرب. ولم يبق منا رجل واحد: أراد أهل مكة بتعننتهم أن يخلقوا أزمة وبلا سبب لكنه التعننت ليس أكثر. وهل يستمرون فى ذلك: نسمع صوت عاقل يقول لهم. هو صوت "عروة بن مسعود ويسمى بـ "قيس" وقال لأهل مكة أرى أن تسمعوا لبُدِيل. فإن أعجبكم كلامه فأقبلوه- وإلا فاتركوه- فقال "صفوان بن أمية، والحارث بن هشام لبُدِيل. أخبرنا بالذى رأيت. فأخبرهم بما سمع من فم النبى الطاهر صلى الله عليه وسلم فقال عروة بن مسعود. فإن بُدِيلًا قد جاء بخطة رشد. لا يردها أحد إلا وقع فى شر. فأقبلوها منه. وابعثونى حتى آتيكم بالخبر الأكيد اليقين. وأكون لكم عينا- على محمد وصحبه. فبعثوه. فلما جاء إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال- يا محمد لقد تركت قومك. على أعداد ماء الحديدية- يقصد آبار الحديدية- وهى كثيرة جداً. قد استتفروا لك. وهم

يقسمون بالله. لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم. وإنما أنت من قتالهم بين أمرين. إما أن تجتاح قومك. ولم نسمع برجل اجتاح قومه قبلك - أو بين أن يخذلك من معك. فإنى لا أرى معك إلا أوباشا من الناس لا أعرفهم ولم نر جوههم من قبل: ولم نعرف أنسابهم فغضب سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال - لعروة. امضض بظر اللات. أنحن نخذله فقال - عروة - أما والله لولا يدلك عندى لأجبتك. وكان عروة - وهو يتحدث. يمد يده فيمسك بلحية رسول الله. وهو يكلمه. وهذه عادة سيئة عند العرب. وقد كان يقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم "المغيرة بن شعبة" والمغيرة عمه. فكان المغيرة يضرب يد عمه بقوة ويقول له "أكف يدك عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك فقال عروة - ما أفضحك وأغظك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عروة من هذا يا محمد؟ فقال ابن أخيك المغيرة بن شعبة - فقال أى غدر - وهل غسلت سوعتك إلا بالأمس. فلما فرغ عروة من كلامه ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لبُدَيْل بن ورقاء فعاد عروة إلى قريش. فقال. يا قوم قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشى وإنى والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من - محمد فى أصحابه فوالله ما يشددن النظر إليه - يعنى لا يرفعون أعينهم إليه ألباً منهم وحياء. وما يرفعون أصواتهم بين يديه. وما يكفيه إلا أن يشير إلى أحد فيفعل. وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر من هذا الماء شئ. واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم. وقد رأيت قوماً لا يباليون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم. والله لقد رأيت "تسيات" يعنى نسوة. إن كن ليسلمنه أبداً وعلى أى حال - قروا رأيكم؟. لقد عرض الرجل عليكم خطة - فمادّوه - يعنى حددوا مدة معينة بينه وبينكم - يا قوم اقبلوا ما عرض فإنى لكم

ناصح مع إني أخاف أن لا تتصروا عليه، رجل أتى البيت معظماً له - معه الهدى ينحره - وينصرف. فقالوا لا تكلم أحدا بهذا ياأبا يعفور - فلو أن غيرك تكلم بهذا - لكان لنا معه شأن آخر. ولكن محمداً نرده هذا العام. ويرجع فى العام القادم" (1)

إن قريشاً تحاول أن تضع العراقيل - لكن حلم النبى صلى الله عليه وسلم كان أكبر من تأمرهم وكل أزمة يضعونها - يحلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ببسر وسهولة وإقناع.

فراصة ونباهة

بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "مكرز بن حفص" وما أن اقترب من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه "إن هذا رجلاً غادر. فاجر لقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل. من حركته. ولفته. وتطلعه. لكنه لم يجد ما يزايد عليه. فسمع ما سمعه ممن سبقه ولذلك رجع إلى قريش. ولم يزد على من سبقوه. وفى أمثال هذا بعض الأشخاص فى المجتمع الإسلامى. وهم يزيّدون ويعيدون ليشعلوا نار العداوة. فهل لهم أن يتعلموا من العرب فى جاهليتهم ثم إن قريشاً أرسلت "الحليس بن علقمة" سيد الأحابيش ورئيسهم فما أن بلغ الحليس من مكان النبى صلى الله عليه وسلم إلا وقال لأصحابه "هذا من قوم يعظمون الهدى - ويتألهون - أى هم قوم يعظمون الهدى ويتنسكون ويعتبدون - ناس طبيون ابعثوا الهدى فى وجهه. فلما رأى الهدى يسيل فى

(2) طبقات ابن سعد ج 2

(1) إمتاع الأسماع، الروض الأثف ج 4 بتصرف

الوادي- عليه القلائد. قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله"⁽¹⁾ وقد استقبله القوم في وجهه ملينين. وقد تفلوا وشعثوا يعني تغيرت رائحتهم من شدة الحرارة. وانتفت شعرهم لأنهم لم يدهنوه من زمن طويل. فرجع الرجل لأنه رأى الحقيقة. ناس أحرما وجاءوا بالهدى فلم يمنعوا ولما وصل إلى قريش قال- رأيت ما لا يصد- رأيت الهدى في قلائده قد أكل أوباره معكوفاً "محبوساً" عن محله، والرجال قد تفلوا وقملوا لأنه لا يجلب لهم خلع الإحرام إلا بعد أن يطوفوا بهذا البيت. أما والله ما على هذا حالناكم ولا عاقبناكم على أن تصدوا عن بيت الله من جاء معظماً لحرمة مؤدياً لحقه. والهدى معكوفاً أن يبلغ محله. والذي نفسى بيده لتخلن بينه وبين ما جاء له. أولأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد- قالت قريش. كل ما رأيت مكيدة من محمد وأصحابه- فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما ترضى به. ونعجب من أنفسنا إذا أرسلناك إنما أنت أعرابي جلف.. إن التاريخ لا يكذب. فكل شئ مسجل. ونقول هذا في حل الأزمات ليعرف الناس إلى حد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمال الإنساني. ومحاولة فك الصراع وحل الأزمات بيسر وسهولة. وقدرته في ذلك دروس نتعلمها ونقتبس منها. ونحاول أن نطبقها. حتى يجد المجتمع الإنساني. راحة البال. وهدوء السر في جو كله أمن وسلام. وتعايش سلمى مع الآخرين: لينعم العالم بالهدوء والاستقرار.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

المفاوضات أسلوب عظيم في حل الأزمات الإجتماعية. وإذا كان المشركون قد أرسلوا من قبلهم بعض المفاوضين. إلا أن قريشا تعنتت

فالرسول صلى الله عليه وسلم رأى بفراسته أن يبعث من جانبه بشخصيات لها سمات معينة ليطمئن على أن رسالته وصلت دون تحريف أو تزويد إلى قريش. فبعث بـ"خراش بن أمية" لأنه له بمكة أهل يمنونه من اعتداء قريش عليه. وكلفه النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقل رغبة المسلمين في أداء العمرة وأعطاه جملة المسمى بـ: ثعلب" وما أن وصل مكة. ودخل إلى أشرافها. حتى عقر "عكرمة بن أبي جهل" الجمل. ثعلب ودخل على نادى قريش هائجاً يريد أن يقتل "خراشا" لكن قومه منعه⁽¹⁾ فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. عندئذ اختار النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان بن عفان "ذو النورين" وبعث معه عشرة من الصحابة. وقد استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوروا أقاربهم. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أن يزور المسلمين المستضعفين في مكة ويبشرهم بقرب الفتح وأن الله مظهر دينه.

وقفة

أرأيت هذه الثقة. وهذا الأمل. نبي محاصر لا يستطيع أن يدخل مكة. ومع ذلك يبشر بالفتح- وهذا درس للقادة. عليهم أن يتعلموه. ثقة في الله وأمل. ورجاء مع عزة نفس وعلو همة. وكفاءة في التخطيط. وقدرة في الأداء. إنها العبقرية الفذة وقد تتلى بها أظهر شخصية..

وصول عثمان

بلغ "إبان بن سعيد الأموي" من قبيلة سيدنا عثمان وقريبه. بأن عثمان في طريقه إلى مكة. فخرج لاستقباله. وبعد أن رحب به أعلن أن عثمان في

(1) الروض الأنف للسهيلى ج4 وإمتاع الأسماع

جواره. وقال له- تحرك كما تشاء ولا تخاف من أحد مهما كان. بنو سعيد أعزة الحرم- سيدنا عثمان يتحرك في مكة يزور المؤمنين المستضعفين. ويبلغهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجالس أشرف قريش ويعرض عليهم السبب المباشر لمجئ المسلمين. فقالوا يا عثمان. بلغت رسالة نبيك. فقم وطف بالبيت. فقال. ما كان لمتلى أن يسبق رسول الله. والله لا أطوف حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً. أخذوا يماطلون سيدنا عثمان وهو صابر لكنهم كانوا يدبرون خطة فاشلة كآرائهم⁽¹⁾.

خطتهم

فكر المشركون في قتل النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه. لذلك اختاروا كتيبة قوامها. خمسون جندياً بقيادة "مكرز بن حفص" وذهبوا ليلاً. ورسوموا خطتهم على مداومة المسلمين ليلاً، سيدنا عثمان رضى الله عنه بمكة لم يعلم بهذه المؤامرة. لكنهم يمكرون وعند الله ما مكروا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قبيل المغرب. يختار الحراس الذين يحرسون الموقع "المعسكر" ليلاً. لقد كانت نوبة الحراسة على ثلاثة فقط هذه الليلة- وهم- محمد بن مسلمة.. وعباد بن بشر. وأوس بن خولى. ففي منتصف الليل تقريباً لاحظ الثلاثة من المسلمين أن جنداً يتحسس أى ثغرة فى المعسكر. فأحاط الثلاثة بالخمسين الذين فوجئوا بالمسلمين فرموا أسلحتهم واستسلموا وأسروا. وبلغ خبر أسرهم قريشاً. فبعثوا بجمع يرمون معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل. فتغلب عليهم المسلمون وأسروا منهم إثني عشر شخصاً على الخمسين فيكون عدد الأسرى حوالى (إثنان وستون) وقد قتل من

(1) زاد المعاد بتصريف ج 1

المسلمين شخص واحد. ولما وقف الأسرى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلغهم ما جاء به وأراهم الهدى. وها هم بملابس الإحرام. وبعد أن أبلغهم ذلك عفا عنهم. وأطلق سراحهم. وسلمهم أسلحتهم. يا سبحان الله. خلق نبيل. وقيم رفيعة. ومبادئ قيمة. علماً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعفو عنهم بلغة. أن سيدنا عثمان قد قتل. وبعد أن فك أسرى المشركين قال "لا نبرح حتى نناجزهم الخرب" ثم اتجه رسول الله صلى الله عليه إلى منازل - بنى مازن بن النجار "وهم أخوال أبيه" - وكانت لهم منازل بالحديبية - فجلس في رحالهم وأعلن أنه سيحارب المشركين ثم قال - "إن الله أمرنى بالبيعة". يعنى بأخذ البيعة على المسلمين فمن شاء الحرب بايع. ومن لم يرد الحرب لا يكره على البيعة..

بيعة الرضوان

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الناس أن يبائعوه - على أنهم لن يفروا حتى الموت. وسميت بيعة الرضوان - وكانت تحت شجرة الرضوان فأقبل الناس يبائعون. وقد داسوا على فرشهم من السرعة. لأنهم لم يتمكنوا من لم الفراش. وما بقى أحد من المسلمين إلا وباع - الجد بن قيس أخو بنى سلمة. يقول عنه بعض الصحابة. فكنا إذا نظرنا إليه. يلصق إبطه. بناقته. يستتر بها من نظر الناس إليه لأنه كان يريد ألا يبائع - لكن عند البيعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ووضعها. وقال "هذه عن عثمان" وفيها نزل قول الله سبحانه "لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبائعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً. ومغانم

كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً. وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه. وكف أيدي الناس عنكم. ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً. وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها. وكان الله على كل شئ مقتدراً⁽¹⁾ بهذه البيعة المباركة نهض المسلمون ولبسوا سلاحهم. حتى النساء. فأمر عمارة بعد البيعة عمدت إلى عمود. ونزعته وأمسكته في يدها وشدت سكيناً في وسطها. ووقف المسلمون على أهبة الاستعداد.

خوف ورعب من الرسول صلى الله عليه وسلم

بلغ المشركون نبأ هذه المبايعة- ومبايعة لسيدنا عثمان رضى الله عنه فأصيبوا بهلع وفرع ورعب وخوف وأصبحوا يتخبطون. خاصة وهم يعلمون أن المسلمين في حالة دفاع- وهم يقبلون على الموت كما يقبل أحدهم على الدنيا. وقد أدركوا أن معونة الله معهم. وقد شاهدوا في بدر. وأحد. والأحزاب. وغير ذلك. ورغم أن معهم الشجعان والأبطال. والأحزاب والسلاح وكل ما فيه نفع لهم. ومع ذلك. حاقت بهم الخسائر. ونزلت بهم الهزائم فهم ينفقون أموالهم ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون. إذا فهناك قوة أقوى من أى شئ إذا فما العمل. لذلك سارعوا فأرسلوا بسيدنا عثمان إلى المسلمين ليروه وليعلموا أنه حى لم يقتل. ويسألوا محمداً حسن صلة الرحم- إن المسلمين استعدوا استعداداً رائعاً وعظيماً وأنهم لم يفروا لأن الله سبحانه قال لحبيبه ومصطفاه "إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً"⁽²⁾ كان المشركون بمكة يرتجفون. ولكنهم

(1) سورة الفتح 18 - 21

(1) سورة الفتح 10

يفكرون فيمن يذهب إلى محمد يقنعه بأن يرجع هذا العام ويأتي في العام القادم لأن دخوله عليهم هذا العام فيه إذلال لهم. وضياح هيبته. ومحمد بفعله هذا سيحافظ على مكانة قريش. وهم أهله وعشيرته. وقد وقع بصرهم على شخصية لها مكانتها الإجتماعية وأرسلوه إلى سيد الخلق ليوافق على حل الأزمة وفك الصراع. وتهدئة النفوس.

صلح الحديبية

قديمًا قال الشاعر:

بلادى وإن جارت على عزيزة

وأهلى وإن ضنوا على كرام

ورسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أحفظ الناس لكرامة أهله. ولذلك قال "والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة. يعظمون فيها حرمانات الله. ويسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. لذلك اختار المشركون "سهل بن عمرو" ليذهب إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مفاوضاً. وطلبوا منه أن يكتب معاهدة صلح مع محمد ومن أمثال العرب "إذا أرسلت فأرسل حكيمًا ولا توصه" وسهيل معروف بالحكمة لذلك عندما أرسله المشركون. ودخل إلى معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - لأصحابه. سهّل لكم. فقال. سهيل. يا محمد. إن هذا الذى كان. من حبس أصحابك. وقتال من قاتلك. لم يكن من رأى نوى رأينا. بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به. وكان من رأى سفهائنا، بينما سهيل يتفاوض - أرسلت قريش إلى عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين. وقالوا له إن أحببت أن تدخل إلى مكة ونطوف بالبيت فافعل. فوافق. فقال له ولده. عبد

الله. يا أبت اذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن. تطوف. ولم يطف
رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرد على قريش لا أطوف حتى يطوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم....

ثم إن سهيلاً واصل المفاوضة. واتفقوا على:

(1) أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه هذا ويرجع في العام
القادم. ويقيم بمكة - ثلاثة أيام.

(2) وضع الحرب بين المسلمين وقريشاً عشر سنوات⁽¹⁾. يأمن فيها الناس
ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال ولا إغلال "يعنى لا خيانة. ولا
تأمر تخفى عن أعين الناس. ولا تسل السيوف".

3- من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل. ومن أحب أن يدخل
في عهد قريش وعقدها فعل.

4- من أتى من قريش إلى محمد مسلماً بغير إذن وليه - رده محمد إلى
قريش. ومن أتى من المسلمين إلى قريش لا يردونه.

5- في العام القادم لا يحمل المسلمون عند دخولهم مكة أى سلاح إلا
سلاح المسافرين. وتكون السيوف في القرب.

وقد وافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك قال سهيل نكتب بهذا
كتاباً فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجئ بالدواة والقلم ونودى على
"أوس بن خولى" ليكتب. قال. سهيل. لا يكتب إلا ابن عمك على - أو -
عثمان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب سيدنا على رضى الله
عنه.

(1) جاء في بعض الروايات أنها اربع سنوات

حلم، وتنازل

سأل سيدنا على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يكتب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال - سهيل. لا أعرف الرحمن - أكتب - باسمك اللهم، تأفف المسلمون. وبدا عليهم الضيق من ذلك. وقالوا. والله لا نكتب إلا الرحمن. فقال سهيل إذا لا أفاضيه على شئ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا على كرم الله وجهه. أن يمحو ذلك. وأن يكتب ما قال سهيل. ففعل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب. هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل. لو نعم أنك رسول الله ما خالفناك فقال النبي صلى الله عليه وسلم - إمحها يا على و اكتب. محمد ابن عبد الله. فرفض سيدنا على كرم الله وجهه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم الصحيفة. ومحاها. وهكذا بالحلم والسماحة. والتنازل. تحل الأزمات. والصراعات. ويقضى عليها.. وهذه دروس نتعلمها من نبي الرحمة. ورسول السلام. والمؤيد بالوحي. المتوكل على الله. الذي أعز الله جنده. وهزم الأحزاب وحده.

موقف المسلمين

لقد علت أصوات المسلمين بالاحتجاج. وقال رجال يقولون لا نكتب إلا محمدا رسول الله وأخذ أسيد بن حضير. وسعد بن عبادة بيد على كرم الله وجهه. أمسكها حتى لا تمحو "محمد رسول الله" فمحاها النبي صلى الله عليه وسلم - وقالوا يا رسول الله - السيف بيننا وبينهم. علام نعطي الدنيا في ديننا. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدئ من روعهم ويهون عليهم. ويرفع يده لهم ليسكتوا. ولذلك تعجب سهيل ومن معه من المشركين من هذا

الحب والوفاء. والنصيحة من المسلمين. لهذا الرجل من وجهة نظرهم إنهم مشركون. لا يعرف الواحد منهم طعم الحب لله. ولرسوله. ولا يعرفون الوفاء. ولا قيمته. أحاط المسلمون برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون أنه تحمل فوق طاقتة. وأنه يمد حبل المودة الملئ بالرحمة لهؤلاء الناس ولكنهم للأسف. لا يفهمون. ولا يقدرّون. إن المسلمين رغم ما بهم من ضيق لكنهم لا يخرجون أبداً عن طاعتهم وولائهم لله ولرسوله. وهم يقرّعون قول الله سبحانه "من يطع الرسول فقد أطاع الله"⁽¹⁾ فرغم ما بهم من ضيق إلا أنهم لم يخرجوا عن دائرة الأدب والاحترام لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أعلن أنه عبد الله ورسوله. ولن يخالف أمره. لأنه سبحانه. لن يضيعه أبداً.

صحة

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه- وهو القوى الذى يهرب الشيطان من أى طريق يسلكه عمر. كان فى ذهول لما يجرى أمامه. وفجأة- وقف وتوجه إلى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه. وقال- يا أبا بكر. ألسنا بالمسلمين؟ قال. بلى. قال فلم نعطى الدنيا فى ديننا؟ فقال له. سيدنا أبو بكر رضى الله عنه. إلزم غرزك. يعنى. إلزم حدك واعرف قدرك. أنا أشهد أنه رسول الله. وأن الحق ما أمر به؟ ولن يخالف أمر الله. ولن يضيعه. فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له "ما قاله لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه. وجعل يردد ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له. أنا رسول الله ولن يضيعنى مراراً. فقال سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضى الله

(1) سورة النساء 80

عنه. يا عمر ألا تسمع ما يقول. تعوذ بالله يا عمر من الشيطان وأتهم رأيك. لكن سيدنا عمر رضى الله عنه كرر مرة ثانية إلى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وقال له. ألم يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال. بلى. ولكن هل أخبرك أنك نأتية هذا العام؟ قال سيدنا عمر رضى الله عنه لا. فقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فإنك آتية ومطوق به. إن شاء الله.

هل هذا صلح مهين؟

الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه- أنه رأى فى المنام. ورؤيا الأنبياء حق. أنه دخل المسجد الحرام- وطاف بالبيت هو وأصحابه. والرؤيا قصها القرآن بعد تحققها فى قول الله سبحانه "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون. فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً"⁽¹⁾ لكن ما حدث من هذا الصلح الذى قال عنه سيدنا عمر رضى الله عنه- علام نعط الدنيا من أنفسنا. لهذا اعتبره البعض أنه صلح مهين. وداخل الصحابة من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا- ويتبين لنا أن الإنسان أفاقه ضيق. ومهما كان عقله فلا بد أن يمد بعون الله. لأن العقل قاصر. ولا يدرى أين يكمن الخير "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"⁽²⁾ فليس صلح الحديبية مهينا أبداً. وإنما هو فتح عظيم ونصر مبين. ويتبين ذلك.

(2) سورة البقرة 216

(1) سورة الفتح 27

الصلح العظيم، الفتح المبين

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمتع بفراصة. وبعد نظر. ويتسم بالحلم والصبر ولقد كان من هديه. أن من جهل عليه. صبر عليه. ومن أغلظ له القول. ألان هو القول ولهذا نرى أن صلح الحديبية الذى ظنه البعض غيباً. وتحمله المسلمون لقوة إيمانهم بالله. وشدة طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. دلت الأحداث على أنه كان فتحاً مبيناً. ومكسباً عظيماً. وانتصاراً رائعاً. فقد كان من مكاسبه:

1) اعتراف قريش بقوة المسلمين. ومكانتهم فى المجتمع. وتأثيرهم فى مجريات الأحداث.

2) تسليم المشركين بأن المسلمين أصبحوا ولهم قوة ومكانة اجتماعية يحسب حسابها. وكفريق قوى. تبرم معهم المعاهدات. ويتم معهم المفاوضات.

3) من ثمار هذا الصلح- الهدنة- حيث يتمكن المسلمون من الاستراحة. فقد شغلتهم قريش. بالمناوشات- وتحزيب الأحزاب- قياتى هذا الصلح ليستريح المسلمون من الحروب التى شنت عليهم. واستهلكت قوتهم.

4) بهذا الصلح قدم المشركون أعظم خدمة للإسلام. ففى الهدوء والأمن والسلام خالط المسلمون المشركين. وقد أقر المشركون بمحاسن الإسلام. وما صنع فى نفوس معتنقيه فى تهذيب الأخلاق. وتطهير العقول وتحريرها. وتركية النفوس.

5) عرف المشركون- رغم عنادهم. وجحودهم- أن تعاليم الإسلام. وصحبة النبى صلى الله عليه وسلم هى التى هيات المسلمين ليكونوا على هذا المستوى من الأمل فى غد مشرق. ونصر مبين. وتحقيق العدل والمساواة. وحسن الظن بالناس.

6) عرف المشركون أن الإسلام قدر مكانة المرأة. وأمر بعدم عضلها. وأوجب لها الحق في الميراث. ومشاركتها في العمل الاجتماعي. وأن لها ما للرجل من حقوق. وعليها ما على الرجل من واجبات.

7) أصبح المسلمون نمطاً من البشر سوى بعد أن كان ينفّر الناس منهم واختلط المسلمون بالمشركين. فكان ذلك باعث قوى على تفهم الإسلام والإعتراف بتأثيره في النفوس والنهوض بالبشر - وتآلف الناس على البر والخير والإحسان.

8) كان من فوائد صلح الحديبية. وما رآه العرب وسمعوا به من موقف النبي صلى الله عليه وسلم وما ظهر من رغبته في زهده في الحرب. والسعي في الصلح. والرضا رغم غلظة المشركين. وثقتهم في الشروط. لهذا تغيرت نظرة القبائل إلى الإسلام. ونشأ في نفوسهم إجلال للإسلام وتقدير عظيم للداعي إليه.

شهادة

يقول الإمام ابن شهاب الزهري المتوفى عام "124هـ". ما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه. فقد كان القتال حيث يلتقى الناس "قى ميادين الحرب" فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها. وأمن الناس. وكلم الناس بعضهم والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة. فلم يكلم أحد - أحداً في الإسلام إلا دخل فيه.. لذلك دخل في الإسلام في سنتين مثل ما دخل في الإسلام قبل ذلك وأكثر" قال ابن هشام - والدليل على قول الزهري - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في "ألف وربعمائة" في قول جابر بن عبد الله. ثم خرج في عام فتح مكة بعد سنتين في "عشرة آلاف

مقاتل" لقد أسلم عدد كثير من بينهم "خالد بن الوليد" وعمرو بن العاص والحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات.

معارضة

سيدنا عمر رضى الله عنه تزعم فريق المعارضة. لهذا الصلح. وهى معارضة بناءة لا تخرج على القيادة وإنما تبحث عن الحقيقة. فعمرو يقول - ما شككت منذ أسلمت إلا الساعة. والمسلم بطبيعته قد يشك. ثم يفكر. ويسأل أهل الخبرة. ليستوضح الأمور. فيتبين له الحق. فيذهب الشك من نفسه - يقول ابن عباس عن الشك هو شئ لا يسلم منه أحد - ثم ذكر ابن عباس. قول نبى الله ابراهيم عليه السلام "ولكن ليطمئن قلبى" فهذا من باب الوسوسة. وورد فى الأثر "الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة".⁽¹⁾ فلما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحرك ليعود إلى المدينة المنورة - كان لابد أن ينحر هديه - ويحلق شعره - فأمر المسلمين. أن يتحللوا من عمرتهم. بالذبح والحلق. فلم يبادروا بامتثال الأمر. ودخلهم هم عظيم وسيدنا عمر رضى الله عنه يقود مجموعة من الصحابة. وقال يا رسول الله. ألم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد الحرام. وتأخذ مفتاح الكعبة. وتُعرِّف مع المُعرِّفين "يعنى يقف على عرفات" وها هو هدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن طفنا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لكم فى سفركم هذا؟ قال - عمر - لا - فقال صلى الله عليه وسلم أما إنكم ستدخلونه. وأخذ مفتاح الكعبة. وأحلق رأسى ورؤوسكم ببطن مكة. ثم أقبل على عمر رضى الله عنه. وقال أنسيتم يوم أحد "إذ

(1) الروض الأنف للسهيلى ج4، سيرة ابن هشام

تصعدون ولا تلوون على أحد. وأنا أدعوكم فى إخراجكم- أنسيتم يوم الأحزاب. إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. أنسيتم يوم كذا يوم كذا. والمسلمون يقول- صدق الله وصدق رسوله- يا نبى الله- ما فكرنا فيما فكرت فيه. ولأنت أعلم بالله وبأمره منا. فلما أدى رسوله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء. وحلق رأسه قال هذا الذى قلت لكم. فلما كان يوم الفتح أخذ مفتاح الكعبة- وقال ادعوا إلى عمر بن الخطاب فقال هذا الذى قلت لكم. فلما كان فى حجة الوداع. وقف بعرفة. وقال- أى عمر. هذا الذى قلت لكم. قال عمر. أى رسول الله- ما كان فتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية- يقول سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه- إن الناس يوم الحديبية قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه. والعباد يعجلون. لقد نظرت إلى "سهيل بن عمرو فى حجة الوداع وهو واقف عند المنحر يقدم البدن لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم دعا بالحلاق ليحلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يلتقط شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعه على عينيه وسهيل هذا يوم الحديبية رفض أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم. كما رفض أن يكتب محمد رسول الله فصلوات الله على نبى الرحمة الذى أنعم الله به علينا وأنقذنا به من الهلكة.

إن فريق المعارضة بزعامة عمر. وقد قلنا إنها معارضة ببناء غايتها معرفة أبعاد الموقف ولم رضينا بهذا. فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يحلقوا فلم يهتموا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو فى حالة غضب شديد. فاضطجع- فقالت له أمنا العظيمة أم المؤمنين- أم سلمة- مالك يا رسول الله؟ مراراً وهو لا يجيبها. ثم قال عجبا يا أم سلمة- إننى قلت للناس انحروا- واحلقوا- وتحلوا مراراً. فلم يفعل أحد منهم أى

شئ- وهم يسمعون كلامى. وينظرون فى وجهى. فقالت يا رسول الله اخرج. فانحر هديك. وادع حالكك يخلق لك. فإنهم سيقفون بك ونعم الرأى، من أم عظيمة. لها منزلة التقدير والاحترام. وما أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذبح هديه. رافعاً صوته- بسم الله الله أكبر. فقام المسلمون يذبحون هديهم. ثم جاء الحلاق فحلق للنبي صلى الله عليه وسلم فرفع النبي صلى الله عليه وسلم صوته بقوله. رحم الله المحلقين. فقال الصحابة رضى الله عنهم. والمقصرين. قالها ثلاثاً وهم يراجعونه فقال والمقصرين. لقد ذابت المعارضة. لأنها تنتشد الحق. وتعمل بالحق لقد حلق الكثير وقصر البعض. وكان الناس يتسابقون إلى شعر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذت أم عمارة كمية كبيرة. وقالوا بأن من شكا إليها من أى مرض. فكانت تغسل هذا الشعر وتسقيه للمريض فيشفى بإذن الله. وهذه خصوصية وقتية يومها ولا يقاس عليها ولا يعمل بها. ثم إن الشعر من المسلمين كان كثيراً فأرسل الله ريحاً فاحتملت هذا الشعر وألقت به فى الحرم. وهذا من فضل الله على المسلمين" (1).

المرأة

المرأة نصف المجتمع. وهى شريكة الرجل فى بناء الأسرة. وإحاطتها بالرعاية لأنها هى التى تضخ الدم النقى الدافئ فى شرائن أفراد الأسرة بالدفاء العاطفى. والمودة الأبوية. والأخوة الإجتماعية. فهى مربية الأجيال. ومنجبة العباقر. وأم الأبطال. والحاضنة. والمرضعة. لذلك اهتم بها القرآن

(1) إمتاع الأسماع، الروض الأثف ج4، زاد المعاد ج1، وسيرة ابن هشام

ومبلغة حتى جعل لها باباً فى مسجده. وحدد لها أوقاتاً يعلمها أمور دينها. ولقد شاركت فى الهجرة. كما شاركت فى الجهاد. والدفاع عن الوطن. ولها أثر اجتماعى فعال. يعترف به المنصفون من عقلاء الإنسانية.

ولما كانت معركة الحديبية فيها أزمات متعددة. يمكن لموقف واحد أن يوجب نار الحرب. والتي قد تمتد مئات السنين. إلا أنه بفضل القيادة العظيمة التى ضربت مثلاً فى الحلم. والصبر. والمفاوضات. وضبط النفس لولا ذلك ما كنا ندرى. أى مصير للإنسانية يومها تسير إليه.

ولقد كان من بنود المعاهدة التى تم التوقيع عليها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسهيل بن عمرو - وشهد على هذه الاتفاقية - من المسلمين.

(1) سيدنا أبو بكر رضى الله عنه.

(2) سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه زعيم المعارضة. ولذلك على من يريد أن يقول أنا ومعارض نقول له - إقرأ سيرة سيدنا عمر بن الخطاب. لتعرف - أدب المعارضة وكيف تكون المعارضة - لأن الذين لا يفهمون أدب المعارضة - يفسدون العلاقات الإجتماعية - ويؤسسون للفوضى التى تضر ولا تنفع - لأن العمل بالسياسة له علم. وفن. وثقافة. وحصافة. وأدب. وذوق.

(3) من الشهود كذلك سيدنا عبد الرحمن بن عوف. وسعد بن أبى وقاص. وعثمان ابن عفان. وأبو عبيدة بن الجراح. ومحمد بن مسلمة. وحويطب بن عبد العزى. ومكرز بن حفص - وسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه كتب نسختين. واحدة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية أخذها سهيل بن عمرة. وبينما الجمع حول النبى صلى الله عليه وسلم والمشركون جلوس. إذا بالسيدة/ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط. أبوها من الشخصيات الشهيرة فى التناول على رسول الله. والاستهزاء به. وتعذيب المسلمين هذه المرأة -

هي - فتاة- شابة- تحت رعاية والدها- لم تتزوج- أسلمت وحسن إسلامها وقويت عقيدتها. خرجت من مكة مهاجرة إلى المدينة. فتصلها. والحبر على الورق لم يجف والجميع جلوس. سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه. وقالت جئت مسلمة مؤمنة موحدة. شاهدة لك بالرسالة. فنظر المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينظرون في الصحيفة في أيديهم. وتحجرت أعينهم عند البند الرابع. في نفس الوقت جاء أخواها. عمارة- والوليد- يطلبان ردها. قال المشركون- نعم ترد. إعمالاً للبند الرابع "من أتى من قريش إلى محمد مسلماً دون إذن وليه يرد 'لى المشركين) لكن هذه فتاة- بلغت رشدها. وربما يسئ أهلها إليها. ويساندتهم المجتمع لذلك. تمهلوا قليلاً. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترد لماذا والعهد مكتوب. ومن أوفى ذمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم- فكان الجواب إن هذا الحكم يسرى على الرجال. وليس على النساء. لأن نصه- لا يأتيه مسلم إلا رده. لكن قال بعض العلماء الأحسن أن يقال في مثل هذا تخصيص عموم. لكن ورد فيه تخصيص ونسخ لحكم النساء. لأنه في رد الرجال. كثرة الطائفتين بالبيت. وزيادة خير لعمارة المسجد الحرام. وهذا من تعظيم شعائر الله. فإساسة وبعد نظر. واستشعار من البعد للصالح العام. وقد نزل قول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن. الله أعلم بإيمانهن. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار. لا هن حل لهم. ولا هم يحلون لهن. وأتوهم ما أنفقوا. ولا جناح عليكم أن تنكوهن إذا آتيتوهن أجورهن. ولا تمسكوا بعصم الكوافر. واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلك حكم الله يحكم بينكم. والله عليم حكيم"⁽¹⁾ ويتبين من هذا أن المرأة إذا هاجرت لا ترد لأن الله سبحانه. نسخ السنة بالقرآن. بشروط:

(1) سورة الممتحنة 10

- 1- أن تمتحن المرأة. والامتحان أن يستحلف المرأة المهاجرة أنها ما خرجت ناشزا ولا هاجرت إلا لله ولرسوله. وليس لها غرض من الهجرة غير ذلك.
- 2- فإذا حلفت إن كانت متزوجة يرد صداقها- أى مهرها- إلى بعلها- إذا كانت من أهل المعاهدة. والمعاملة بالمثل. فالمسلم الذى ترك زوجته لكفرها يرد إليه ما دفعه من صداق لها.
- 3- وإن كانت من غير أهل المعاهدة لم تستحلف. ولا يرد صداقها، علم المشركون بمضمون الآية. وأن بنود المعاهدة لا تسرى على النساء⁽¹⁾

موقف مرجح للمفاوضين المشركين

إن حل الأزمات فن- وقدرة- وبعد نظر بحكمة وكفاءة. وكل ذلك تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك. سهيل بن عمرو- المشرك المفاوض- المتعنت- والذى جلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاوضاً وعرف قدرته فى الحوار. وحديثه مقنع. وما يشير به حق- لكنه جاء وقد حشوا ذهنه بأفكار لا بد أن يؤصلها- سهيل هذا. وهم يكتب المعاهدة فوجئ سهيل. بولده- أبو جندل سهيل بن عمرو- جاء متوشحاً سيفه وفى رجليه قيد من حديد. وكان أبوه قد حبسه. وقيده قبل أن يذهب إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مفاوضاً عن قريش. ففوجئ بولده يرسف فى قيده. جاء متحملاً المشاق الصعاب فقام سهيل- إلى ولده فضربه على وجهه بغصن شجرة به شوك. ثم أمسك بتلابيبه. فتألم- أبو جندل- وقال- يا مسلمون أأرد

(2) الروض الأنف ج4، ابن هشام، وصحيح البخارى باختلاف بسيط كتاب المغازى

إلى المشركين يفتنونى. فى دينى فتأثر المسلمون. وجعلوا ييكون. فقال-
 بعض المشركين- ممن مع سهيل فى وفد المفاوضات ما رأينا قوماً قط أشد
 حباً لمن دخل معهم فى دينهم. لا نأخذ من محمد نصفاً أبداً بعد هذا اليوم. قال
 سهيل- بغضب. يا محمد هذا أول من قاضيتك عليه- رده- فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إننا لم نوقع الكتاب بعد. فقال سهيل- والله لا أكتبك
 على شئ حتى ترده. فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم- ثم كلم سهيلاً أن
 يتركه. فرفض. وقام يضرب ولده. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. هبه
 لى- قال سهيل لا. قال- خفف عنه ولا تضربه. فأنا أجيره. قال سهيل. لا
 أفعل. قال بعض ممن مع سهيل. يا محمد. نحن نجيره لك فأجراه. فكف عنه
 أبوه. ثم رفع رسول الله صوته. وقال. يا أبا جندل. إصبر واحتسب فإن الله
 جاعل لك ولمن معه مخرجاً وفرجاً. وإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً.
 وأعطينا هم على ذلك عهداً. وإنا. لا نغدر. ولا تخون" (1)

الفتح المبين

الأعمال بخواتيمها. والنتائج الناجحة تدل على الكفاءة. والقدرة والعمل
 والإنتاج وحسن التعامل مع الآخرين وهذا ما ظهر بعد جهد شاق لعشرين
 يوماً قضاها النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديدية فلما انصرف بعد أن تم
 الحل على ما يرضى الأطراف. وتم القضاء على الأزمات التى أوجدها
 المشركون. وفوت عليهم فرصة الحرب وافتعال الأزمات. وقد عرفت
 الإنسانية أن محمداً لا يريد الحرب. ولا يرغب فيها ولا يخطط لها. ثم

(1) إمتاع الأسماع

انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية. متوجهاً إلى المدينة. ثم نزل في "عسفان" ليستريح المسلمون. فشكى المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أصيبوا بالإعياء لقلة الطعام ونفاذه. لذلك استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبحوا إبلهم. فأذن لهم. فقال عمر بن الخطاب. لا يا رسول الله. فإن يك في الناس بقية ظهر يكن أفضل. ولكن مرهم أن يأتوا بما عندهم من طعام. ثم ادع الله لهم فأمر صلى الله عليه وسلم "بالفرش" ثم نادى مناديه. من كان عنده بقية من زاد. فلينثره على هذا الفرش. فمنهم من أتى بتمرة. وأحدهم جاء بكف من دقيق. والبعض أتى بقطع صغيرة من الخبز الناشف. ومنهم من جاء بلا شيء. ثم مد النبي صلى الله عليه وسلم يده إلى الطعام ودعى بالبركة. ثم قال. قربوا أو عيتكم وخذوا. فكان كل واحد يأخذ ما يشاء. ثم نزل مطر عند غروب الشمس وهم صائمون. فشربوا من ماء السماء. وهو ظهور مبارك. وقام النبي صلى الله عليه وسلم فخطبهم وجاء ثلاثة نفر. فجلس إثنان - وذهب الثالث. فقال صلى الله عليه وسلم "ألا أخبركم خبر الثلاثة. قالوا بلى يا رسول الله - قال - أما الأول فاستحيا فاستحيا الله منه. وأما الثاني - فتاب فتاب الله عليه. وأما الآخر. فأعرض. فأعرض الله عنه. ثم تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. فتقدم سيدنا عمر رضي الله عنه - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسأله فلم يجبه. ثم سأله. فلم يجبه. ثم سأله فلم يجبه. فتقدم أحد الصحابة وقال. تكلتك أمك يا عمر. بدرت رسول الله ثلاثاً وهو لا يجيبك. فحرك عمر بعيره وتقدم وخشى أن يكون قد نزل فيه قرآن. وبينما هو في هواجسه سمع من ينادى - يا عمر رسول الله يطلبك. فأسرع إليه. فسلم فرد - وهو مسرور. ثم قال يا عمر نزلت على الآن سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ أول سورة الفتح "إنا فتحنا

لك فتحاً مبيناً" فركض الناس من كل ناحية. حتى تجمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسمعونهم يقرأ السورة. فلما فرغ قال. إن جبريل. بعد أن تلقيت الوحي. قال نهنتك يا رسول الله فلما هنا. هنا المسلمون وهذا هو الفتح المبين. وصدق الله. وصدق رسوله. شئ عظيم جداً. وتاريخ مشرق. وزعامة عالمية. تتمتع بقدرات هي من مدد الله الذي يعلم خائنة الأعين. وما تخفيه الصدور. وهذه دروس للمسلمين ليتعلموا من منهج الله. وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تعلم" (1)

مكاسب المسلمين

إنه صلح الحديبية. كله مكاسب فقد أخبرنا ربنا العظيم جل جلاله. أنه نصر مبين. وفتح عظيم. وأن ما بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهد هؤلاء لا يضيع أبداً. فالحكيم العليم. أعلم بكل شئ. فلن يقع في ملكه إلا ما يريد فهو سبحانه العليم القدير. وهو القائل سبحانه "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير" (2) إن الله كف المسلمين عن الحرب وأنزل عليهم السكينة. وكف المشركين كذلك وأدخل عليهم الرعب. لأن في مكة فئة من الناس. أسلموا. ولضعفهم وخوفهم أخفوا إسلامهم لا يعلمهم المسلمون. وربما يقتلونهم. فيصيبهم بذلك سبه ومعرة. وهوان. ويتحدث الناس عنهم بأنهم قتلوا إخوانهم في العقيدة. وإلى هذا أشار الحق سبحانه في قوله سبحانه "وهو الذي كف

(2) سورة الحديد 22

(1) سورة النساء 113

(3) سورة الفتح 24:25

أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم. وكان الله بما تعلمون بصيرا. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام. والهدى معكوبا أن يبلغ محله. ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم. فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء. لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما⁽¹⁾. لو تزيولوا - لو تميزوا. وتجمعوا في مكان حتى تعرفوهم. لكنهم لم يقدرُوا وهم يختلطون بالكفار. لذلك منعت الحرب حفاظاً على المسلمين الضعفاء. رحمة عامة وشاملة من رب رحيم يعلم كل ما في الكون. ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء..

عندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر ذي الحجة. جاء أبو بصير ابن أسيد - حليف بنى زهرة - جاء أبو بصير مسلماً. وسار من مكة إلى المدينة. ووصل إليها متورم الأقدام لأنه سار في طرق غير مألوفة. وبعد ثلاثة أيام. بعث المشركون برسالة مع خنيس بن جابر عن بنى عامر ومعه آخرون ودفع المشركون له بكر بن ليون. وحملوه على بعير. وخالصة الرسالة التي قرأها أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد عرفت ما شارطناك عليه. وأشهدنا بيننا وبينك - من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث إلينا بصاحبنا: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير أن يرجع معهما. فقال يا رسول الله أتردني على المشركين ليفتوني في ديني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت. ولا يصلح في ديننا الغدر. وأن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا. ومخرجا. فقال أبو بصير. أتردني يا رسول الله إلى

المشركين. قال. انطلق يا أبو بصير. فإن الله سيجعل لك مخرجاً. وسلمه إلى خنيس ومن معه.

فأسر المسلمون في أذن أبا بصير - بأن الله جاعل لك مخرجاً. والرجل يكون خيراً من ألف رجل وسار أبو بصير مع خنيس ومن معه حتى وصل إلى مسجد ذي الحليفة. فاستأذنها في صلاة الظهر - صلاة المسافر. ثم أخرج من ملابسه تماًراً. ودعاها إلى الغداء. وقدم لهم كسر خبز وبدءوا كان خنيس قد علق سيفه على الجدار. فقال أبو بصير. يا أبا بنى عامر، ما إسمك؟ قال خنيس - قال - ابن من؟ قال ابن جابر - قال أبو بصير. أصارم سيفك هذا؟ قال نعم. قاتل. قال أبو بصير ناولنيه أنظر إليه إن شئت. فناوله. فأخذ أبو بصير بقائم السيف والعامري. ممسك بالجفن - فعلاه به - ولم يتركه إلا وهو جثة هامدة. وفر الباقي هارباً متجهاً إلى المدينة. وأبو بصير في أثره.. استطاع المشرك أن يسبق أبا بصير. ووقف على باب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. وهو زائغ البصر يضطرب من الخوف. وكان رسول الله يجلس مع أصحابه بعد صلاة العصر. فقال هذا رجل رأى ذعرا. فدخل. وقال يا رسول الله فقال له. مالك. ويحك. قال - قتل صاحبكم - صاحبي. وهربت أنا منه فأقبل أبو بصير. ودخل المسجد. وهو متوشحاً سيفه. وقد أناخ أبو بصير ناقته خارج المسجد. ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له - وفت ذمتك يا رسول الله وأدى الله عنك. وقد أسلمتني بيدك للعدو. وقد امتنعت بدينى من أن أفتن. ويعبث بي. أو أكذب بالحق. فقال عليه الصلاة والسلام "ويل أمة محسن⁽¹⁾ حرب. لو كان معه رجال" والمحسن هو

(1) محرك للحرب. موقد لنارها

الذى يوحد النار وينفخ فيها. والنار هى الحرب- والعرب يتلمسون أى طريق للحرب رغم خسارتهم وقتل رجالهم لكنهم لا يفهمون. رغم أنهم أذكىاء.

أمانة وقوة

أبو بصير - شخص غير مستقر، المسلمون يردونه إلى المشركين. وفاء بالإتفاقية وهو لا يرغب فى الذهاب إلى المشركين. ومع ذلك. قدم. سلب الرجل الذى قتله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسه. فقال - لا أخمسه لأننى لو فعلت ذلك لم أكن قد وفيت بالذى عاهدتهم عليه. ولكن شأنك بسلبك. هذه أمانة. ثم قال صلى الله عليه وسلم للمشرك. خذ أبا بصير واذهب به إلى أصحابك. فقال - يا محمد- مالى به قوة. ولا أقوى عليه. فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بصير. اذهب حيث شئت. فخرج أبو بصير فتوجه إلى مكان يسمى "العيص" على ساحل البحر. ونزل بمكان على طريق يمر عليه تجارة مكة. واتخذ لنفسه مكاناً وأنشأ مسجداً يصلى فيه. وعرف سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخبر أبا بصير. وحدد للمسلمين مكانه على ساحل البحر. فى العيص. ونقل إليهم كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم "ويل أمة محسن حرب. لو كان معه رجال" ففر إليه ما يقرب من سبعين⁽¹⁾ رجلاً ممن كانوا بمكة. وفر إليه أبو جندل. الذى قدمه أبو بصير ليصلى بالناس. لأنه يحفظ الكثير من القرآن ولأنه قرشى. وبلغ العدد حوالى ثلاثمائة⁽²⁾. وبدءوا يقطعون على قريش طريقهم بل ويستولون على البعير بما تحمل. وهنا فزعت قريش. وأرسلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم يرجونه أن يؤوى

(2) الروض الأنف ج 4 ص 38

(1) إمتاع الأسماع ج 1 ص 105

هؤلاء إليه. ويعطونه الحق في إمساك من جاء مسلماً. ويستغيثون به في إبطال هذا الشرط. ونظراً لأن أبا بصير في أول الأمر كان يصلى بالمسلمين ويعلمهم أخلاق الإسلام. فكان له الأمر والنهي. يجمع من معه ويقرءون القرآن فلما جاء أبو جندل وقدمه للصلاة وقراءة القرآن. صار هو صاحب الرأي فأصبحت قريش بالهم والغم وكتبت إلى رسول الله مرة أخرى يسألون بحق الرحم إلا أدخل أبا بصير ومن معه إليه. وأنهم لا حاجة لهم بهم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير أن يقدم مع أصحابه - إلى المدينة فوصل خطاب لرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بصير في حالة الاحتضار. فجعل يقرأ الخطاب ويضعه على رأسه وصدرة. ومات - بعد أن أوصى أصحابه أن يتوجهوا إلى المدينة. ويبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحياته وحبه وتقديره له. وفاضت روحه والخطاب بين يديه وعلى صدره ووضعوه معه في القبر. ورجع المسلمون إلى المدينة. ومن بينهم - الوليد بن الوليد بن المغيرة. ومات عقب دخوله المدينة فحزنت عليه سيدتنا العظيمة "أم سلمة" زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأنها خالته - وهو شقيق خالد بن الوليد - الفارس المغوار. وقد يتساءل البعض هل هذا قطع طريق؟ وهؤلاء قطاع طرق؟ نرجع إلى العرف والتقاليد ونظم العالم. فسوف نقول. لا. لأن قريشاً ظالمة - أساءت العلاقة الاجتماعية مع من أسلم وضيقت عليهم واستولت على أموالهم وديارهم بلا رحمة. وما أخذ بالقوة إلا بالقوة والتعامل بالمثل فالمسلمون لا يعتدون ولا يحبون أن يعتدوا. ولا يظلمون أحداً...

التفاعل مع الأزمة

عند اشتداد الأزمة. على القيادة أن تتعامل مع الجمهور بضبط النفس ومحاولة استجماع القوى. والتفكير فى كيفية الرد الصحيح. والمنطق السليم وهذا أساس قوى لإضفاء ثقتها من الثبات على النفس. وهذا ما رأيناه فى خضم معترك الأزمة. وظلت القيادة بالدور المطلوب فى إدارة الأزمات المتلاحقة ومن فضل الله أنه مع توسيع الأزمة وتتابع المواقف. إلا أن هوة الخلاف بين صفوف المجتمع لم تتسع. وإن حاول المنافقون. والمشركون. وغيرهم من إشعال الفتنة وظهور انقسامات. إلا أن ذلك لم يحدث. لأن الإيمان له دور كبير فى تسكين النفس. وهدوء الأعصاب. وراحة البال. فالقلوب المؤمنة لا تتأثر بتلبد السماء بالغيوم. فالثبات. والقدرة على التعامل مع الأزمة من طبيعة المؤمن الذى يوقن بأنه من الصعب منع الأزمات من الوقوع- أو تحديد وقتها- لأن طبيعتها أنها تتسم بالمفاجأة. لهذا لا يجوز رمى الغير بأخطاء لها أثر فى خلق الأزمة وتواجدها. بل يجب التثبيت.. والتعامل مع الأزمة. ومواجهتها ويراعى الآتى:

(1) أن لا يتم التصريح بأى شئ عن الأزمة لمن لا يعرف الحقيقة.. لأن إعطاء معلومة خطأ منه تشوش الأفكار. ومن الصعب تصحيح ما قيل.

(2) تحديد الدروس المستفادة من الأزمة. وحصار دورها. وتقليل شأنها ويسر معالجها.

(3) إن عقل المسلم بما منحه الله من فيض يستطيع أن يحل الأزمات تحت ما يشاء من عناوين

أ- إدارة الأزمات. هي القدرة على تدبير الأحوال للتعامل مع الصراعات التي تنشأ وقوع الأزمة. علما بأن الحل الصحيح للمشكلة حسن الإقتداء بهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجب على كل مسلم أن يقرأ سيرته بفهم ووعى خاصة القيادات.

ب-

النيل من القيادات

كل مجتمع به قيادات- هي التي تخطط له- وتشرف على التنفيذ لنهوض المجتمع ورقيه- والقيادات عندما تتفاعل مع القاعدة الشعبية مع العمل والإنتاج. والابتكار. فسوف يكتب لهذا المجتمع التقدم والازدهار لهذا ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل سأله. وقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم. ويمنعوننا حقهم فما تأمرنا. فأعرض عنه.. ثم سأله- مرة ثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرر السؤال إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم⁽¹⁾ ويقول عليه الصلاة والسلام "لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكل أحد صلاح"⁽²⁾- يقول الألوسى. جاء في بعض الكتب السابقة يقول الله سبحانه "أنا الله ملك الملوك. قلوب الملوك ونواصيها بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة. وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة. فلا تشتغلوا بسب الملوك. ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم"⁽³⁾ ويقول عليه الصلاة والسلام "من ولى من أمور المسلمين شيئاً فحسنت سيرته رزق الهيبة من قلوبهم. ومن بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم. وإذا وفر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله.

(1) رواه الترمذى

(2) رواه الطبرانى

(3) غالبية المواضع للألوسى ج 1

(4) رواه الترمذى - كنز العمال ج 6

وإذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه. وإذا عدل مُد في عمره" (1)

لهذا علينا أن نحب قياداتنا في أى مجال - قيادة الأسرة - قيادة الدولة - قيادة العمل. رئيسك في العمل هو قائدك. فعلينا أن نتعاون جميعاً بروح الحب والعلاقات الطيبة. وأداء العمل وعدم التهرب منه - وعلينا أن نؤمن بأن الخلاف في رأى لا يفسد للود قضية - وهناك فئة من الناس علينا أن نحترم مكانتهم - ونجل قدرتهم لأن في الإساءة إليهم إضعاف الثقة فيهم. وإثارة البلبلة في المجتمع لأن الإنسان في حالة الأزمة - مثل - الفقر - البطالة - المرض - الكسل يتولد في نفسه حالة عدم الثقة في القيادات - فيقوم بإلقاء التهم بصدق - أو كذب - بعلم - أو بغير علم - ويكون هذا الصراع سبباً فى تزايد الفرقة بين أفراد المجتمع - وتكون الطامة الكبرى لو كانت هذه القيادات تعمل فى مجال العمل العام الإسلامى فينتسب ذلك فى أمور تسمى إلى العمل الإسلامى. وتبعد الناس عن الدين ويكون من أسئ إليهم فى أعينهم نماذج سيئة - وعناصر فاسدة. وقد يكون أسئ إليهم. وهم أبرياء - إلا أنهم كقيادات فى العمل الدعوى فتكون الإساءة إليهم سبباً فى تنفير الناس من الدين. ولذلك ينشط أعداء الإسلام فى ترويج الإشاعات على قيادات العمل الدينى بغرض تنفير الناس من الدين - أى دين سماوى - وقد يكون هؤلاء الدعاة هم السبب المباشر فى ما ينسب إليهم. لسعيهم على المناصب. وترك عملهم. والانتماء إلى حزب معين. فيسيئوننا إلى الدين لأن الداعى إلى الله - حزبه. وهو حزب الله. يدعو إلى الوسطية والإعتدال ويستقبل الناس جميعاً ويسمعهم دعوة الحق ويؤدى واجبه بهمة ونشاط, يرجو رحمة ربه وعطاء الله له خير لأن شخصية الداعى إذا اهتزت. وفقد ثقة الناس فيه. فقد خسر خسراً عظيماً. ويكون

أعداء الإسلام قد نجحوا في مخططهم. ونحن هنا نقول "نحن لا نلوم أهل الباطل على تحركهم. لكننا نلوم أهل الحق على تخاذلهم" إنه برغم النجاح العظيم الذى حققه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء المجتمع. والدفاع عنه. ورد كيد المعتدين إلى نحورهم. وما حققه من إنجازات وانتصارات. إلا أن ظهور المنافقين. وتحرك غيرهم. وبحثهم من ثغرات يدخلون منها ليجدوا خلخلة فى الصف الإسلامى. وقد كان يقضى عليها إلا أنه نشط هذا الفكر بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وحدثت الردة- وقابلها الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبو بكر رضى الله- بكل حزم وصمود وتحذ. وثقة فى الله. والاستعانة بأهل الكفاءة والقدرة والعمل الحربى والسياسى. فففى على هذه الردة. بل وفتح مدائن كسرى. وحطم عنجبية فارس. وجاء من بعده الخليفة الثانى سيدنا عمر فأمن العباد. ونشر العدل. ودون الدواوين ووضع قواعد الدولة ونظم ديوان الجند. ورتب الأعطيات. ووضع الضوابط النظامية وكانت المؤامرة عليه محكمة. فتم اغتياله فى محراب المسجد. قتله مجوسى ثم كان سيدنا عثمان- وقتل شهيداً. وسيدنا على وقتل شهيداً ومرت الحياة إلى يومنا هذا. فأصبحت الفضائيات والتقدم التكنولوجى وتعددت الأحزاب. وتتنوع الهيئات. وتعددت مدارس الإستشراق وكلها تكيد للإسلام والدعاة إلى الله. وأصبح الأمر يتطلب من المسلمين مراجعة خطة عملهم. وإغلاق باب الفتن أمام أعداء الإسلام الذين نشطوا فى وسائلهم التى ينتجونها. لهدم الإسلام والحط من رموزه. والكيد لهم ووقف مسيرة الإسلام والنيل منه. والمسلمون مشغولون بقضاياهم يثورون. ثم يخمدون. ويبوحون بكلمات هى فى حقهم خطأ. ونحن أصحاب عقل منظم. وفكر مرتب. ولكن نسيناه فى غمرة انشغالنا بمشاكلنا الجانبية.

وها نحن اليوم ندرس تاريخ نبي الإنسانية - وكيف استطاع أن يتغلب على أزمات أصعب مما نواجهه. والمسلمون مطالبون أن يتخذوه قدوة لهم. فهل لنا أن نعيد دراسة تاريخ هذا النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من يوم مولده- إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى- وندرس تاريخ الخلفاء الراشدين- ثم ندرس تاريخ قيام الدول- أسبابها ثم ندرس أسباب انهيار الدول ونتعرف على المصلحين. وقادة الفكر. ودعاة الإصلاح. والعلماء الذين هياهم الله لهذه الأمة التي من رحمة الله بها أنه يقيض لها كل فترة من يجدد لها أمر دينها. ويعيدها إلى رشدها.

إننا نتجه إلى شبابنا. ونقول لهم تعالوا إلى كلمة سواء. نتحاور ونناقش قضايانا بروح التسامح والوصول إلى الحق. وادرسوا تاريخ الشباب من حولكم وستجدون أنكم أغلى ثروة علمية. وأعظم قيادة من نتاج الأمة العربية التي أعلى الإسلام منزلتها. إن الدين يوفر للناس قسطاً من الطمأنينة النفسية والروحية- وعبادته تخفف عن الناس آلامهم وتكبح غرائزهم الشهوانية. ولهذا قال الله سبحانه "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم لهم الأمن وهم مهتدون"(1)

الإنهيار الذي أصاب المسلمين

عندما غفل بعض المسلمين عن دينهم. ومعالمه. ونسوا كيف استطاع نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحل مشاكل العالم. ويتصدى للأزمات بكل أبعادها. ولو وجد الآن لحل مشاكل المجتمع بكل طوائفه. لأنه صلى الله عليه وسلم. مؤيد من السماء. يلهمه الله الرشد. وفصل الخطاب إننا نعيش في

(1) سورة الأنعام 82

عصر فاق كل العصور. فى رقيه المادى. واكتشافاته العلمية. ومع كل ذلك - وقف العلماء حيارى. حيث ازداد عدد المصابين بالأمراض النفسية والعصبية ازدياداً مقلقاً. ومع ذلك فقد خيم على المجتمعات جو من القلق. والخوف والاضطراب ولهذا فقدت المجتمعات المتقدمة المنتجة. المتحضرة. لذة ما وصلت إليه من تيسير للرفاهية. وعيشة الترف، بسبب نسبة الأمراض. نفسية. وجسدية ترتفع نسبة هذه الأمراض فى هذه البلاد بنسبة عالية جداً، ويقدم البعض على الانتحار فى مناطق تُعد من أرقى البلاد تقدماً فى المستوى المعيشى: السبب فى ذلك - غياب الدين - والبعد عن الأخلاق النبيلة. وعدم التخلق بالفضيلة. وغياب الرحمة والعدالة. والحب والإيثار. والتعاون وسبب غياب هذه القيم أقلام مسمومة. تصور الرذيلة على أنها فضيلة. والمجون والاستهتار. على أن ذلك عفة وطهارة. والظلم على أنه تحضر ومدنية. إلى غير ذلك حيث قلبوا الحقائق. وغيروا مفهوم الدين والأخلاق. إن هذه الأقلام المسمومة أفقدت الإنسان - الاستقرار النفسى. ومحت الشحنة الإيمانية من قلب الإنسان. وظهر مع ذلك الشيوعية. فأفقدت الإنسان عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر وأبعدت بينه وبين القيم الأخلاقية التى رافقت الإنسان منذ مهده على الأرض. وهكذا أفقدت الحضارة الغربية. والشيوعية. ومدارس المستشرقين. والأقلام المسمومة أمن الإنسان واستقراره. ونحن نريد أن نحل هذه الأزمة. كيف؟ إننا الأمة الإسلامية التى تستطيع أن تحمل لواء الأمن. وتبنى حضارة. وتؤسس أمة ليس على منهج.

الإصلاح الدينى

لأننا أمة نؤمن بأن الدين الصحيح هو من عند الله وبلغه إلينا نبينا العظيم بأمانة وصدق وفتانة وحمله رسول عظيم ما كان يوماً ليفسد حتى يحتاج إلى

مصلح أو إصلاح. لأن مظاهر الإصلاح في عرفهم هو إضعاف المواضع الدينية. عند المسلمين. لأن أعداءنا صدروا إلينا مفاهيم تخالف تعاليم ديننا. مثل:

1) شخص مات. فيسأل عنه صديقه لأنه لم يعلم بموته فيكون الرد- ربنا افتره- فينسبون إلى الله النسيان- وحاشاه "وما كان ربك نسياً"⁽¹⁾ والعالم بكل ما فيه- أحصاه الله عدداً حيث خلقهم وبرزقهم قال الله تعالى "لقد أحصاهم وعددهم عدداً"⁽²⁾ - إلى غير ذلك.

2) يعطى الحلق- للى بلا ودان، ويعطى الملبن للى ملوش أسنان. تشكيك في عدالة الله- وحاشاه- وتنزه عن ذلك- فهو القائل "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون"⁽³⁾.

3) شخص يسأل عن شخص فيرد آخر ويقول "ده طور الله في برسيمه" يا سبحان الله. هل يليق أن نقول هذا في حق الله العادل لكنها نماذج وعينات مما تصدره إلينا الأقلام المسموعة.

4) قول القائل "قدر أحقق الخطى، هل هذا يليق.

وكذلك- إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

أنحن البشر نوجب على الله- من نحن- وكيف نقدر وبأى أسلوب- لكنها جهالة القرن العشرين. في غيبة الوعي الديني- وانتشار الأمية الدينية.

(2) سورة مريم 94

(1) سورة مريم 64

(3) سورة النحل 90

5) ثم صدروا إلينا الدين يحتاج إلى إصلاح- يا سبحان الله. نفوس البشر هي التي تحتاج إلى إصلاح

6) صدروا إلينا شباشب لنستعملها في دورات المياه. وأطلقوا عليها أسماء في الحقيقة- نجوم في سماء الدعوة الإسلامية. ولكن من باب التحقير والازدراء أطلقوا عليها أسماء تخيروها بدقة. إمعاناً منهم في إلحاق الأذى الأدبي بالمسلمين وانخدع في ذلك المسلمون ورددوها- مثل- خدوجة- يعنى- خديجة- عيوشة- يعنى عائشة- فطومة- يعنى فاطمة- زنوبة يعنى زينب وهذه الأسماء الطاهرة. والتي لها مكانة الإحترام والتقدير- وصلت بهم الخسة لأنهم مصابون بالمرض النفسى. وانفصام الشخصية والحقد يملأ قلوبهم أن يفعلوا ذلك.

وفى غيبة الوعى الدينى- والرشد الاجتماعى والانشغال بالدينا نشط هؤلاء. فوضعوا الكتب المليئة بحقدهم وصوروا الأفلام السينمائية الهابطة- التى تسئ إلى الدين والداعى إليه. وتصور الشذوذ الجنى وترغب فيه. وتنتهك الحرمات باسم الفن- والفن برئ. لأنه قيم وأخلاق. وعلاقات اجتماعية نبيلة تتسم بالأدب والذوق والجمال والاحترام. والمسلمون يهبون بصيحة مزعجة ثم يهدعون. ولا تسمع لهم بعد ذلك همساً. لذلك. نحن فى حاجة إلى صحوة مرشدة لأننا نحن المؤهلين لحمل راية الأمن والسلام. وعودة الصحة النفسية والنشاط الاجتماعى إلى المجتمعات الإنسانية للأسباب الآتية:

1) لأننا أمة تدعو إلى أمن الناس. ونشر السلام. ولن نتخذ من الوصول إلى الفضاء إنكار الله. ولن نتخذ من الصواريخ عابرة القارات ذريعة لتدمير البلاد على العباد. ولن نرمى عليهم بالقنابل لنهلك الشعوب. ونحطم الناس.

لنذلهم ونجعلهم تحت دائرة نفوذنا لأن ديننا ينهانا عن ذلك. فهو دين يدعو إلى التعايش السلمى مع الناس أجمعين.

(2) إننا أمة تدعو إلى طلب العلم. ونشر الثقافة. ولن نتخذ من وسائل الإعلام وسيلة لنشر الكذب. والإفتراء على الآخرين. وتضليل الرأى العام. ولن نتخذ من التليفزيون والسينما وكل أدوات التكنولوجيا. والمسرح وسيلة للإغراء الجنى وتحرىك الغرائز. والتشجىع على ترك قىم الدين وأخلاق وعرف المجتمع وتقالىده.

(3) إن الدين الذى نؤمن به دىن قىم. وآداب. وأخلاق. وحب للآخر. وتعاون معه. وألفة ومودة ينهى عن الخصومة. ولا يقرب العنف ولا ىرضى بالإرهاب أسلوباً للتعاهم أبداً. إن الإنسان بغير دىن قلق. متبرم. مضطرب. والمجتمع بغير دىن غابة بالحياة فىها للأقوى الذى يتحرش بالضعفاء. ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁽¹⁾ ويقول ابن القىم "الدىن هو الخلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدين" ويقول الزعىم الهندى "غاندى" إن الدين ومكارم الأخلاق هما شئ واحد لا يقبلان الانفصال. وإن الدين كالأرواح للأخلاق. وإن الدين يغذى الأخلاق وينمىها وينعشها".

(4) إن الإسلام دىن يأمرنا أن نحترم المرأة. لأنها نصف المجتمع. وهى الأم. والأخت والعمة والخالة. والزوجة والإبنة. إن أى امرأة أنظر إليها بعفة وطهارة. لأنها كما قلت وقد أمرنى الله أن أعض بصرى. وأن أكون أميناً. لأن ما أنظر به إلى المرأة سىنظر به من الرجال إلى أمى. وأختى. وأقاربى. حتى زوجتى. وإبنتى. فما أراضاه لأقاربى وأهلى أراضاه للناس وللنساء

(1) رواه البخارى

(2) رواه البيهقى فى السنة الكبرى

بالذات. ولذلك ورد أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال يا رسول الله - ائذن في الزنا؟ فهم من كان قرب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتناوله "يعنى يضربوه" فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه- ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أتحب أن يفعل هذا بأختك؟ قال - لا- قال. فباينتك؟ قال - لا. فلم يزل - يقول له. فبكذا. فبكذا. كل ذلك يقول - لا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "فأكره ما كرهه الله. وأحب لأخيك ما تحب لنفسك"⁽¹⁾ لقد كان نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رعاية أمر النساء. وتحريرهن من ظلمات الجاهلية. والأخذ بيدها لتمارس الحياة بفاعلية. أمر معلوم للعامة والخاصة وحل مشاكلها. ودورها عظيم فهي تؤدي دور المواطنة في الأمة لتشكل مع الرجل دعامة أساسية لبناء الأمة والنهوض بالمجتمع- وكانت المرأة يومها في المجتمع تشكل أزمة لا تحل- إلا بالقضاء عليها ولذلك فإن ما حظيت به المرأة من حقوق في ظل الشريعة الإسلامية. وعلى يد محررها العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم تتله المرأة في أى مكان على الأرض. قبل الإسلام. ولم تتله في ظل الحضارة الغربية إن أعداء الإسلام الذين يتهموننا أننا نزدري المرأة. أو نتحرش بها لإشباع رغبتنا- نقول لهم- لا- لأن من يفعل ذلك. ساقط الهمة. عديم المروءة ليس من الإسلام فى شئ، وعلينا أن نحكم بالإسلام عن الناس. ولا نحكم بالناس على الإسلام. فدستورنا يقول "فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض"⁽²⁾.

(5) إنا أمة لنا حضارة. حفظ التاريخ معالمها. وأنها قامت على العدل. والمساواة ولعلنا نذكر أنه كان قريب جداً. البلاد التي تتأدى بالحرية. وتتباكي

على أن المرأة في الشرق مظلومة. وأن أسلحتها هي التي تدمر البلاد. وتحرق العباد. ثم تتباكى على الحرية. كانت تقر التفرة العنصرية على أرضها. وبين شعبها. فما يتمتع به الأبيض, لا يحل للأسود.. وكانت أكالات الكلاب والقطط تباع في أرقى المحلات ويحرم منها الملون. والسيارات الفارمة لفسحة القطط والكلاب ويحرم الملون منها وهكذا. وكانت المرأة عندهم إذا افتقر زوجها يبيعها بثمن بخس لكن - صوتهم على علينا بغير علم. نحن هنا نتعايش بأدب. نعو عن ظلمنا ونعطي من حرمانا. لأن لنا ديننا. علمنا الأدب. ولن يتركنا رب الدين إذا رجعنا إلى الدين وآدابه لأنه سبحانه "لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (1).

إننا نؤمن بأن رسولنا العظيم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حياً لتمكن من حل مشاكل المجتمع والقضاء على هذه الأزمات. لأنه استطاع في مدة -23- ثلاث وعشرين سنة أن ينشر السلام في الجزيرة العربية وما حولها. وأن يكاتب الملوك والقيصرة والأكاسرة. وأن يبشر العالم أجمع بهذا الدين. وأن يحول رعاة الغنم إلى قادة أمم. ولقد سار خلفاؤه من بعده على نهجه. فنشروا السلام عن طريق التجارة. وحسن تعاملهم في البلاد التي وصلوا إليها, ليس عن طريق السيف أبدا كما يردد. أعداء الإسلام. لأن نبيهم صلى الله عليه وسلم لم يرفع السيف إلا دفاعاً عن عقيدته. ووطنه. وكان يرد الظالمين البغاة ولم يتبعهم أبدا. لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحترم الإنسان لأن الله كرمه وشرفه- والإنسان صنعة الله ملعون من هدم صنعته.. وكان يحترم الإنسان كإنسان- أما العقيدة- فحساب الناس عليها أمام رب عظيم لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إن الحضارة التي نحمل لواءها. ونعمل لها ستكون أكثر من حضارة الغرب عدالة في الحكم. ومساواة بين الناس جميعاً. والتسامح وسمو في الخلق. ورحمة بالناس. ونشر التكافل الاجتماعي عن طريق الزكاة. والصدقات. والكفارات والأوقاف. إن المسلم يتسم بالرحمة لأنه يعلم بأن الراحمين يرحمهم الرحمن.

المنح الأساسية

لقد منح الله البشرية كلها منحةً عظيمة جداً عن طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يستطيع بها اتباعه أن يحلوا الأزمات التي تصادفهم وأزمات أى مجتمع وأن يقضوا على الصراعات التي تعترض مسيرتهم في الحياة- ويستطيعوا أن يبنوا بها حضارة، وأن العالم يعترف لهم بالقيادة والريادة- لأنه سبحانه مع الذين اتقوا "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره"⁽¹⁾ ولكي نكون على هذا المستوى. وتحمل علم تحرير الإنسانية من سيطرة الأنانية. والتكالب على المادة فلا بد أن نوحّد صفنا وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد. ويومها نسود العالم على أسس أهمها:

1) العقيدة التي نعملها. وأكد عليها نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وهى من العقائد التي تسهم في حل الصراعات. وتسهم في بناء الحضارات. فهى عقيدة تقوم على توحيد الخالق. عقيدة تحترم العقل. وتهدف إلى تشريع يتسم باليسر وتوخى مصلحة الفرد ورعاية مصلحة الجماعة

(2) سورة الأعراف 96

(1) سورة الطلاق 3:2

ومصلحة الإنسانية كلها من غير محو لحضارة الشعوب. وعدم القضاء على كرامة أى إنسان، عقيدة صافية نقية. حافزة للهمم. مشرقة بالأمل. باعثة للحياة فيحول صاحبها الأحجار الصماء إلى أزهار يانعة. ويفجر الأنهار من بطون الجبال لخدمة البشر والحيوان. لا يخاف إلا الله. لعلمه بأنه سبحانه المعطى الوهاب. ولأن الإنسان خليفة الله على الأرض وأصبح بهذا سيدها. إن الإنسان لو أخلص فى عقيدته. وعمل لأسباب تتميتها بداخله. وكان صادقاً فى ذلك لتحقق له قول الله سبحانه "ولو أن أهل القرى 'منوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض"(1).

(2) الأخوة الإنسانية- عاش الإنسان قبل البعثة المحمدية. وهو موزع بين قوميات ضيقة الفكر. وقبائل لا عمل لها إلا الإغارة على قبيلة أخرى فبعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأعلن على الدنيا كلها " أيها الناس إن ربكم واحد. كلكم لآدم. وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم الإنسان أخ الإنسان لا يظلمه ولا يخذله. والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه" وهذا الإعلان أسس لدعامتين هما:

(أ) وحدة الربوبية. وأساسها العقيدة.

(ب) وحدة الجنس البشرى. فالإنسان أخو الإنسان. فربهما واحد. والأب واحد- وإلى هذا أشار الحق سبحانه "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً"(2) ويقول سبحانه "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(3).

(2) سورة الحجرات 13

(1) سورة النساء 1
(3) سورة الأنبياء 105

3) إننا بعقيدتنا وأخوتنا نمتلك أعظم رصيد من الروحانية البناءة. روحانية تلازم العامل في مصنعه. والزارع في مزرعته. والتاجر في متجره. والجندي في ميدان الحرب. والشرطي في حراسته للأمن العام. والمدرس في مدرج العلم. والفيلسوف في فكره. وربة المنزل في دارها والقاضي في محكمته. والموظف على مكتبه والرئيس في رئاسته. فكل واحد يشعر أنه أينما يتجه فثم وجه الله. الذي هو معنا يعلم السر والنجوى. وينطلق الإنسان. وهو يحب للناس ما يحب لنفسه يكرم ضيفه. ويقدم الخير لمن يعرف ومن لا يعرف. لا يغتاب. ولا يذم. ولا ينم يقدم النصيحة- يأمر بالمعروف- وينهى عن المنكر. ويسلم على من عرف ومن لم يعرف.

4) إننا أمة مؤهلة لقيادة العالم. وحل الأزمات التي تعترض مسيرة السلام. ذلك لأن الله سبحانه هو القائل "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون"⁽¹⁾. والصالح. هو من يستطيع أن يعمر الأرض حسب منهج الله وهدى نبيه بالعلم- والأدب. بالعمل الجاد المتقن- الذى يعبد ربهه. وفق منهجه. وهدى نبيه لا يتكاسل. ولا يتراضى. وإنما بهمة ونشاط حتى ولو قامت على الإنسان لحظات قيام القيامة. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها. فليغرسها"⁽²⁾ ولماذا يغرسها؟ والساعة قائمة. إن ذلك تكريم للعمل. لذات العمل. ولهذا يتخذ المؤمن- الدنيا. مزرعة للآخرة والمزرعة تحتاج إلى عمل جاد. ورعاية المزروع وإبعاد الأشياء الضارة عنه فإن نجح فى دنياه - وكان على صلة طيبة بربه نجح فى آخرته وإلى هذا أرشدنا ربنا بقوله "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده الطيبات من الرزق. قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل

الآيات لقوم يعلمون"⁽¹⁾ إن المؤمن يعمر أرض الله بالعمل الجاد المتقن. والإنتاج الجيد. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"⁽²⁾ إن المؤمن يتقن عمله لإيمانه القوي بأن الله معه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فالمؤمن أمين على صنعته يخلص جهده فيها ويراقب ربه. لهذا نجح المسلمون الأول في بناء حضارتهم.

أمر سهل

إذا عرفنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل أزمت عصره وكانت كثيرة جداً لا نستطيع أن نقوم بإحصائها. وكان أعم مشكلة تغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم "مشكلة الأخلاق - مشكلة السلام النفسى - ولم تكن المشكلة مشكلة مال - أو طعام - لذلك فإن الإنسانية فى حاجة إلى سلام حقيقى. لأن هذا ما تنشده الإنسانية. سلام العمل والإنتاج. سلام العدل والأخوة والمحبة. سلام التعارف والتعاون. والبر والصدق والأمانة. السلام الذى ينبع من ضمير الفرد - من معرفته لنفسه. فى مظهره فى سلوكه. وتعففه عما فى أيدي الناس. السلام الذى يقيم فى نفس الإنسان رقابة صادقة من وحى الإسلام. لأن السلام ينبع من ضمير الفرد إذا حاولنا ذلك سهل علينا كل أمر. لأن الإنسان هو حلال المشاكل والأمين على الكيان الاجتماعى.

الحضارة

هل أوفت الحضارة الحديثة بمهمتها فى راحة الإنسان. "لا" فقد فأصبحت المشكلة هى "فقدان الإنسان لنفسه" لأنه فقد قيمته يوم أن تخلى عن الإيمان. الإنسان الذى فقد صلته بالله. ثم بالكون. ولم يعرف غايته بمعانيها الإنسانية.

(2) سورة الأعراف 32

(1) رواه البخارى

(3) رواه البيهقى

لذلك عليك أن تنظر إلى علاقة الإنسان بأسرته. أصبح لا يعرف قدر أبيه الذى رباه ورعاه. وأحياناً يتبرأ منه. لأنه أُمى. أو فقير. كذلك الأخ لا يعرف حق أخيه. وانتشرت الأثرة والأنانية. وحب النفس.

تأمل الفرد- ولا تسل عن الخوف الذى يسيطر عليه. والقلق الذى يعانیه. ومع ذلك فهو متكالب على المادة. ولا تسل عن الإنحراف الخلقى والهوية التى انحدر إليها ولك أن تتأمل مجال العلاقة بين الفرد. والجماعة. أو الجماعة بالأمة. وهى الأمة التى ستواجه العالم. فهل يليق بها فى ظل هذه العلاقات التى انعدمت فيها الثقة. لقد أصبحت العلاقة قائمة على الخداع. والمنفعة المادية بمعناها المتسع. لقد انعدمت الصداقة القائمة على الحب الصادق بين الناس رغم أن المسافات بين الناس طويت. واقترب الناس فى مجال التخاطب والانتقال حتى أصبحوا وكأنهم فى بيت واحد. لكنها ابتعدت فى مجال الأخوة والمحبة. رغم أن المجتمع الإنسانى فى الحضارة المادية. لكنه ينخفض فى العلاقات الإنسانية القائمة على الحب. والإيثار. قد يتقدم العلماء فى مجال الطبيعة والرياضة. لكنهم يتأخرون فى التمسك بالقيم ووهنت روابط الإخاء والمودة بينهم وأصبح الأخ يكيد لأخيه. والأم تذبح أبناءها بيدها لماذا؟ لأن الإيمان ضاع من القلوب.

افتراءات

بسبب ما أصاب المسلمون من تخلف. قال- "اللورد كرومر" وهو مستعمر إنجليزى "أن المسلمون متأخرون. متخلفون. لأن دينهم. دين يدعو إلى الفقر- والجهل- والمرض- فهو دين تخلف" وهذا الشخص المتعصب لم يقرأ ما قاله- الفيلسوف المعاصر "برتراند راسل" فقد قال أن الإنسان فى صراعه مع الطبيعة قد انتصر بواسطة العلم- أما فى صراعه مع نفسه فلم

يحرز انتصاراً ولم يجده سلاح العلم. ويعترف بأن الدين هو صاحب هذا الميدان".

إن الحق الذى نقره ونعته. أن المسلمين تأخروا لأنهم تركوا منهج ربهم وهدى ربهم. فيوم أن تمسكوا بدينهم كانوا سادة العالم. وأسائنته كما كانوا قادة فى العلوم- والآداب- والفنون- لقد وصلوا إلى ذروة المجد. والحضارة. والمدنية. والرقى والتقدم يوم أن تمسكوا بدينهم. وعرفوا ربهم. وقاموا بالتمسك بالأخلاق. والآداب. والمثل النبيلة. تقدموا فى الصناعة والزراعة وضرب الله لهم نماذج من الرسل نبغوا فى صناعة الحديد والتجارة وبناء السدود. والسفن والغواصات وصناعة الأدوية والبراعة فى الطب وغير ذلك إن الإستعمار أبعدنا عن روح الإسلام. وأضعف قوتنا. ونشر المخدرات والدخان فسلب أموالنا وأضر بصحتنا حتى تأخرنا ورغم أن الاستعمار رحل من بلادنا إلا أنه أسس مدارس. ترك فيها قيادات. يدينون بمنهجه وينشرون أفكاره والتي آخرها:

1) سورة الفيل ورقمها فى عدد السور "105" والتي جاء فيها بأن الله أرسل على جيش أبرهة- طيرا أباييل- فقالوا لم تكن طيرا. وإنما هو مرض الجدى تفسير من أهوائهم وتضليل للعقول.

2) تفسير النبوة. وإيمان الصحابة. وزعموا بأنها ليست نبوة وإنما محمد رجل ثورة فجرها وقام بها وجمع حوله الفقراء ليكونوا ضد الأغنياء وقد أجم نار الثورة لقلب أوضاع اجتماعية. ونوازع اقتصادية. طلباً للرزق وسعيًا وراء شهرة.

3) الإسراء والمعراج. سياحة روحية ورؤا منامية وقد يتم نسج خيوطها محمد وألف أحداثها وصدقه أتباعه.

4) الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة بدر - دعم معنوى. فقط لأنه فى عرفهم لا ملائكة ولا شياطين لأن هذه المدرسة يفتحون أعينهم ويغمضوها على نهضة أوروبا المادية والتي لا تؤمن إلا بالمحسوس وهم فى دراستهم محاولة خلق أزمات قوية ووضعها فى طريق المسلمين. لكن غاب عن أعين هؤلاء أن ثورتهم الإصلاحية كشفنا أبعادها. وأن أعوانهم منا والتي غشيت أبصارهم أنوار حضارة تعب فى ظلها الجميع. وتصعد العالم ومزقت الجماعات. ودب الصراع هناك وهما. وحكم المنصفون على هذه الحضارة بالفشل والخسران. لأنها بعيدة عن الدين. وعن الصلة بخالق الكون. وأنها أرهقت المجتمعات لأنها حضارة. هدم لخصائص الإنسان. وإهدار قيمه. ثم إن أسلحتهم ما هى إلا هدم للأحياء، وتدمير لما بناه الإنسان إن مشكلة العالم اليوم تتلخص فى - التتكر لله الخالق - وعدم الإيمان بالرسالة المحمدية الخالدة وفى البعد عن موازين الأخلاق - إن الإنسانية اليوم لن تجد غير الإسلام يعصمها من التفرق. والتعالى وعدم الانصياع إلى الحق. ولن تجد الإنسانية من أن ينظم علاقاتها مع اختلاف أجناسها وعقائدها إلا الدين فالناس فى ظل الدين أخوة. بينهم محبة. وتعاون. وأن الإنسانية - إن هى أرادت لنفسها نجاة - وحلا لأزماتها. عليها أن تعرض نفسها. وأزماتها على هدى نبيها. ولن تجد من يحميها من نفسها. ومن غيرها - إلا الإسلام الذى حمله إلينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأن أساس الأعمال. والأخلاق. هو الإخلاص لله والهدف الذى ينشده المرء هو قبول عمله - الذى يعتمد على النية - وهى الإخلاص لله رب العالمين - ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات. وإنما لكل امرئ ما نوى" (1).

(1) رواه البخارى

إن من يطلع على ما كتبه المتعصبون والمستشرقون. والمستغربون يجد أن هؤلاء يغذيهم أقلام مسمومة. ويرعى أفكارهم ويروجها. مدارس فكرية معينة لها منهج محدد- تدس السم في العسل. وتفضل المهرج والراقص على شخصيات عظيمة لها قدرها ووزنها في العمل الفكرى. والإقتصادى والإجتماعى والدينى. والسبب فى ذلك أن المدارس التى أنشأها المستعمر بهر روادها النهضة الأوروبية المادية. وراجت لديهم الأفكار. ووقعوا تحت هذا التأثير المادى. لذلك. فهم لا يعرفون الإرهاصات. ولا يصدقون بالمعجزات. ولا يقرون بقدرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على حل الأزمات. والقضاء على الصراعات. وينكرون الوحى. لأن النبى صلى الله عليه وسلم فى عرفهم لم يوح إليه بشئ. وإنما القرآن تعلمه من شخص أعجمى. وقد تعلم السحر. فسحر أعين الناس وأسماعهم إلى غير ذلك مما افتراه رواد هذه المدارس. وقد غزتهم أقلام مسمومة. وشخصيات لا وزن لها. ولا عقل لديها. وإنما الحقد الأعمى. وعدم قراءة التاريخ. والجهل بحقائق الأمور أوصلهم إلى الله.

علاج ذلك

أمر ميسور. وسهل جداً لا يحتاج إلى فلسفة. ولا ندور فى شئ لا يوصل للحقيقة. ونحن نخاطب الذين يبحثون عن الحق لذاته. وعن المعرفة للمعرفة نفسها. ونراعى الدقة فى العرض. والتمحيص- والأمانة فى الحكم النهائى. لأن المستشرقين. تعصبوا جهلاً. واعتمدوا على ما دسه أعداء الإسلام من أحاديث مكذوبة. وقصص ملفقة غير صحيحة. وكان التعصب واضحاً فى كتاباتهم. متأثرون بما درسوه فى صباهم. مع ميولهم الطائفية. ونقول لهم أن سيرة سيدنا محمد لى الله عليه وسلم. وتاريخ حياته معروف

أكثر من أى شخصية عالمية. لماذا؟ لأن أخباره من لحظة مولده. وقبل ذلك. تعرضت للفحص. والتمحيص. والتوثيق وحتى بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى. حللوا كل لحظة من حياته. من هم أصحابه. كيف كانت طفولته. رعيه للغنم. وهو يمارس التجارة. مدخله. مخرجه. أى الأماكن كان يجلس. علاقته بالناس كيف تزوج- أولاده. مشاركته فى العمل التطوعى "حلف الفضول" حكمه بين الناس. وكيف رضى بحكمه زعماء قريش والعرب. ونسمع لرجل حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لحظة نزول القرآن عليه إلى فتح مكة "يعنى أكثر من عشرين سنة. وهو من العتقاء- أبو سفيان بن حرب- يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد حاربتك فنعمة المحارب كنت. ثم سالمتك فنعمة المسالم أنت"⁽¹⁾ إن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً. وأحسنهم أدباً. وأطفهم عشرة. ولقد مدحه خالقه. فقال له "وإنك لعلى خلق عظيم"⁽²⁾ ولك أن تقرأ القصة التالية. لتتعرف على إنسانيته الكاملة وصدق تعامله- وحبه حتى لأعدائه. وفيها تتجلى رحمته بالناس الضعفاء. وقع بعض الأسرى من البحرين فى يد أصحابه. وجاءوا بهم إلى المدينة. فنزل إليهم يتفقدهم. فإذا بامرأة تبكى- فقال ما يبكيك؟ فقالت. بيع ولدى فى بنى عيس.. فكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ثابت الأنصارى- وكنيته- أبو أسيد- أن يذهب إلى بنى عيس. ويسترد ولدها وقال له "لتركين فتأت به على وجه السرعة فركب أبو أسيد فجاء به"⁽³⁾ امرأة أسيرة لا كيان لها. ولا يؤبه بمثلها. لكن العظيم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم يتعامل بكل حب وعطف وتقدير لمشاعر الإنسانية. مع رقة فى أدب.

(2) سورة ن 4

(4) رواه أبو داود

(1) صلاح الدين خليل. طبع المعهد الألماني 1997

(3) رواه الحاكم

وحنان - على من؟ على امرأة أسيرة. فيرسل أحد جنوده ليأتى لها بولدها ليهدأ بالها. وتجف دموعها. موقف إنساني رائع وكانت الرحمة والتسامح في طبعه. حتى في حروبه. فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً بالطفل الصغير. والشيخ الكبير.. وبالنساء. والمرضى. وكان صلى الله عليه وسلم يوصى أصحابه. وقادة الجند. بتقوى الله. ومراقبته. وأن يتمسك كل منهم بالرحمة واحترام الآخر كما إنه في حربه وسلمه كان رحيماً بكل المخوفات. حتى في غياب الرقابة البشرية. ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فرأى الناس مجتمعين. فبعث برجل وقال له "أنظر علام اجتمع هؤلاء؟ فذهب وجاء فقال. امرأة مقتولة. فقال. ما كانت هذه لتقاتل - وكان على مقدمة الجيش خالد بن الوليد. فبعث إليه رجلاً قال له "قل لخالد "لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً"⁽¹⁾ العسيف هو الخادم. وكان وفيّاً للبشرية كلها إلى أبعد مدى. ومع قسوة المعاناة التي كان يلقاها من المشركين وحلفائهم نجده يعاملهم بلطف وعبقرو وحب ولم يحاول مرة واحدة أن يرد على إساءتهم؟ لأنه صلى الله عليه وسلم يحب أن يتعايش مع الناس حتى المخالفين له في العقيدة ويتم ذلك في أدب ومحبة وسلام. وكان دائماً يوصى أصحابه بقوله "أغزو باسم الله - قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا. ولا تقتلوا وليداً. أو امرأة. ولا كبيراً فانياً. ولا منعزلاً بصومعته"⁽²⁾.

ورؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرب وأغراضها وأهدافها. لأن الحرب في شرعه دفاعية. لم ينشئ النبي صلى الله عليه وسلم أبداً معركة إلا وهدفها "الرد العدوانى" ولا يستطيع أحد أن ينكر أو يعترض. لأن التاريخ

(2) رواه البخارى

(4) رواه البخارى

(1) رواه مسلم

(3) سورة البقرة 285

أكبر مشاهد. والدوافع هي- الدفاع عن النفس وحماية الدين. والوطن. وتأمين الأهل. وحماية المسلمين. ثم إن أهداف القتال في الإسلام معروفة- مدونة في الكتب. فليرجع إليها من شاء. ثم كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الغدر والخيانة ويردد على سمع الزمن "من آمن رجلا على دمه فقتله. فأنا بريء من القاتل ولو كان المقتول كافرا"⁽¹⁾ وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- يحترم الأنبياء السابقين عليه. ويوقر منزلتهم. ويذكرهم بالخير. ونبه أتباعه أن يؤمنوا بهم. وأنهم بلغوا الرسالة إلى أقوامهم ويكفينا هنا ما قاله ربنا "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. لا نفرق بين أحد من رسله"⁽²⁾.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مع سمو مكانته كان يدعو إلى التوسط والاعتدال. وعدم الغلو في الدين، لأنه يدعو إلى حل الأزمت باعتدال. ورحمة. ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم "إن الدين يسر. ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه. فسددوا وقاربوا وأبشروا. واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة"⁽³⁾.

ويضرب المثل العملي على حل الأزمة بهدوء. وعدم انفعال من ذلك. أن زيد بن سَعْنَةَ وهو رجل يهودى كان له دين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاء يطلبه- وفجأة وقف زيد. وأخذ بمجامع قميص النبي صلى الله عليه وسلم ونظر زيد بوجه غليظ. وقال- يا محمد ألا تقضيني حقي.. فوالله. إنكم يا بني عبد المطلب. قوم مطل (يعنى مماطلون في الحق) كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينظر وقد أصابه هلع من هذا المنظر فنظر إلى زيد- وهو رجل يهودى. وقال سيدنا عمر ما هذا أيها اليهودى. ماذا

أرى؟ وماذا تقول؟ فارتعد زيد - وخاف. وارتعد - وهو يرى في يده السيف. فاحتدى زيد بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم. ما هذا يا عمر؟ أنا وهو كنا أحق بغير هذا منك يا عمر "تأمرنى بحسن الأداء. وتأمره بحسن الطلب" اذهب يا عمر فاقضه حقه. وزده عشرين صاعاً من تمر بسبب ما روعته⁽¹⁾ وكان اليهود يدخلون عليه. فيقولون له "السام عليكم" والسام يعنى الموت فيرد عليهم "وعليكم" فسمعتهم مرة سيدتنا عائشة رضى الله عنها. فقالت. وعليكم السام واللعنة - فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم "مهلاً عائشة. إن الله يحب الرفق فى الأمر كله" وفى رواية "إياك والعنف والفحش - تقول - فقلت يا رسول الله. أو ما سمعت ما قالوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قد قلت وعليكم"⁽²⁾ هذا هو الهدى النبوى فى حل الأزمات وعدم قيام الصراعات - التعامل برفق - وحلم. وعدم مقابلة السيئة بالسيئة. فمن عفى وأصلح فأجره على الله.

نظرة النبى صلى الله عليه وسلم للأزمة

كان النبى صلى الله عليه وسلم ينظر إلى الأزمة بواقعها الإجتماعى. والمجتمع الذى يعيش فيه الإنسان. وهناك شئ يتحلى به الإنسان - مجموعة من القيم - أهمها:

(1) قوة الاحتمال. وضبط النفس - والصبر.

(2) إشاعة روح المساواة والرفق بين الناس جميعاً. ولهذا أسمع الدنيا كلها قوله "إن الله رفيق يحب الرفق. ويعطى على الرفق ما لا يعطى على

(2) رواه البخارى

(1) رواه ابن حبان الحاكم

(3) رواه مسلم

العنف. وما لا يعطى على ما سواه⁽¹⁾ ولقد رأينا صلى الله عليه وسلم طبق ذلك عملياً ففي حله للمشاكل الإجتماعية خوفاً من التصادم بين القبائل والعائلة. وكل فريق يلوذ بعشيرته. ويستتهض أقاربه. وتقوم أهليته بنصرته ظالماً أو مظلوماً. وصراعات أخوية. يتعصب الجار للجار والصديق للصديق. وتكون فتنة لا يعلم إلا الله متى يتوقف نزيف الدم- ولهذا كانت الرحمة مع الرفق. مع الحلم سبباً في حل الأزمات ولذا نشأ المجتمع في ظلها في أمن وسلام. وحب وإخاء. ولتنظر لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنذكر عظمته في حل الأزمات. فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله أصحابه- إذ جاء إعرابي. فقام يبول في المسجد وقال له الصحابة. مه - مه- وهى كلمة للزجر والتعنيف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تترموه- دعوه- أى اتركوه ولا تقطعوا عليه بولته. فتركوه- حتى بال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه- وبكل لطف. وابتسامة. وحب. قال له. إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول. ولا القدر. إنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن- ثم أمر رجلاً من القوم فجاء يبلو من ماء- فصبه عليه⁽²⁾- أى أزال أثر البول بصب الماء عليه. فهو صلى الله عليه وسلم حل هذا الموقف وهو أزمة لما كان سيترتب عليه. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم علم الرجل وعلم غيره درساً هادفاً دون تعنيف أو تخويف.

ومع كل ما قدمناه فهناك قيمة. المسالمة بين أبناء المجتمع جميعاً لأن الإنسان صنعة الله. كرمه- وفضله على كثير من خلقه. وأمرهم أن تسود حياتهم حب. وأمن. فلا يليق بإنسان أن يعيب على أخيه أى شئ. ولكن يقدم

الإنسان النصيحة. والتوجيه. لأنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أى المسلمين أفضل؟ قال " من سلم المسلمون من لسانه ويده" (1). لأنه بهذا المسلك القيمي يشيع فى المجتمع روح المودة. والحب. والرحمة والتعاطف. ولذلك حرم الله قتل الإنسان - أى إنسان. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو أن أهل أهل السموات وأهل الأرض اشتركوا فى دم امرئ لأكبههم الله فى النار" (2). وترويع الأمنين يحرمه الله لأنه يفتح منافذ الشر فى وجه الآخرين ويكون سبباً فى فتح أبواب الفوضى ويقضى على الأمن والاستقرار تحت ذريعة يتخذها البعض. - إنا بنهزر. بنلعب كل ذلك إذا تسبب فى تخويف الإنسان أو ترويعه- حرام- حتى ولو كان من باب الفكاهة- ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه. حتى يمتنع وإن كان أخاه لأبيه وأمه" (3) وكان جمع من الصحابة يسيرون مع النبى صلى الله عليه وسلم. فنام رجل منهم. فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه. ففزع الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" (4) أدب فى التعامل لدوام الحب بين الناس فى المجتمع وحتى يتم القضاء على الإنحرافات الخلقية والتحرش بالآخرين. وهذه مدرسة النبوة تحارب كل شئ يكون سبباً فى إشاعة الفوضى وخلق الأزمات ويروع الأمنين إن كل عمل يقوض الأمن. ويزعزع السلام- وينشر الخوف والهلع فى المجتمع. ويرهب الأمنين ويحول بينهم وبين الحياة الهادئة المطمئنة يجرمه الإسلام ويحرمه.

(2) رواه مسلم

(4) رواه مسلم

(2) سورة النساء 135

(1) رواه البخارى

(3) رواه الترمذى وصححه الألبانى

(1) رواه أبو داود

(3) رواه الطبرانى

الإسلام السياسي

فى زحمة تصدير المفاهيم المغلوطة إلى مجتمع المسلمين "الإصلاح الدينى" صدروا كلمة "الإسلام السياسى" وهى كلمة حق يراد بها باطل. لأن الإسلام جاء ليحكم الدنيا بالعدل. والمساواة. والإسلام. لا يتجزأ. فالإسلام يأمر أتباعه والمعتنقين لمبادئه أن يتسموا بالصدق - مع الصديق - والعدو مع القريب والبعيد. لا مجاملة؟ لأحد. ويتم ذلك إمتثالاً لقول الله "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله. ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما. فلا تتبعوا الهوى أو تعدلوا"⁽¹⁾ والمسلمون آمنوا بما نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يجوزون الإسلام. لأننا إذا اعترفنا بذلك. فيكون هناك "الإسلام الإقتصادى": الإسلام التجارى" وهكذا يتم التلاعب بكلمة الإسلام. وتخلق الأزمات. وتتعدد مناحيها. ويتلاعب بنا أكثر مما نحن عليه اليوم.

إن السياسة علم. قائم على أصول منهجية. ومواد دراسية. لكننا نحن المسلمين نعرف السياسة بأنها "السعى فى مصالح الناس تطوعياً بلا أجر. ابتغاء مرضاة الله" لأن الإنسان قد يكون عضواً فى مجلس نيابى. يتقاضى أجره وانتقالاته من الدولة. وقد يكون موظفاً فله راتبه. وصاحب الحاجة فقير محتاج. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "إن الله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفرع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله"⁽²⁾ ويقول أيضاً

-
- | | |
|------------------------|--|
| (1) سورة النساء 135 | (2)، (3) رواه الطبرانى |
| (1)، (2) رواه الطبرانى | (3) رواه مسلم |
| (1) رواه الطبرانى | (2) رواه مسلم |
| (3) رواه الطبرانى | (4) روى هذه الزيادة الحاكم وقال صحيح الإسناد |
| (5) سورة البقرة 177 | (6) سورة الحج 77 |

"إن الله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كنوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم. فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم"⁽¹⁾ ويقول أيضاً "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"⁽²⁾ ويقول عليه الصلاة والسلام "من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين. ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين"⁽³⁾ - وقال الحاكم - لأن يمشى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته. وأشار بإصبعه - أفضل من أن يعتكف في مسجدى هذا شهرين"⁽⁴⁾ إن السياسة في عرف المسلم هي من أعمال الخير التي كلفه الله بها يؤديها ابتغاء رضوان الله: يقول الله سبحانه "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزکاة. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا. والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذین صدقوا وأولئك هم المتقون"⁽⁵⁾ ويقول سبحانه "ياأيها الذین آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربکم وافعلوا الخير لعلکم تفلحون"⁽⁶⁾ - هذا هو التوجيه للعمل السياسى للشخص المسلم - وإذا لم يكن له أى دخل ليرتفع بمستواه يحدد له راتب مثل نظرائه من زكاة المسلمين - تحت بند والعاملین علیها- ما دام فى قدرته تأدية خدمات للمسلمین تحت بند- العمل السياسى. لیكون الهدف من ذلك- خدمة الدولة.. وتأمين الجبهة الداخلية. ومساعدة

الذين ليس قدرة على الحركة. والذهاب إلى دواوين الحكومة- لكن نقول الإسلام السياسي- لأكل أموال الناس بالباطل. فتعم النقمة. ويكثر الحقد. ويزداد الخلاف. وينتشر البغى باسم الإسلام الذي أمرنا- بالحب. والإحسان- والتعاون.. إن الإسلام حرم أكل أموال الناس بالباطل واستغلال حاجتهم لبعض الخدمات فيكون ما نهى الله عنه من أكل أموال الناس بالباطل. وقد حذرنا ربنا من ذلك في قوله سبحانه "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون"⁽¹⁾ إن الرجل السياسي الذي ليس عنده دين ولا خلق- دائماً يخلق الأزمات. ويثير المعارك. ويقوى الخصومات. لذلك سئل أبو جهل من ابن أخته- المُسَوَّر بن محزمة.. قال لأبي جهل- يا خالي "هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو جعل- يا ابن أختي- والله لقد كان محمداً فينا وهو شاب- يدعى الأمين فما جربنا عليه كذباً قط- قال- يا خال- فما بالكم لا تتبعونه؟ قال يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف- أطعموا فأطعمنا وسقوا وسقيننا. وأجاروا وأجرنا- حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرس رهان. قالوا منا نبي. فمتى ندرك مثل هذا؟.

والتقى الأخنس بن شريق- بأبي جهل. فقال الأخنس- يا أبا جهل ليس معنا أحد يسمع كلامنا- أصدقني. أمحمد صادق. أما كاذب. فقال أبو جعل ويحك. والله إن محمداً لصادق. وما كذب محمد قط. ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء. والحجابه- والسقاية. والنبوة فماذا يكون لسائر قريش"⁽²⁾ هذا اعتراف- من أبي جهل- وهو العدو الأول لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(2) ابن القيم- هداية الحيارى ص 50

(1) سورة البقرة 188
(3) مسند الإمام أحمد

إن أبا جهل يعادى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عصبية بغیضة. لأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم سيكون ناجحاً ويحكم العالم بالعدل والمساواة. وهو سياسى من الطراز الفريد الذى كاتب الملوك وأرسل السفراء ليلتقوا بالناس.. ولقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يكون على درجة عالية من العمل السياسى الحكم بالعدل. والمساواة بين الناس. والنصح لهم. وفعل الخير. الذى ينهض بالمجتمع ويؤلف قلوب أعداء الدين إلى أحباب مخلصين.

ويؤكد لنا عمله الدبلوماسى. أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل هدايا الملوك والرؤساء. وكان يكرم رسلهم. كما أكرم رسول كسرى وكل الوفود التى تأتى إلى المدينة. فكان يبدى بهم اهتماماً خاصاً- استقبالاً. وضيافة. وهدايا ولعل أبلغ موقف ما فعله مع النجاشى ملك الحبشة. فقد مدحه. وأثنى عليه وقال لأصحابه إن أرض الحبشة بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد⁽¹⁾ ثم وكل النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى. ليكون عنه وكيلاً فى تزويجه من السيدة أم حبيبة. والتى تنصر زوجها فى الحبشة. وقام النجاشى بجهازها ودفع الصداق لها⁽²⁾.

ود متبادل- واحترام للرأى- وتبادل للمنافع. وتأمين من يرجى تأمينه ولا يدخل فى نظم الدولة الأخرى ولا يتآمر عليها يتم ذلك فى جو من الحب. والإخاء. ولقد أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا التعامل ليشهد العالم أجمع على مدى ما يتمتع به الإسلام ونبیه من ذوق فى التعامل ومد جسور المودة والتآلف مع الجميع ونستدل على ذلك بشهادة المستشرق

(2) دكتور/ فاروق حمادة- العلاقات الإسلامية النصرانية ص 69 بتصرف

(1) دكتور/ فاروق حمادة- العلاقات الإسلامية النصرانية ص 69 بتصرف

الأمريكي "واسنجتون إرفنج" فى كتابه "حياة محمد" ص72 كتب فقال "كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل. لا على أنه قائد مظفر. فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح فى مركز قوى. ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالعفو" وهذا أعلى قوة فى العمل الدبلوماسى. وشهادة التاريخ أكبر شاهد - قديماً وحديثاً. وشهادته بأن الدين الإسلامى هو المؤثر فى مشاعر الناس وأحاسيسهم. لهذا فهو أسرع الديانات انتشاراً. ونمواً فى العالم منذ أن بشر به النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا. وشهادة التاريخ شهادة صدق على إيمان الشعوب به سواء كانت منتصرة - أو - مهزومة ولعلنا نقف أمام حدث حير العلماء والمفكرين - وهو - إسلام التتار - هذا الشعب الذى دخل بلاد المسلمين - أبادوا المسلمين بلا رحمة. ودمروا المنشآت بلا هوادة. وأحرقوا المكتبات. ورموا بالكتب فى البحار وحرقوا المصاحف. ودخلوا المساجد وحولوها إلى أماكن للسهر والخمور. والرقص والغناء بعد هذه العريضة - وهذا التسلط. وملايين القتلى من المسلمين - هزموا فى معركة عين جالوت عام 658هـ الموافق 1260م - وكانت هزيمة منكرة لهم وهزموا على يد مسلمين - بدعوا يفكرون فى هذا الدين. وعرفوا قوته - وقدرته - وسماحته - وعفوه - فأمنوا. وأسلموا. وتحولوا إلى مدافعين عن الإسلام. مدافعين عن المسلمين يحمون حدود الدول الإسلامية. ما هذا؟ إنه سر الإيمان إذا دخل إلى القلب بصدق ويقين. إن الداعى إلى الإسلام - وحل الأزمات نابع من الإسلام نفسه الذى اعتنقه بصدق - وإخلاص. يكتسب الصلة المباشرة بالله الواحد - الخالق الرزاق - الذى رفع السماء بغير عمد. وسخر الشمس والقمر. كل يجرى لأجل مسمى وهذا الإله العظيم - حرر الإنسان من نل العبودية لغيره. لأنه يكتسب الأمل

فى حياة أسعد. ومستقبل أرغد. وسعادة نفسية. لأن الإنسان يقف بين ىدى خالقه خمس مرات فى اليوم والليلة. مع الوعد من الله الذى هو أصدق قىلا- بحياة الخلود فى دار الخلود. وسعادة الدنيا. والفلاح والنجاح فى الحياة الأولى. إذا صدقت النية. وخلص العمل لله.

مواقف خالدة

علنا أن نتذكر هذه القصة الخالدة. والمسجلة بأحرف من نور بين صفحات التاريخ إنه موقف نادر جداً- فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع- ثمامة بن أثال- وهو زعيم كبير فى قومه- بنو حنيفة- وكان تاجرا كبيرا مشهوراً. وقد قرر أن يقتل النبى صلى الله عليه وسلم فذهب إلى المدينة المنورة لىقتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل المدينة أسرع إليه الصحابة وجاءوا به إلى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم - فعرفه النبى صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه- أحسنوا إيساره⁽¹⁾ - ثم قال لأصحابه أيضاً- إجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه⁽²⁾ لقد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل معاملة كريمة تتم عن احترام الرجل بما له من مكانة بين قومه- فى اليوم سأله النبى صلى الله عليه وسلم "ماذا عندك يا ثمامة؟ قال- عندى يا محمد خيرا إن تقتل تقتل ذا دم. وإن تنعم تنعم على شاكرك. وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما تشاء- كان الصحابة يقدمون إليه أطيب طعام مع لبن لقحة رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁽³⁾

(1) ابن هشام

(2) فتح البارى لابن حجر

(3) اللقحة- الناقة الحلوب- لسان العرب مادة لقح

فى اليوم التالى مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله- ماذا
 عندك يا ثمامة؟ فقال- إن تنعم تنعم على شاكر. وإن تقتل تقتل ذا دم. وإن
 كنت تريد مالاً فسل تعط منه ما شئت- فى اليوم التالى سأله أيضاً فكان نفس
 الرد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه "أطلقوا ثمامة- فى هذه
 الأيام الأربعة عاين ثمامة النبى صلى الله عليه وسلم. ورأى معاملته- وعاين
 الصحابة ورأى حبه للنبى صلى الله عليه وسلم وتنفيذ تعليماته. ثم رأى
 وشاهد- وعاين ما عليه الصحابة- من كرم وحسن معاملته وأدب وأخلاق-
 فأطلقوا سراحه. بدون مقابل- أو محاسبته على جرأته ومجيئه إلى المدينة
 لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمداً على ذكائه- ومكانته بين قومه.
 وثروته وماله من تجارة مع قريش. وظن ثمامة أنها مناورة. فخرج من
 المسجد. ثم خرج من حدود المدينة. وتلفت فلم يجد من يتبعه- ليعد عليه
 أنفاسه. ثم سار إلى أن وصل إلى بئر فاغتسل ثم رجع إلى المدينة ودخل
 المسجد ووقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقال أشهد أن لا إله إلا
 الله- وأشهد أنك يا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله ورسوله-
 والله- يا محمد- ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك. واليوم-
 أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى- والله- يا محمد. ما كان من دين أبغض
 إلى من دينك واليوم. أصبح دينك أحب الدين كله إلى. والله يا محمد- ما كان
 من بلد أبغض إلى من بلدك واليوم- أصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى- وأنا
 أريد العمرة- فما ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن
 يعتمر- فلما قدم مكة. قال له أحد رجال قريش- أصبوت؟ فقال لا. ولكنى
 أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما ضيقوا عليه. قال لهم- والله

لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾ فانظر - رعاك الله إلى قوة الإيمان - ثمامة - رجل تاجر - يبيع للمشركين. وقد أسلم. فأقسم أنه لن يصل إلى المشركين حبة حنطة - إذا تم ذلك. مات المشركون من الجوع لأنه من اليمامة يأتيهم القمح والمتحكم فيه ثمامة. وقومه لن يخالفوا أمره. لهذا فزع المشركون فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل الرجل بما يستحق لقسى قلبه وأظلم ولكن حل الأزمات فن - وكياسة - ولباقة - وهذا يجذب قلب العدو قبل الصديق فهذه المعاملة الكريمة تركت أثراً طيباً في نفس ثمامة - وبدون ضغط أو إكراه ولما رأى أن قريشاً تصر على عنادها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يبيع لهم ولا يشتري منهم - وسوف يترتب على ذلك تضحيتة بثروة هائلة كانت تأتيه من تجارته مع قريش - علاوة على أنه سيضحى بعلاقات اجتماعية مع أشرف قريش.

شبهات مرفوضة

أزمات أراد المستشرقون. وأعداء الإسلام أن يضعوها - أمام المد الإسلامي. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من زوجاته. وهذا دليل بأنه رجل شهوانى يسعى لقضاء شهوته. وتحقيق رغباته منهن. وأنه تزوج من سيدتنا عائشة رضى الله عنها وهى فى الحادية عشرة - أو التاسعة على بعض الأقاويل - والحقيقة التى يجب أن نعيها أن سيدتنا عائشة - كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدى وفسخت الخطبة لأن والدة الخاطب خافت على ولدها من تأثير هذا الزواج فيسلم وفسخت الخطبة - وتقدم أشرف

(1) حديث متفق عليه

الخلق فخطبها تدعيماً لصدقة أبيها. وإدخال السرور عليه بهذا الزواج ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم فى أيام فراغه. وشبابه. وقبل أن يؤسس الدولة اكتفى بسيدتنا العظيمة "خديجة" لم يعدد. فلما نزلت عليه الرسالة. وأصبحت وظيفته الأولى هى "دعوة الناس إلى الإسلام. والوقت محدود. وبناء الدولة. ووضع الأسس الاجتماعية. والاقتصادية- والتنظيمية. والسياسية- أعداد الجيوش- مخاطبة ومكاتبة الملوك- قيادة الدولة. قيادة الجيوش. إلى غير ذلك- أفبعد هذه الأعمال. يكون هناك تفكير فى قضاء شهوة كما يقول أعداء الحق- لكن الحقيقة أنه عدد من زوجاته. فكيف.

أولاً: الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من السيدة الكريمة المهذبة الفاضلة- الماهرة سيدتنا خديجة وسنه 25 خمس وعشرون سنة- واستمر معها فى عيشة طيبة ومحبة صادقة- ووفاء نادر وانتقلت إلى ربها وسنه 52 إثنين وخمسين سنة. لقد مضى عهد النوم- وعهد الشباب- وعهد الفراغ- أفبعد هذا يفكر فى الزواج؟ ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم- مثلاً أعلى للفتوة الإنسانية- يمتلئ صحة ونشاطاً وكان له منها نصيب كبير- لنشأته فى البادية. ولم يعيش حياة المدنية. وما فيها من سهر وغير ذلك. كما كان يتحلى بصفات الفروسية. والرجولة الكاملة. ومع ذلك لم يأخذ عليه أعداؤه أى مغمز فى هذه الفترة الحاسمة من حياته قبل النبوة- وبعدها لأن حياته كانت مثلاً للظهر والنزاهة والعفاف. والرسول عليه الصلاة والسلام لم يتزوج إلا سيدتنا عائشة بكرًا- وما تزوج من زوجة إلا لمصلحة راجحة من مصالح الدعوة- أو كان الزواج- لرعاية أيتام لصحابى توفى- أو لمروءة ومكارم الأخلاق كما تزوج من سيدتنا سودة بنت زمعة- أو- من أم حبيبة- أو لجلب منفعة عامة كزواجه من صفية بنت جبي- زعيم اليهود. وجويرة بنت الحارث سيد

بنى المصطلق وكان يتزوج بشخصيات تدعيماً للدولة الناشئة لأن هذا الزواج سيضيف بعداً جديداً لتوثيق العلاقة بينه وبين الأسر والقبائل. لأنه كان يعلم بالوحي أن هؤلاء سيخلفونه في حكمه للمسلمين ونشر رسالته في الآفاق.

وكان في تعدد أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم دور كبير في نقل السنة في كل صغيرة ودقيقة من حياته الأسرية لأنه القدوة للمسلمين - لأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع. ولهذا كان لأمهات المؤمنين نقلة لكل قول أو فعل سمعته أو رآته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إن الله أباح له أن يعدد من زوجاته لحكم دينية واجتماعية قد نعلم منها شيئاً أو لا نعلم. ولقد كانت عيشته صلى الله عليه وسلم مع نسائه تتسم بالبساطة. ولم يشغله عددهن عن رعايته الكاملة لأمر الدولة - داخلياً وخارجياً.

وعلينا أن نعلم أن قريشاً لم تتحدث عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة رضي الله عنها لأنها كانت ناضجة. ومخطوبة لشخص من قبله هو جبير بن عدى. ثم إن علينا أن نراعى فروق العصر. والظروف الإقليمية. وكيف أن نزوج الفتاة في المناطق الحارة يكون مبكراً. والمشركون الذين تربصوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. وأبو عليه الناس وهي لم تترك مجالاً للطعن فيه إلا وسلكته. ولو كان زوراً أو بهتاناً واقتراء لم تتكلم في شئ من أمور زواجه. وأنه عدد زوجاته ذلك لأن العرب كانوا يعددون. واليهود في المدينة لم يتعرضوا للحديث عن تعدد نسائه لأن الأنبياء من قبله عدوا. فهو ليس بدعاً من الرسل. ولقد جاء في التوراة - أن نبي الله سليمان عليه السلام تزوج المئات من النساء. فهل المستشرقون في هذه الأيام أعلم - أم الذين عاصروه صلى الله عليه وسلم لكنها مشاكل وعقبات وأزمات

يحبون أن يضعوها في طريق المسلمين. يشككون في نبي عظيم. ورسول كريم مدحه ربه بأنه على خلق عظيم.. وأن الله أدبه فأحسن أدبه. فعلى المسلمين أن يقرءوا تاريخ نبيهم العظيم ويدرسوا سيرته الطاهرة. ويتعرفوا على مكارم أخلاقه وأن يعلموا أولادهم حب الله العلى القدير. وحب نبيهم العظيم وحب آل بيته الكرام ولقد قال الله سبحانه لحبيبه ومصطفاه "ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية. وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب"⁽¹⁾.

العنف الدينى

مزاعم روج لها أعداء الإسلام- ونقل عنهم وروجوا لهذه الفكرة الخاطئة الذين لم يقرءوا ولم يسمعوا. ونقول لهم- إذا كنتم جهلة فلا تتكلموا بهذا- لماذا؟ لأن أى دين سماوى- لا يعرف العنف ولا يقره. ولا يرضى أى نبي لأحد من أتباعه مهما كان أن يتسلم بالعنف- ذلك لأن هدى السماء إلى سكان الأرض "وقولوا للناس حسناً"⁽²⁾ ويقول سبحانه "ولا تستوى الحسنة ولا السيئة- إرفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم"⁽³⁾ ويقول سبحانه "وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين"⁽⁴⁾ ويقول سبحانه "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً"⁽⁵⁾ ومن توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم قوله "من كظم غيظًا.

(1) سورة الرعد 38

(1) سورة البقرة 83

(3) سورة الشورى 40

(5) رواه أبو داود

(7) رواه الترمذى

(2) سورة فصلت 34

(4) سورة المزمّل 10

(6) متفق عليه

(8) رواه مالك والبخارى

وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء"⁽¹⁾ ويقول عليه الصلاة والسلام "ليس الشديد بالصرعة- إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب"⁽²⁾ وقوله عليه الصلاة والسلام "ليس منا من لم يرحم صغيرنا. ويعرف شرف كبيرنا"⁽³⁾ إن الأنبياء من أحرص الناس على وحدة الصف- واتحاد أتباعهم- وتآلفهم- وتعاونهم- ونبه الأنبياء أتباعهم على أن يحب كل منهم الآخر. وأن يتعلموا لغة التسامح والدعوة إلى السلام الاجتماعى- والأمن الأسرى. وأن الواحد إذا غضب من أخيه فإن غضبه لا يجعله يهدر الحب الذى بينهما. ولا يعيب أحدهما على الآخر ولا يتخاصمان ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال- يلتقيان فيعرض هذا. ويعرض هذا. وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"⁽⁴⁾ إن الدين حرم العنف لأنه يؤدى إلى الغضب. وضيق الصدر- والخصام- والتقاطع والتناحر وهذه أزمات خطيرة تؤدى إلى تفسخ المجتمع وضعفه. لقد أذاع المستشرقون كذبا- أن سيدنا- محمدا صلى الله عليه وسلم- كان رجلاً عنيفاً- يحب إراقة الدماء- ولذلك دخل الناس فى الإسلام خوفاً- ورعباً- ومن قال ذلك دل على غيبائه وجهله لأنه لم يقرأ فى منهج المسلمين "القرآن الكريم" لا إكراه فى الدين" ثم إن هؤلاء الذين افتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفرية- لم يعرفوا أن إسلام المكره لا قيمة له فى أحكام الآخرة- إن الإسلام فى قلب الإنسان أو عدمه مرتبط بمشيئة الإنسان- وحرية- يقول الله سبحانه "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"⁽⁵⁾ إن دستور المسلمين يرفض رفضاً تاماً إكراه أحد على اعتناق الإسلام- حتى ولو كان ولد الإنسان. ولقد كان أحد الصحابة- من بنى سالم

بن عوف له ولدان تنصرا فى الجاهلية- وبعد نزول الوحي. وإسلام الرجل-
جاء ولداه بتجارة ومعهما نفر من المسيحيين. يبيعون ما معهم فلزمهما
أبوهما- وقال لهما- لا أترككما حتى تسلما - فأبيا- فاختصموا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم. وقال سالم- يا رسول الله- أيدخل بعضى الجنة-
وبعضى النار؟ فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا إكراه
فى الدين"⁽¹⁾ إن من أكره أى شئ على شئ. لا يلبث أن يتحلل منه عندما
تحين له فرصة- ويصبح بعد ذلك حرباً على من أكرهه على اعتناقه.

إن من يقلب صفحات التاريخ لا يجد من دون أن المسلمين أكرهوا أى
شخص للدخول فى دينهم. بل أى شخص يدخل فى الإسلام ويذوق طعم
الإيمان تجده داعياً إليه بأخلاقه العالية- بأدبه- بعلمه ومن قال بأن الإسلام
انتشر بالسيف والإرهاب فسألهم- أين السيف فى دنيا المسلمين؟ إن الله
يأمرهم بعدم الاعتداء على أى شخص- لأنه كما يقول ربنا سبحانه "أنه من
قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها
فكأنما أحيا الناس جميعاً"⁽²⁾ وقد أمرنا الله أن نضفى الأمن والسلام على
المجتمع الإنسانى كله. ولا نؤذى أحد ولا نتعامل بالعنف أبداً حتى مع من
يخالفنا فى العقيدة. يقول الله سبحانه "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"⁽³⁾ إن ثوابت الدين- هى على مر السنين-
ثوابت لا تقبل التغيير ولا التبديل. لكن المشككين يجهلون ما يكتبون. لأنهم لا
يعرفون من الدين إلا إسمه. ويحاولون خلق أزمات بين المسلمين- عندما
يختلفون هجمة شرسة على التراث الإسلامى ووسيلتهم لخلق الأزمات

(2) يراجع - لباب النزول للسيوطى ص36

(4) سورة التوبة 6

(1) سورة الكهف 29

(3) سورة المائدة

ادعائهم أنهم يدعون إلى التمسك بالقرآن لذلك فهم يشككون في السنة النبوية. ويختلفون صوراً ومواقف ليس لها أصل في التاريخ حول السيرة النبوية. ويأتون بنص مكتوب في كتاب إسلامي وي طرحون على فئة- تحمل أعلى الشهادات. لكن عندهم أمية دينية. ومع عدم صحة هذا النص. فهو يخالف صريح آية من القرآن. وهنا تجد- أن كلام المستشرقين يتفق تماماً مع أعداء الدين من الغربيين- أو الشرقيين. وهم يحاولون أن ينقضوا عرى الدين- ويعلنون أنهم مشفقون علينا.. ولكي نرد عليهم ببساطة- ودون انفعال. ولا عصبية نقول- نحن لا نلوم أهل الباطل على تحركهم- لكننا نلوم أهل الحق على تخاذلهم- فالعيب فينا نحن المسلمين- لماذا؟ لأن نبينا صلى الله عليه وسلم نبهنا أن نتعلم العلم- وأن يكون هناك تخصص. في كل جزئية من ثوابت الدين. وأن نخصص فئة من كل التخصصات تتابع ما يجرى على الساحة الإجتماعية. وهذه الفئة تقرأ وبدقة وأمانة- وكل شخص يكتب في تخصصه. ثم يصدر كتاباً فيه الرد- بالأدلة العقلية. مع مراعاة عرف البلاد- ونقاليدهم. وهذا الكتاب يصدر بعدة لغت في وقت واحد. ويتم توزيعه من خلال سفارات العالم الإسلامي. ومكاتب الإعلام- وأحياناً نقدم فيلماً سينمائياً أو سهرة تليفزيونية- أو مسرحية- وتكتب المادة وبدقة وتراعى من جميع التخصصات. وتطرح في الأسواق- ويتم الاتصال بالأقليات الإسلامية ويتم الإهداء إلى التليفزيونات الأجنبية. وهكذا علينا أن نبادر لأن علينا أن نخاطب العالم بالأسلوب الذي يفهمه. واللغة التي يفهمها. فما أرسل من رسول إلا بلغة قومه- حتى معجزته- من جنس مات نبغ فيه القوم. لتكون الحجة قوية. وأبلغ في الأدلة. لأننا ننظر إلى الهجمة الشرسة على الإسلام ونبيه والمسلمون لاهون- ومشغولون بالأزمات المتلاحقة- هنا وهناك. ويزداد

هجوم الأعداء علينا. والبعض يقول "متى نصر الله؟" إن نصر الله يتوقف على "إن تتصروا الله ينصركم؟. ومع ذلك- فإن الله سبحانه. لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" إذا فلا بد أن نخطو الخطوة الأولى على طريق- فك الأزمات. أن نرشد سلوكنا ونتمم مصالحة بين الله وبين أنفسنا. بالعمل لصالح دينه. وللمسلمين. والمجتمع الإنساني.

إن موقف بعض المسلمين- واضح- وهم خير من موقف أعداء الإسلام منا- لأن موقفهم غامض. وسلوكهم ملتو. فهم يبنون المساجد لكنها مساجد الضرار- فهم ينشرون الأفكار الهدامة. ويختلقون الأزمات ويفرقون بين مصادر الدين الثابت ليوهموا العامة- ونقصد بهم الذين لم يقرءوا كتب الإسلام الصحيحة المعتمدة لرجال- أو نساء. لهم مكانتهم لكن أعداءنا من الداخل- يشككون في سلوكهم. ويشيعون حولهم. حكايات مكذوبة. وقصصاً ملفقة- للحط من شأنهم- والكيد لهم- لينصرف الناس عنهم- ويزرعون الشك والريبة في قلوب العامة. لذلك. فهم أشد خبثاً- ونفاقاً من أساتذتهم. لأنهم يندثرون بلباس المؤمنين ليهدموا الإسلام. وليضلوا أتباع الدين- إن الذين يشككون في ثوابت الدين. ويشككون العامة ليكونوا معهم في الضلال. أخبرنا ربنا سبحانه أنه يوم القيامة عندما يدخلون النار يتلاومون. وكل واحد يلقي بالتهمة على غيره. حول هذا يقول الله سبحانه "وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً. وأسروا الندامة لما رأوا العذاب. وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون"⁽¹⁾ إن الإسلام بنى ثوابته على أوامر الله سبحانه. وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم. وجعل لعقل الإنسان العاقل

(1) سورة سبأ 33 وقرأ الآيات من 31

اعتباراً عظيماً. لأن الدين يدعو إلى التفكير - والتفكير وظيفة العقل. والتفكير السليم المؤسس على المنطق السليم. والنتائج السليمة. لكن هناك من يفكر في تدمير نفسه - ينتحر - يهرب من المسؤولية - إنسان لا يسمع لصوت العقل. ولا يستشير غيره. ويتمرد على رسالات السماء. ويعاند الرسل. وأمامنا نموذج. إنه فرعون.

لقد كان عنده عقل - وقاده غروره - وحبه للزعامة. وأعجبه تصفيق الناس له. وتزينت له الدنيا. فأله نفسه. وبدأت الأزمات تظهر في حياته. وفيه عقل - لكنه فكر به في الشر - واستعباد الآخرين لذلك زعم أنه خير من موسى.. ثم زين له عقله الغبي - أن ينادى على وزيره ويأمره أن يبنى له صرحاً ليطلع إلى السماء. ليلتقى برب موسى. ليثبت للناس صحة زعمه - ثم إن المشركين الذين عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى - كان فيهم العقل. فما المطلوب إذا؟ لا بد للعقل من بصيرة ليرتفع به فوق مستوى المدركات الحسية. حتى يصل إلى الحقيقة. والبصيرة منبعها - وغذاؤها من القلب الذى هو مستقر الإيمان لأنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل. إن الإنسان إذا لم يميز بين الخير والشر - ويعرف بعقله - ويفهم بقلبه - الحق من الباطل. أصبح فى دنيا الناس - كالحوانات - بل هى أضل. يقول الله سبحانه "ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها. ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون"⁽¹⁾ إن الأسلحة الفتاكة المدمرة للإنسانية: هذه الأسلحة التى تفك بالبشرية. هى نتاج العقل - وهل العاقل يقبل هذا؟ وهل هو راض عن المصانع الكيماوية التى دمرت البيئة الطبيعية. وقتلت الأسماك البحرية.

(2) سورة الأعراف 179

وأتلفت أشجار النبات وأفسدت الجو ولوثت الهواء. كل هذا هو نتاج عقول. لكنها فقدت الإيمان - كفرةون - تماماً - فالإيمان هو صمام الأمن. وإذا تصرف الإنسان في حياته على ضوء القرآن - وهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ثوابت الدين. عندئذ تسعد الدنيا بأسرها. لكن الشيطان موجود - وله مدارس وأتباع وأسائذة وطلاب - فإذا كانوا في غيبة رجال الحق والإيمان أضلوا من ختم الله على سمعه. وجعل على بصيرة غشاوة فإن علينا أن نتحرك وننهض لأداء الرسالة - والقضاء على الأزمات وحل الصراعات - والدخول مع بعضنا في حوار بناء هادف. وأن نعمل بدقة وأمانة.

نعم - والإنفاق

إن ما قدمناه لحتاج إلى مال لننفق منه على الوسائل التي قدمناها، وحتى يكون الإنفاق على ما قلناه شافياً وكافياً - وحتى لا نخلق أزمة نتبع الآتى:

- (1) يتم تحصيل مبالغ من ريع الأوقاف. لأن هناك أوقافاً لنشر الدعوة الإسلامية. وتبليغها إلى الناس في كافة الأرض بلغاتهم.
- (2) جزء من حصيلة زكاة المسلمين بما يعادل 10% من كل فطر إسلامي.
- (3) تبرعات أهل الخير.
- (4) حصيلة بيع المنتجات من المصنفات المنتجة - وعائد الكتب والمجلات.

إن الإسلام هو سر سعادة البشرية لكنها غافلة عنه. والمسئولية علينا فإذا كنا نبين كيف واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأزمات وحلها بأسلوب

يتمس بالهدوء وراحة البال. لنا أن نعود بقوة إلى ديننا الذى يدعو إلى الأمن والسلام والعدالة الاجتماعية والمساواة.

الفن

الدين لا يحارب الفن - لأنه وسيلة للنهوض بالمجتمع وخلق مجتمع متحضر يتمس بالمصداقية- ونحن نتكلم عن الفن الراقى المهذب الذى ينشر الفضيلة ويسهم فى الرقى ويعالج المشاكل. وأن نبتعد عن الفن الهابط الذى يعتمد على تحريك الغرائز - و إثارة الشهوات- لهذا نحن ندعوا إلى:

- 1) أن يتدين الفنان. وأن يتمسك بأداب دينه- وأخلاق مجتمعه..
 - 2) أن يتقن علماء المسلمين- وأن يستخرجوا من كتبهم وذخائر المكتبات القصص الدينى- الاجتماعى- وأن يقدموا علماء المسلمين فى أسلوب قصصى رائع يقدم- فى فيلم- أو تمثيلية- أو سهرة تليفزيونية.
 - 3) مخططون للبرامج كفاءات عالية.
 - 4) كتاب سيناريو على أعلى مستوى.
- إن نشر الإسلام يتطلب منا- أن نقدمه للعالم بالأسلوب الذى يجذبهم- وبالطريقة المحببة إلى نفوسهم. ونحن لا نحى رؤوسنا لأحد ولا نحجب الحقيقة. فتمثيلية واحدة- تنسف مئات المحاضرات وتمحو من ذاكرة الناس ما استمعوا إليه.

ما أشبه الليلة بالبارحة

لقد مَنّْ الله على الإنسانية. إذ بعث على حين فترة من الرسل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتماً لجميع الرسل والأنبياء. فلا نبى بعده ولا

رسول. وختم بقرآنه وحى السماء. فليس هناك كتاب ينزل من السماء بعد القرآن. ولقد بعث الله رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كلها. وإلى العرب- قومه أولاً وكان العرب يومها. قبائل متفرقة. كل قبيلة تفكر في نفسها. وتشن الغارة على جيرانها. وأحوالهم المعيشية مضطربة. لذلك كانوا يقومون بالغارات على القوافل. لا يعرفون شيئاً عن الحياة الاجتماعية. والمبادئ السياسية. والعلاقات الدولية. يقطعون الأرحام- يشربون الخمر. يلعبون الميسر. يترددون على صاحبات الرايات. يئدون البنات. ومع ذلك كانوا يحترمون رأيها. وكان الرجل العربى يغار على زوجته. ويحافظ على شرفه. ويفخر بأمه. كانوا أصحاب غنم وإبل وتجارة. والعربى كريم بفطرتة. جواد بطبعه. وفى لقبيلته. بار بأهله. والعربى يحب المال ويستثمر أمواله فى التجارة والربا. ولذلك قالوا كما قال القرآن عنهم "إنما البيع مثل الربا"⁽¹⁾ فرد الله عليهم بقوله "وأحل الله البيع وحرم الربا"⁽²⁾ وقد بلغ من قسوتهم أن المرابى يأخذ زوجة المديون أو ابنته. ويجبرها على البغاء. لإيفاء ما على الأب أو الزوج من الدين. وما يضاف إليه من فوائد الربا الفاحش. هذه بعض المظاهر الاجتماعية. لذلك قلت الخيرات وظلم الفقراء. وكثر قطاع الطرق. وفى كل لحظة تحدث أزمة. ولذلك لما نزلت رسالة السماء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجاء الإسلام بنظام اجتماعى إنسانى كله رحمة حيث جعل القرض الحسن بلا فائدة- والزكاة والصدقة والإحسان. إلى غير ذلك من تغيير ما كان إلى ما هو أحسن. إن المجتمع الإنسانى كان على حافة هاوية. لأن كل شئ فى غير محله فالإنسان فقد كرامته فسجد احجر أو حيوان- أو شجر والإنسان انتكس حيث فسد

(1)، (2) سورة البقرة 175

ذوقه. واضطرب عقله. لقد أصبح الذئب راعياً للإبل. والخصم الظالم قاضياً
فجاء برسالة الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فنشر الأمن
الاجتماعى. وحقق السلام الدولى. وعاش الناس فى ظله إخوة متحابين -
كيف؟

فى مجال التطبيق العملى

يتوقف حل الأزمات الإنسانية الإجتماعية- واختفاؤها- والقضاء عليها
على تحقيق العدل بين الناس جميعاً. ذلك لأن الدين أرسل الله به رسله لتحقيق
الغاية منه. طهر المجتمع واهتم بنظافة الإنسان روحاً وجسداً. والإرتقاء
بمستواه العلمى والأدبى. وتمكينه من مكان السيادة على الكون. بالعلم
والثقافة. والعمل الجيد. والإبتكار فى الإنتاج. ويتوج كل ذلك. بالتعاون
والتآلف وتبادل المنافع. وحب الخير للغير. والمساواة. والعدل. والرحمة
والتسامح إن التاريخ أكبر شاهد. على أن مجتمع المسلمين الأول ساد فيه ذلك
وأكثر لأن كل إنسان يسعد فى المجتمع الإنسانى يشعر بقيمته الذاتية عندما
تظهر على حقيقتها فى تجمع الجنس البشرى على اختلاف أجناسه. وعقائده.
ففى خضم هذا المجتمع الزاخر بالملايين من البشر. وتشابك المصالح. لم
يتخذ من اختلاف اللون أو اللغة. أو العقيدة. وسيلة للتنافر أو التناكر. لأن
الناس إخوة- فالخالق واحد. ونحن عبيده. والأب آدم. والأم حواء. والمرجع
إلى الله فى النهاية.

إن كل إنسان عليه أن يأخذ العبرة من الكون الذى يعيش فيه. فالإنسان
يرى الكون فى دقة صنعته- وإحكام تدبيره. هذا الكون يحتوى على شمس.
وقمر. ليل ونهار. كواكب وأجرام. الكل يعمل متعاوناً متنسقاً مع الآخر. فى

تناغم وود لا يعتدى هذا على ذلك. كما نرى العمال يتعاونون مع بعضهم على بناء منزل وتشبيده. هذا فى البناء. هذا فى المحارة. هذا فى الكهرباء. هذا فى أعمال المياه. كل له عمل. الكل يتعاون على التشييد ليظهر العمل فى صورة رائعة. وقد لفت القرآن نظرنا إلى ذلك فى قول الله سبحانه "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر. ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون"⁽¹⁾ إن الإسلام لا يتخذ من اختلاف أجناس الناس سبيلاً للتنافر. وإنما يتخذ منه سبيلاً للتعاون. والتعارف. ويجعل الناس جميعاً وحدة عامة تظلها حرية الفكر. وامن النفس. وعدالة التوزيع. وأمانة التعامل. والوفاء بالحق. وصدق الأداء. والحب والتعامل مع الرحمة. حتى مع الحيوان. والجماد.

وبهذه المبادئ العظيمة استطاع الإسلام - على يد نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذى نزل عليه الوحي فى مكة المكرمة - استطاع أن يجمع أتباعه من شتات أمه - فرقها قبله - الظلم الاجتماعى الذى قاد القبائل إلى أودية سحيقة من المنازعات والمشاحنات - دستورها - أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً - وهو التعصب للقريب أو ابن القبيلة ولو كان ظالماً. وشعارهم:

بغات ظالمين وما ظلمنا ولكننا سنبدأ ظالمينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطيما تخر له الجبابر ساجدينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

لقد استطاع بنى الإسلام أن يحول النفوس من نزعة قبلية - تعصب شديد - إلى تسامح - ولين - وأن تعود النفوس إلى فطرتها الإنسانية فتحولت من فرقة جاهلية - إلى وحدة إسلامية - من سفك للدماء - إلى تحريم القتل والنفور من بشاعته. ومن تفاخر بالأباء - إلى تفاخر بالأعمال وتفاضل.

(1) سورة يس 40

وأصبح الشعار - أنصر أخاك ظالماً - أو مظلوماً - فالظالم امنعه عن ظلمه - واجعله يكف يده عن الظلم حتى ولو كان أباك - أو أخاك - أو صديقك. لقد انطلق المد الإسلامى نقياً طهوراً - وأشرقت الأرض بنور ربها - وأمن الناس. وأنسوا بالحياة وتسمع الناس فى كل أنحاء العالم إلى صوت الدعوة ينساب فى ود وسماحة ينادى "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله - فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"⁽¹⁾ نأمل هذا المد الطبيعى الذى جعل من معجزات الإسلام. أن تخضع الفرس أمام صولة العرب وهم يحملون أمانة السماء - وأن تدين الروم لهم - إن العرب غرسوا فى حقل الإنسانية معانى المودة - والرحمة - والحب - والوفاء - واحترام الإنسان لشخصه. ثم إن العرب طهروا تربة البشرية. من الظلم. والمحسوبية. والرشوة. والفساد.

ولذلك وصل صوت الداعى مسالماً - هادياً - يدعو باسم الله. إلى كلمة الحب. والتسامح. فماذا كانت النتيجة؟ - مقابل أعداء الإسلام هذه السماحة واليد الطاهرة الممتدة بالخير للجميع بتعكير الصفو. وتشويه الحقيقة. حتى إن كسرى أمر عامله على اليمن - وهو "بازان" أن يرسل ببعض الشخصيات لتعمل على تصفية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جسدياً. وحمل رأسه إليه - فاختر "بازان" شخصيات لها كيانها الإجرامى وحيلها - ولها من قوة جسدها ما يؤهلها لهذه المهمة: وذهب هؤلاء إلى المدينة وبدعوا يرصدون حركات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويتعرفون على مداخله. ومخارجه. ويتعرفون على أماكن نومه. فرأوا عجباً. أخلاق عالية. مروءة.

(1) سورة آل عمران 64

سماحة. حب. لا يفرق بين أحد في المعاملة فانبهروا- فأسلموا. وبدل أن يرجعوا برأس سيد الخلق. رجعوا مسلمين يحملون قبساً من نور. أضاء. لـ "بازان" طريق الحق. فأسلم وتحول من عامل لكسرى يجرضه على سفك الدماء. ويسخره لخدمة الباطل. فأصبح جندياً في كتيبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أمره. بالحفاظ على الأرواح- وعدم سفك الدماء. وصيانة الحق. وخدمة الضعفاء. فعلى من يزعم أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم استعمل السيف. والإرهاب. والعنف لإجبار الناس على الدخول فى الإسلام نقول لهم أى سيف هذا الذى نشر الإسلام وحقق العدل. ورفع منارة الحق. إننا فى زمن- عجزت فيه القنابل الذرية عن إخضاع اليابان. وعجزت الأساطيل والبوارج. والطيران. والمدافع. والألغام عن استجابة الناس لمطالب الإرهابيين.. على المتحدث عن لغة السيف أن ينظر إلى. أندونيسيا. والهند. والصين وسواحل القارة الأفريقية. وما يليها من الصحراء الواسعة. فإن عدد المسلمين بها كثير جداً أكثر من خمسمائة مليون مسلم. كيف دخل الإسلام هذه البلاد؟ لقد دخلها عن طريق التجار. وما تحلوا به التجار من خلق. وأمانة. واحترام للجميع. ولقد رأى أهل هذه البلاد هؤلاء التجار وأخلاقهم. لم يروا مثل ذلك من قبل فدخلوا الإسلام. واحترموا هذه المبادئ خاصة أنه ألف بينهم وجمعهم على كلمة الحب والمساواة.

إن الحقيقة التى سجلها التاريخ. ووعاها الزمن- إن الأزمات اختفت من دنيا المسلمين- السبب- أن الإسلام مد ظلاله على كثير من الأوطان المتنافرة فوحد صفها- وأمن خائفها. واندمج المسلمون مع أهل هذه البلاد. فى مودة. وتسامح ومروءة. وتعاون- بلا حدود- وعاش الناس فى البلاد المفتوحة. وهم آمنون على أموالهم. ومساكنهم. ودور عبادتهم. بل وعملوا فى الدولة

الإسلامية وتولوا مناصب وزارية- وكان بعضهم أميناً على خاتم الدولة. إن الإسلام قد طبق في عصور مختلفة. والذين حملوه بلغ من سماحتهم وتقديرهم لحرية الآخرين. أن تزوج المسلم من المسيحية- أو اليهودية- وهذه الزوجة وهى فى كنف المسلم تؤدى شعائر دينها بحرية. وتذهب إلى الكنيسة- أو المعبد اليهودى- المسلم "حماته" مسيحية أو يهودية- خال أو لاده- كذلك. فهل هناك سماحة أجسن من هذا يقول "غويته" " لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية من فضيلة المسامحة لم تكن تتوقع من أناس يحملون ديناً جديداً. وما فكر العربى قط فى أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفى بالدماء ديناً منافساً⁽¹⁾. إن السلام الاجتماعى ينبع من ضمير الإنسان ويتأتى هذا من معرفته "لدينه" ويكون ذلك من معرفته لنفسه وطهر قلبه. واعتداله فى سلوكه العام. وتعففه عما فى أيدي الناس. إن الإسلام يقيم فى نفس المؤمن رقابة - منه- عليه. رقابة صادقة. إن الإسلام يتمسك به المؤمن ويلتزم عن قناعة وصدق ويقين- إن تربية الإنسان منذ طفولته المبكرة هى الضمان القوى لانتصار الفضائل والقيم الأخلاقية النبيلة. ومنهج هذه التربية- القرآن الكريم- والسنة النبوية المطهرة ومناهج أهل العلم- والفقهاء والعلماء المشهود لهم بالصلاح.

إن المناهج البشرية عجزت عن تحقيق كرامة الإنسان- والنهوض به- وتحقيق إنسانيته إننا لو رجعنا إلى أصول ديننا ومنهاج ربنا. وهدى نبينا لسعدت البشرية كلها فى ظل منهج سعدت به البشرية كلها ويسعدها اليوم إذا هى استمعت إليه بإنصات لأن شعاره حى على الصلاة. حى على الفلاح. تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.

(1) الإسلام والحضارة العربية- محمد كرد على

وجدير بالذكر أن نستمتع لصوت عاقل - منهم - وهو "بشود الراهب" إذ يقول "إن القرآن الذى أمر بالجهاد متسامح جداً نحو أتباع الأديان الأخرى وقد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب. وحرّم محمد قتل الرهبان لعكوفهم على العبادة. ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس بينما ذبح الصليبيون المسلمين. عندما فتحوا بلاد المسلمين. وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها"⁽¹⁾.. وقال أيضاً "ومن المؤسف أن لا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين - التسامح الذى هو آية الإحسان بين الأمم لاحترام عقائد الآخرين - وعدم فرض أى معتقد عليهم بالقوة"⁽²⁾.

وتقول - مستشرقة ألمانية - عاشت النصرانية فى ظل الحكم الإسلامى سنين طويلة - فى الأندلس. وصقلية - والبلقان فى أمن وسلام ورأت كيف يعيش غير المسلمين وهم يمارسون أعمالهم ولهم حقوقهم من الكرامة. والحرية - ويوم أن انتصرت النصرانية على الإسلام فى الأندلس سنة 1492م - لم يعن ذلك سوى طرد المسلمين. واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصر. واستئناف نشاط محاكم التفتيش التى قتمت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية ديناً - والحرق العلنى فى احتفالات رسمية تحفها الطقوس والشعائر الكنسية - لكل من اعتنق الإسلام أو اليهودية"⁽³⁾ ونورد هما شهادة - لها أهميتها - إنها شهادة "توماس أرنولد" فقد قال فى كتابه "الدعوة إلى الإسلام ص 98. فقد قال "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام - أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى - ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك

(1)، (2) جوستاف لوبون - كتابه - حضارة العرب هامش واحد ص 128

(3) زيجريد هونكة. كتابه "الله ليس كذلك" ص 45

السهولة التي أقصى بها "فرديناند- وايزابلا" دين الإسلام من أسبانيا. أو التي جعل بها "لويس الرابع عشر أن المذهب البروتستانتي مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا. وبذلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انجلترا مدة "ثلاثمائة وخمسون عاماً، وأما بقاء الكنائس- في بلاد المسلمين- إلى الآن- فهذا أمر يحمل في طياته الدليل القوي على ما أقدمت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح وتعايش المسلمين برفق وحب مع الآخرين. هذه حقائق لا ينكرها عاقل. وهذه شهادات من غير المسلمين لكنهم أنصفوا الحقيقة- واحترموا أنفسهم. واحترموا عقلية البشر يقول "جوستاف لوبون" لقد رأينا من آي القرآن- أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية- وأنه لم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبله- كاليهودية- والنصرانية على الخصوص- ولقد سار خلفاؤه على سنته... ويقول "روبرتسون" في كتابه "تاريخ شار لكن" إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم- وروح التسامح نحو أتباع الأنبياء. وإنهم مع امتشاقهم الحاسم نشرأ لدينهم- تركوا من لم يرغب فيه أحرارا في التمسك بتعاليم دينهم" ويقول بطريرك القدس "تيود ومسيوس" في أوائل القرآن الحادى عشر. في خطاب له- إلى الأسقف "أجناتيوس" في بيزطة- يقول فيه- إن العرب هنا هم رؤساؤنا والحكام علينا- وهم لا يحاربون النصرانية- بل على العكس من ذلك يحمونها ويزودون عنها ويوقرون قساوستنا ورهباننا ويجلون قدسنا"⁽¹⁾ إن التاريخ يشهد بما اتسم به الدين الإسلامى من سماحة. وبما أضفى على غير من هم على غير دينهم حرية تامة في ممارسة شعائرهم

(1) زيجريدهوتكة- في كتابها- الله ليس كذلك ص20

(2) الحضارة العربية/ محمد كرد على

الدينية وعلاقتهم الاجتماعية ولذلك يقول الأستاذ محمد كرد على "كان فى القدس لما استرجعها صلاح الدين سنة "583هـ" من الصليبيين مائة ألف صليبي منهم ستون ألف فارس. وراجل. علاوة على النساء والأطفال فأبقى صلاح الدين عليهم. وعاملهم برقة وعطف. ولقد غضب من ذلك بعض الشخصيات التى لها مكانة فى الدولة لأن رأيهم أن يعاملوهم كما فعل آباؤهم مع المسلمين يوم أن دخلوا القدس. فرفض صلاح الدين. وقال لا نأخذ الولد بذنوب أهله. ولا الحيوان بذنوب صاحبه بل إن صلاح الدين - عامل نساء الإفرنج بلطف واحترام ليذهب الخوف عنهن - وأجاز لملكتين عظيمتين أن يخرجوا بما معها من حلى وجواهر وأموال. وسمح لبطريك كبير أن يخرج بأموال عظيمة وذخائر - كان الصليبيون أخذوها من المسلمين. وقال رجال الدولة لصلاح الدين إن هذا البطريك سيتقوا بهذا المال على حرب المسلمين. فقال ولو. لا أغدر به"⁽¹⁾.

إن الإنسانية اليوم إذا أرادت حل مشاكلها والقضاء على أزماتها - فنجاتها فى الإسلام الذى حمى إيلنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن الإنسانية لن تجد إلا الإسلام. حيث يجمعها فى صعيد واحد على رحابة الود - وصدق الحديث. والأمانة فى التعامل. وكرم الوفاء. إن الإسلام يعصم الإنسانية من فرقة قاتلة. ومن سفاهة العمل. والتنازى والبغضاء لقد حاول كثير من أعداء الإسلام بذل المال الكثير لإغراء بعض المسلمين وشراء ذممهم. مستغلين حاجتهم. وما يعانونه من فاقة وشظف العيش لكنهم فشلوا - نعم قد يجندون لحسابهم. 1% أو ضعف ذلك لكنك تسأل كم أنفق على هؤلاء؟ لا شك أنهم أنفقوا الملايين وجندوا من رجال العلم وبعثوا بهم هنا وهناك ومع

أنهم كانوا يحملون قارورة لدواء تحت أعلام التبشير. ومعهم وسائل الإغراء وما حالفهم النجاح- والعكس رأينا الإسلام يحمله رجل وديع مسالم. فتكون أخلاقه وتعامله بأدب مع الغير واحترام الإنسان فيكون ذلك سبباً في اعتناق الآلاف للإسلام وتستجيب له النفوس مع حرارة وصدق. وقد يحمله تاجر أمين. أو سائح فيتكلم فيسأله الناس عن دينه فيعرض عليهم الإسلام. فيؤمنون ويحفظون بعض آى القرآن ويتلونه فى صلاة خاشعة. وإذا بهم بعد ذلك دعاة إلى الله بحب.

يقول- "سيرتوماس أرنولد" لقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر. بفضل ما قام به فقيه مسلم- سيق أسيرا. وكان ذلك فى مستهل القرن الحادى عشر. وقد أسرته الدولة البيزنطية. وكان كل من رآه يصلى يحدثه عن الدين فاعتنق الإسلام المئات منهم وأصبحوا دعاة للإسلام. ثم يقول. قضت الحكومة البريطانية بنفى أحد مسلمى الهند إلى جزائر "أندمان" نفيًا مؤبدا عام 1864م وهناك أسلم على يديه كثير

من المحكوم عليهم⁽¹⁾. ويتحدث "سعيد بن الحسن" وقد كان يهوديا يقيم فى الإسكندرية. وأسلم عام 1238هـ. وسبب إسلامه. أنه كان مريضاً فرأى فى المنام من يأمره بدخول المسجد. وصادف أن كان يوم جمعة فأنبهر بما رأى وأعجب بما سمع من خطبة الجمعة وأسلم. وأصبح داعياً إلى الإسلام.

وسرقوا ذاكرة الأمة

أعداء الإسلام لم يتوقفوا عند حد معين. من التشنيع على الإسلام وإلصاق التهم به. والافتراء على أتباعه والكذب بأسمهم. وهكذا وإنما خططوا

(1) الدعوة الإسلامية للسير توماس ترجمة الدكتور حسن ابراهيم. وعبد المجيد عامر

وبدقة. لسرقة "ذاكرة الأمة الإسلامية" والشواهد كثيرة. إننا نؤمن بأن سلام الإنسانية. فى إسلامها. ونقول هذا وبصدق. ولسنا متحيزين نؤثر فئة على فئة لنجعل من المسلمين سادة الخلق. بغير حق. ولكننا نكرم الإنسانية كلها بالحق الذى ارتضاه الله - متمنين أن تتآخى الإنسانية على رعاية الحق. وإحقاق العدل ونشر المساواة ذاكرين قول الله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى. ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"⁽¹⁾ إننا نأمل أن يرتفع غشاء التعصب الأعمى من على عيون الناس جميعاً هذا الغشاء الذى يحول دون المعرفة الواعية. والسلوك الراشد. والعلاقة الإجتماعية المهذبة التى تسود دنيا الناس. حتى لا نرا أحد الناس يعمل على لنشر الفوضى بين البشرية لكى تعيش على منطق المادة البليدة. ويتفرج هذا الشخص على مصير الإنسانية عند حلول الكوارث عليها وانهارها إلى أتعس مصير...

إننا لا نقف عند ليل الإنسانية. ومصيرها الراهن. ووضعها الحالى. وهى تعاني أشد المعاناة. من تمزق وحدتها. وطمس هويتها. وإهدار حضارتها. وهدم مبانيها. وإصابة شبابها بعاهات. وتشريد الملايين من الأطفال. وترميل الملايين من النساء. وتشرد الملايين فى الصحراء. بلا مأوى ولا غذاء - ولا خيام. ولا مقر يأويهم إننا لن نذهب إلى واد سحيق. انحدر إليه الإنسان. وهو فيه أحط قدرا من الأنعام "إلا من رحم ربك" ويتساءل أصحاب العقول - أهذا هو الإنسان خليفة الله على الأرض؟ ينام على قصف المدافع للمنازل فوق رأسه - ويستيقظ على أزيز الطائرات وهى ترمى بالقنابل العنقودية. فتدمر الشباب - والأطفال. والشيوخ والنساء - لماذا؟ أى

(2) سورة المائدة 2

ذنب جنينا؟ وأى عمل أتينا به؟ وأى جرم ارتكبنا- ولا يسمع من يسأل إلا صدى صوته.

إن قضية الإنسان أوسع مدى- وأبعد أثرا من أن نتصور ما يحيط بالإنسان فبالأمس- فقد المسلمون- بلاد أسبانيا- الفردوس المفقود- وبعدها "كشمير" حتى قال القائل فيها:

يا بوم كشمير تحية مسلم مطلولة عبرى تفرق بالدم
يا أخت أندلس وتراب مراکش لا يسلم الإسلام حتى تسلم

ثم فلسطين. وكفاها الله شر أصدقائها- أما أعداؤها فمعروفون. ثم العراق ثم السودان. ثم سوريا. ثم اليمن- ثم- ثم- ثم. السبب وراء ذلك حقد دفين- وعداء قديم- وشعور بالنقص- والعجب أن اليد الملوثة بالدماء. تحاول مسخ إنسان الشرق. لماذا؟ لأنه مؤمن برسالة الحق- مؤمن بإله واحد. ومؤمن بأن السلام معناه عدم الحرب. ومع ذلك- فإن معناه- قيام الحق- ونشر العدل. وتدعيم روابط الأخوة الإنسانية- وليس من العدل - التفرقة بين جنس وجنس. أولون ولون ليس من العدل أبداً أن تسرق جهود أمة. ويستولى على كل ما لديها- ويبتلع القوى الضعيف. وتصادر حريره. إن الإنسانية مكلومة تعاني من الخوف والفرع ما ينخص عليها معيشتها. ثم يزعم هؤلاء- الذين لوثوا أيديهم بدماء البشرية- إنهم يعيشون في حضارة- أي حضارة- إن الحضارة التي لا تعنى بالقيم الإخلاقية العالية ولا تقيم للعدل ميزاناً. ولا تزن بالقسطاس المستقيم. فهي تستخف بالإنسانية حتى من يعاونونها إن البعض يتساعل- أليس هذا التقدم في الصناعات. والتكنولوجيا هي من أجل

الإنسان؟ نعم إذا كانت له. وليست لتدميره. نعم - هي له - إذا حكمتها أخلاق نبيلة وأحاطت بها القيم وسُخرت لصالح الإنسان. ولم يُسخر الإنسان لها.

ولا لوم - على الحضارة - ولا على المدنية - ولا على التقدم - في حد ذاتها - ولا من حيث هي. وإنما اللوم - على الإنسان الذي حول نعم الله إلى نقم - وانقلب في محراب الكون - الذي يوحى بالفضيلة والأدب مع الناس. وحب الخير لهم - وطهارة اليد عن سفك الدماء انقلب هذا الكائن إلى شيطان متمرد على كل الأعراف البيئية - والتقاليد الاجتماعية يتلذذ بألم الناس. ويتلهى بأوجاعهم. أهذه حضارة؟ إننا نحافظ على الحضارة المادية ونطلب صيانتها ونأمل أن تتمدد في الكون كله بشرط. أن تكون في خدمة الإنسان. إننا نرحب بها وندعو لها. ونكرم رجالاتها بقدر ما يبذلون في خدمة الإنسانية. وراحة البشرية - وهدوء الحال - والإنصراف إلى العلم ومدرجاته - ونكفكف دموع الأمهات ونرفق بالضعفاء. ونمسح على يد كل مريض بحب وحنان: إن الأمن ما ضاع إلا يوم أن ذهبت أسبابه. من تعارف الإنسانية وتقاربيها. ولكن للأسف اختفت الرحمة. وضاعت معالمها. وما فقد السلام إلا يوم أن تحطمت دعائمه من العدل والحق والإيثار وغاب الحب من بين الناس. وفي خضم ذلك سرقوا ذاكرة الأمة التي حطموها مع ما - حطموا من حضارتنا. ونحن حافظنا على حضارتهم - لأننا نوّمن - أن العلم هو ميراث الإنسانية. وأن الوعي الإنساني - والتاريخ يجب أن يعلمه الجميع بلا تكلف - لقد حرقوا المجتمع العلمي. ورموا بالمكتبات في الطرقات والشوارع. وذهب تعب الملايين من البشر الذين دونوا وسجلوا وكتبوا وشرحوا لقد حرقوا ومزقوا وبعثروا جهد السابقين حتى ذهب جهد العلماء وتعبهم أدرج الرياح في لحظات بنار أتت على الأخضر واليابس ورمى ببعضها في البحار

والأنهار لقد حاول أعداء الإسلام- أن يخلقوا أزمات. ويضعوها في طريق المسلمين. لكن المسلمين. يحكم تعاليم دينهم. وهدى نبيهم فوتوا عليهم الفرصة لأن المسلمين يتعايشون مع الغير بحب ومحبة. وتسامح. ونذكر هنا أنه من الأسباب التي جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. ويتحول كثير من أصحاب الديانات إلى الإسلام ويحسنون استقباله. ما عرفوه من الممارسة الميدانية. والعلاقات الاجتماعية- من حلم وصبر وتسامح. والظن الحسن. والتآلف- إلى آخر القيم النبيلة. لذلك عند فتح بلاد الشام كتب الأهالي من المسيحيين إلى المسلمين. يقولون..

يا معشر المسلمين أنت أحب إلينا من الروم. وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرحم بنا. فأنتم لا تظلمون. وأنتم أحسن ولاية علينا. ولكنهم غلبونا على أمرنا. واستولوا على منازلنا وأهل حمص الذين أغلقوا أبواب مدينتهم دون جيش هرقل. وكتبوا إلى المسلمين. إن ولايتكم وعدلكم أحب إلينا من ظلم الإغريق لنا وتعنتهم وتعسفهم معنا- ونقرأ لابن حزم- وهو عالم مشهود له بالكفاءة العلمية. وقد اعترفت المجامع الفقهية بآرائه ويقول ابن حزم - كما جاء في كتابه المحلى- في باب الجهاد " إن حماية أهل الذمة - من غير المسلمين - إذا تعرضوا لحرب. وقصدهم الأعداء. فعلينا أن نموت في الدفاع عنهم. وأى تفريط في ذلك يكون إهمالا لحقوق أهل الذمة، وأعجب من ذلك أن التتار هزموا المسلمين. وأسروا من أهل الذمة مع المسلمين كثيراً. ووافق التتار أن يسلموا أسرى المسلمين إلى العالم الفقيه ابن تيمية. فلما ذهب ابن تيمية. وقد ردوا مكانته. فكوا أسرى المسلمين. فرفض ابن تيمية أن يتسلم أسرى المسلمين. ولما سأله لماذا؟ قال لا بد أن يكون أسرى غير المسلمين من أهل الذمة. مع المسلمين. وقال لقائد التتار. لا بد من افتكاك جميع الأسرى

من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا. ولا نترك أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة، لقد كان الغرض تمزيق صف الأمة وشق وحدتها. ولكن بالعلم والفقہ. واللباقة يتم القضاء على الأزمات. وإغلاق الأبواب في وجه من يحاول طرح الأزمة على ظهر الأرض لتعوق مسيرة السلام ثم نشر الأمن والأمان. ولكن خاب ظنهم لأن المؤمن المسلم "يحب للناس جميعاً ما يحب لنفسه.. لأنه ينظر بنور الله..

الإعلام ودوره في حل الأزمات في السنة النبوية الشريفة

يقوم الإعلام بدور هام جداً في تحويل إتجاهات الرأى العام والتأثير على الأشخاص وتفكيرهم، بل وفي استطاعته أن يلعب بأحاسيس الجماهير ويحرك مشاعرهم..

لهذا كان دور الإعلام عظيماً على مدار التاريخ في الماضى والحاضر ولعلنا نذكر أن أول من اتصفوا بالإعلام أنبياء الله ورسله، لأنه قاموا بإبلاغ الناس عن ربهم بما يجب على الإنسان نحو خالقه وما علاقة المخلوق بخالقه، والذي يقرأ القرآن الكريم يجد أن الحق تبارك وتعالى بيّن فيه أن هذا القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم بإبلاغه إلى الناس وأن القرآن عندما نزل من علياء السماء نزل لمهمة خطيرة هي "لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم" وقوله سبحانه لسان رسوله العظيم "وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذرکم به ومن بلغ" وقوله سبحانه "لتنذر أم القرى ومن حولها".

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغاً عن ربه وليس من حقه أن يفرض سلطانه على من يدعوهم، لأن الدعوة تقوم على: الرفق واللين- والحكمة- والموعظة الحسنة- عدم العنف مع المدعو.. ولهذا قال الله لحبيبه ومصطفاه: "وقل الحق من ربكم فمن ساء فليؤمّن ومن شاء فليكفر" وقوله سبحانه "إن عليك إلاّ البلاغ" وقوله سبحانه "لست عليهم بمسيطر" لكل هذه الأدلة وغيرها كثير جداً، يتبين لنا أن الدعاة إلى الله رجال إعلام من الطراز

الفريد النبيل الذين يتسمون بالصدق، وعدم التهويل، وعدم التهوين، والفتانة، واللباقة، وهكذا..

فأى رجل إعلامى يحترم مهنته ويحترم عقلية القارئ أو السامع أو المشاهد ويحترم نفسه، لابد أن يكون صادقاً فى نقل الخبر، وأن يكون أميناً فى معلوماته، ويحاول دائماً ألا ينشر العيب، ولا الإساءة، وإنما يبذل كل جهده لعرض المشكلة بدقة وفتانة.. وأسلوب حل هذه المشكلة..

فلو أخذنا مثلاً: رجلٌ نزل قرية، فاستطعم أهلها.. فأبوا أن يطعموه، فسرق منهم أى شئ ثمين، هنا يأتى دور رجل الإعلام، ويقدم لهذه القصة.. بأن التكافل الأجنبى هو الوجه الحسن فى المجتمع الإسلامى وهو الذى يمنع المشاكل ويقضى على العداوات ويكون سبباً فى تدعيم الأمن الاجتماعى، لأنه من المعلوم أن الفقر ما ذهب إلا بلد إلا وقال الكفر خذنى معك.. والبطون الجائعة لا تعرف إلا لغة الخبز...

لذلك يُقدم رجل الإعلام تنبيهات هامة إلى الناس، منها أن نشر التكافل الاجتماعى فى المجتمع يؤدى إلى أمن المجتمع واستقراره..

إذن، إن الإعلام فى صورته الحقيقية ما هو إلا تنوير للعقول وتثقيف للأفكار وتنمية للقوة العقلية عند أى إنسان بشرط أن يكون الإعلام هادفاً إلى توضيح الرؤية فى المشكلة- أو- الجريمة- أو- القصة وكيف نعالج ذلك. ويراعى الدقة- والحالة النفسية. وكيف تكون الوقاية من مثل هذه المشكلة. ونتقف العقول ليكون النهوض بالبيئة..

إن نظرة واحدة إلى المجتمع الإسلامى، يرى مئات الآلاف من الجرائد والمجلات ووسائل الإعلام المقروءة والمحطات التليفزيونية والإذاعة المسموعة والمرئية، وكلهم يتكلمون مع بعضهم، بينما أعداؤهم يتجهمون على

الدين الإسلامي ويشوهون حقائقه ويسبئون إلى نبيه فكان المفروض تحت ظل رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي (الجامعة العربية أن يكون هناك تخطيط جيد، لتقسيم هذه الجرائد والمجلات والإذاعات والمحطات التليفزيونية المسموعة والمرئية، إلى عدد يخاطب العالم الأوروبي، وكذلك أعداد لمخاطبة أمريكا الشمالية والجنوبية، وأعداد تخاطب الأفارقة، وأن يكون هناك شرح لمبادئ الإسلام وتعريف العالم كله بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكيف استطاع بما أوتي من حكمة أن يحول الأميين إلى عباقرة يقودون المجتمعات بالحكمة المبتكرة.

إننا إذا نظرنا إلى أرض الواقع اليوم، نرى أن العقول المهاجرة من المنطقة العربية هي التي بنت هذه الدول وأسهمت في تقدمها، ووضعت لبنات الفكر المنظم في هذه المناطق، وعندما يعودون إلى بلادهم لا ينتجون، لماذا؟! لأن وسائل الإعلام تتجاهلهم، وتأتي بعقليات تافهة ليس لديها من العلم شيء، وينشرون أفكارهم على الملأ، بينما هؤلاء العمالقة جلوس في بيوتهم، إن قالوا لا يسمع لكلامهم إلا القليل..

لذلك توالى الأزمات على الشرق العربي والإسلامي، وأصبحت الأزمات تتوالى بين عشية وضحاها، وكلما خرجنا من أزمة وقعنا في أزمة أصعب منها، كيف ذلك؟! لأن التعاون مفقود بين وسائل الإعلام، فهذه الجريدة تضخم الجريمة ولا تنتشر الحل، وأخرى تهون، وثالثة صامتة ليس لها رأى، وكأنها تعيش بمعزل عن الحياة الاجتماعية، وعندما تتم مناقشة لحل أزمة مثلاً، تجد أن خمسة من البشر يتحدثون في وقت واحد، فالمشاهد لا يسمع الرأى الصواب، والقارئ للجريدة أو المجلة تختلط عليه الأفكار..

والسبب: أننا فقدنا أسلوب أدب الحوار، وهذا من المشاكل التي يعاني منها المجتمع العربي والإسلامي.

إننا ونحن نتكلم عن أسلوب النبي عليه الصلاة والسلام عن حل الأزمات علينا أن نعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يتسم بالسماحة.. وقبل الآخر، والحوار مع أى شخص، مع مراعاة أسلوب أدب الحوار بكل دقة وبُعد عن التوافه والتشنج، وعدم التشويش على آراء الآخرين، وإذا كنا قد أتينا بنماذج معينة من أسلوبه العملى صلى الله عليه وسلم فى حل الأزمات، فهناك الكثير والكثير من حياته، كغزوة أحد، وغزوة الخندق، وفتح مكة، ويوم حنين، إلى غير ذلك من المواقع الكبرى فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وتركنا ذلك لفظنة القارئ الذى يدرك تماماً أن النبي عليه الصلاة والسلام هو أكبر زعيم عرفته الإنسانية فى حل المشاكل وهو أعظم العظماء فى تربية أصحابه. وتدريبهم على الأعمال كما قرر ذلك كثير من منصفى كتاب التاريخ.

ونحن كما يقول القائل:

قضيتنا عادلة وحلها سهل وبسيط، لكن المدافع عنها خائب وقليل الحيلة والتفكير، وضعيف العقل. والسبب: أنه لم يقرأ تاريخ أمته العظيمة، وعاش على هامش الحياة، ولم يعرف المجد الذى صنعه الآباء والأجداد، وتركوه ميراثاً للأبناء والأطفال، فضيعناه واستبدلنا به نماذج من أفلام السينما الهابطة والمسلسلات المنحرفة والخبر المزيف، والتخاريف العملية والإعلامية التى لم تستند إلى أصل علمى، وتناول على الدين من أبنائه الذين لم يدرسوا ولم يتفقهوا ولم يجلسوا إلى معلم، وإنما قرءوا فى بعض الصحف أو الكتب المشبوهة وعاشوا على أفكار صدرها إلينا أعداء الدين وأعداء الإنسانية، وابتكروا لنا أساليب لا تليق بأى إنسان عنده كرامة.

لذلك ترى فى الشرق يقتل الأخ أخاه، بل الوالد ولده، والأم تذبح أبناءها، وكل ذلك ناتج عن أمية دينية وجهالة بقضية الحياة، وعدم تذوق الجمال الذى بثه الله أمام أعيننا فى الجو.

ومع ذلك فقدان الأمل ونضوب معين الحياة..

يا حسرة على العباد، ماذا أصابهم حتى وصلت حياتهم إلى ما وصلت إليه.. السبب وسائل الإعلام التى كانت وراء هذا الإنهيار الأخلاقى والعلمى، وفى نفس الوقت التكاسل عن أداء العمل والعيش من فتات الآخرين.

إن المسلم هو دائرة الخير فى المجتمع، إذا عرف دوره بدقة، وأدى ما عليه بأمانة، وارتبط بمجتمعه وأحبَّ أهله ووطنه، ودافع بكل قوة عن الأخلاق لتبقى عالية حية أصيلة فى نفوس أبناء الوطن.

والمسلمون اليوم ابتعدوا عن القرآن، ولو أنصفوا لعلموا أنه مصدر قوتهم وسبب سعادتهم، لكنهم تركوه، فحق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم "ستكون فتن كقطع الليل المظلم؟! قالوا وما المخرج منها يا رسول الله" قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الصراط المستقيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدىّ إلى صراط مستقيم" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد

فإننا نتوجه إلى قادة العربية. والإسلامية. والعلماء والمفكرين. والمتقفين. وكل الناس. تعالوا بنا نتفق على أنه لا بد أن نتعاون على:
1) العمل بكل جهد. وبذل الطاقات على- ترشيد العقل الإسلامى. وإيقاظه. وتنقيفه. وتهذيبه.

2) العمل بجد على محو الأمية الدينية. مع صحوه مرشدة. وبقظة إيمانية على التعرف على حقائق الدين ومبادئه- لأنه دين وسط. واعتدال وأنه لا يقر العنف. ولا يقبل الإرهاب. ويجرم القتل وقطع الطرق. وتدمير المنشآت. وغير ذلك من كل عمل فيه إفساد فى الأرض أو ضرر بالعباد- لأنه لا ضرر ولا ضرار. والدين المعاملة ولكى يتحقق ذلك فعلى- كل أسرة أن تهتم بأولادها. وعلى المؤسسات التعليمية أن تهتم بالمناهج وإعداد المدارس. وتهيئة المكان المناسب لتلقى العلم.

3) بذل الجهد. والتخطيط بدقة لمحو الأمية الأبجدية. لأنه من الشئ المخزى أن نكون من أمة الإسلام- أمة إقرأ. ولا نعرف القراءة ولا الكتابة وأن نخطط بدقة لإدارة المشاكل والأزمات والتحكم فيها طبعاً لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

4) التوجيه إلى كتابة السيرة النبوية بأسلوب معاصر مع التحليل لكل موقف وربطه بالأحداث المعاصرة- وشرح بعض الكلمات العربية التى يصعب حلها. والتعرف عليها.

5) توجيه منظمة العالم الإسلامي على القيام بعمل نموذج لأطلس عن البلاد الإسلامية وشبكة المواصلات. والإتصال بينها- وبيان المناخ- والتعرض للمنتجات. وأهم الأحداث فى هذه البلاد. ويتم ذلك العمل مع جامعة الدول العربية مع إنشاء شبكة تليفزيونية. تقدم نماذج عن الدول الإسلامية والعربية. وتقدم المادة بلغات متعددة.

6) ولكى نتجح فلا بد لنا من عمل ثورة على الأخلاق الفاسدة وبيان الأخلاق النبيلة. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ويقول الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإنهموا ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

إننا لن نقف عند ليل مظلم. ولكننا نتطلع إلى فجر مشرق ونهار مشرق. وعندنا أمل عظيم فى الله سبحانه أن يوقفنا للعمل الجاد المثمر البناء. وأن يكون سندنا لنا وموفقاً. وأن يجمع شمل الأمة الإسلامية. وأن يوحد صفها ويجمع كلمة المسلمين على كل خير يكون من ورائه نهضة الأمة- وتجنيبها الأزمات وأن يرفع قدرها. ويعلى شأنها.

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد نبي الرحمة. ورسول الرشاد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبالله التوفيق

منصور الرفاعى محمد عبيد

أهم مراجع الدراسة

- القرآن الكريم
- كتب الحديث :صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند الإمام أحمد ،مستدرک الحاكم ، سنن ابن ماجه، سنن الترمذي، ابن اسحاق، السنن الكبرى للبيهقي، أوسط الطبراني، الحافظ بن عساكر، حلية ابن نعيم، البزار ، مراسيل أبو داود ،النسائي ، ابن حيان ، الألباني في الصحيح ، فتح الباري لابن حجر ، رياض الصالحين للنووي،
- السيرة النبوية لابن هشام ج1،ج2،ج3
- الترغيب والترهيب للأصبهاني،ج3
- الروض الأنف للسهيلى ج1،ج4
- محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد الصادق عرجون ج1في 27 من رمضان سنة 1391 سلسلة البحوث الإسلامية
- مجمع البحوث الاسلاميه
- متاع الاسماء المقريزي ج1
- فقه السيرة النبوية / د/ محمد سعيد البوطي
- العقد الفريد لابن عبد ربة ج3
- أسد الغابة للعلامة عز الدين أبي الحسن
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج2
- كتاب احياء علوم الدين ج2
- الطبقات الكبرى لابن سعد ،ج1،ج2
- تفسير ابن كثير ج2
- السيرة الحلبية

- زاد الميعاد ج 1
- غالية المواعظ للألوسي ج 1
- كثر العمال ج 6
- صلاح الدين خليل. طبع المعهد الالمانى
- ابن القيم- هدايا الحيارى
- دكتور / فاروق حمادة - العلاقات الإسلامية النصرانية
- لسان العرب
- أسباب التروى للسيوطى
- الاسلام والحضارة العربية- محمد كرد على
- جوستاف لوبون -كتابة حضارة العرب
- زيجريد هونكة ، " الله ليس كذلك "
- الحضارة العربية ،محمد كرد على
- الدعوة الإسلامية للسير توماس ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وعبد المجيد عامر

السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ / منصور الرفاعي محمد عبيد

- ولد في محلة زياد/ مركز سمنود/ محافظة الغربية عام 1932.
- درس بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر.
- عمل بوزارة الأوقاف وشغل العديد من المناصب وآخرها مدير عام المساجد ووكيل وزارة الأوقاف للمساجد وشئون القرآن.
- له إسهامات متعددة في النشاط الاجتماعي من خلال الجمعيات الخيرية خاصة في جمعية منع المسكرات ومكافحة المخدرات وجمعية الوقاية من الجريمة. رئيس مؤسسة أولاد عبيد الاجتماعية.
- متحدث بالإذاعة والتلفزيون وله مقالات بالمجلات والجرائد علاوة على التعليقات على الأحداث الوقتية والفتاوى.
- مشارك في كثير من المؤتمرات العلمية في داخل البلاد وخارجها.
- قدم الكثير من المواد العلمية التي قدمت في عمل بالإذاعة والتلفزيون.
- قام بإعداد المادة العلمية لمسابقات الشباب ورافقهم في رحلات العمرة والمصايف والرحلات الخلوية من خلال وزارة الشباب ومشارك في قوافل التوعية بالمحافظات لفترة تزيد عن عشرين سنة.
- عضو لجنة التربية والإعداد القومي بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة من عام 1980.
- عضو لجنة تنمية المجتمع شعبة الشباب والرياضة بمجلس أمناء إتحاد الإذاعة والتلفزيون من عام 1982.

- مشارك في كثير من الأعمال الشعبية ولجان المصالحات وكفالة الأيتام ورعاية طلاب العلم.
- سافر إلى كثير من دول العالم لحضور المؤتمرات العلمية والمشاركة بالأبحاث في الداخل والخارج.
- عضو لجنة القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس.
- عضو بالمجالس القومية المتخصصة شعبتي الرعاية الاجتماعية والشباب والرياضة.
- عضو اتحاد الكتاب.
- عضو مجلس الشعب في دورات سابقة.
- عضو لجنة القيم الأخلاقية بأكاديمية طبية المتكاملة.
- ورد إسمه في الموسوعة القومية للشخصيات البارزة والتي صدرت عن هيئة الاستعلامات عام 1989، 1992.
- على مدار أكثر من سنتين أعد خطبة الجمعة كمادة علمية لمجلة رسالة الأزهر ومجلة الإسلام خمس سنوات.
- حاصل على الكثير من الدروع والميداليات وشهادات التقدير من هيئات وجامعات ووزارات والميدالية الذهبية في الدعوة الإسلامية من مؤسسة آل العزائم وميدالية فضية من وزارة القوى العاملة، وميدالية من جامعة الدول العربية لنشاطه الاجتماعي في الوقاية من الجريمة وعلاج مدمني المخدرات.
- حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- له أكثر من ثمانين مؤلفاً.

قائمة بمؤلفات الشيخ/

منصور الرفاعي محمد عبيد

- (1) بشائر بين يدي الرسالة المحمدية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- 1976م.
- (2) الإسلام وصحة الإنسان، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- 1981م.
- (3) الإسلام ورعايته للطفولة، القاهرة، دار الشعب - 1981م.
- (4) القصص الهدف، القاهرة، دار الفكر العربي - 1978م.
- (5) القصة في القرآن الكريم أهدافها ووسائلها، القاهرة، دار الفكر العربي - 1980م.
- (6) طريق الوصول والأرجى للقبول، القاهرة، دار الشعب 1975م.
- (7) تربية الأبناء في ضوء السنة النبوية الشريفة، القاهرة، هيئة الكتاب - 1983م ط1 دار الجيل، ط2.
- (8) الإسلام وموقفه من التطرف والعنف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1985 - 2006 - ط2 - مكتبة الأسرة.
- (9) المنبر وأثره في اتجاهات الرأي العام- 1985 دار الجيل بيروت - ط1- الدار الثقافية ط2 - 2001م.
- (10) دعاء العارفين، 1986م - دار الجيل بيروت.
- (11) خير يوم، مكتبة الطاهرة - المحلة الكبرى - 1987م.
- (12) العمل، المحلة الكبرى - مكتبة الطاهرة - 1984م.
- (13) يا بني اعرف دينك 3 أجزاء، 1981م، دار الفكر العربي - القاهرة.

- 14) العبادات - القاهرة - دار الفكر العربي - 1980م.
- 15) الزكاة وأثرها في التكافل الاجتماعي، القاهرة - دار الفكر العربي - 1980م.
- 16) يا بني أقم الصلاة، القاهرة - دار الفكر العربي - 1980م.
- 17) المرأة ماضيها وحاضرها، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - 1987م.
- 18) المرأة في ظل الإسلام، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - 1978م.
- 19) أمهات المؤمنين ونساء أخريات، 3 طبعات، دار الشعب 1980م - دار الفكر العربي 1982 - الدار المصرية اللبنانية - 1989م.
- 20) العنوسة وأثرها الاجتماعي، القاهرة - دار الفكر العربي - 1998م.
- 21) القرآن وكيف نتلوه - القاهرة - الشراكة العربية للنشر والتوزيع - 2000م.
- 22) التكافل الاجتماعي في الإسلام - القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - 1988م.
- 23) الدعاة والتنمية الاجتماعية - القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - 1989م.
- 24) نظام الحكم في الإسلام - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - 2001م.
- 25) الشباب ودوره الاجتماعي - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - 2001م (3 أجزاء).
- 26) الإنسان وعلاقته بالملائكة والجان - القاهرة - مركز الكتاب للنشر - 2003م.
- 27) الحوار آدابه وأهدافه - القاهرة - مركز الكتاب للنشر - 2003م.
- 28) مدرسة الصوم - القاهرة - مركز الكتاب للنشر - 2004م.

- 29) خالد بن الوليد رائد الشباب - القاهرة - مركز الكتاب للنشر - 2004م.
- 30) القرآن واليهود - القاهرة - مركز الكتاب للنشر - 2005م.
- 31) العمل الاجتماعي تطوع وعطاء - القاهرة - مركز الكتاب للنشر - 2006م.
- 32) الشباب والحوار - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات - 2006م.
- 33) التطوع والعطاء - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات - 2006م.
- 34) الإسراء والمعراج في ضوء العلم الحديث - القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - 1976م.
- 35) أنوار وأزهار - القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - 1976م.
- 36) الزكاة والصيام - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - 2001م.
- 37) الحج وكيف نُؤديه - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - 2001م.
- 38) سلسلة بستان الخيرات - 5 كتب - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - 2001م.
- 39) قصص الأنبياء - 20 كتاب - القاهرة - دار الفكر العربي - 1992م.
- 40) سلسلة الأسرة السعيدة - القاهرة - الدار الثقافية للنشر - 1998م (3 كتب).
- 41) سلسلة السيرة العطرة - القاهرة - الدار المصرية اللبنانية - 2007م (16 كتاب).
- 42) القرية السعيدة - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات - 2006م.
- 43) سؤال وجواب - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات (أصول قضايا الشباب 3 كتب - 2006).

- 44) الحوار تواصل و عطاء - القاهرة - الهيئة العامة للاستعلامات - 2006م.
- 45) المرأة ودورها فى الهجرة - القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - 1980م.
- 46) عمل فيلم عن الصلاة (كتابة سيناريو عن الطهارة والصلاة) لحساب باكستان - دار الهلال 1978م.
- 47) مسلسل عن الزكاة لدولة البحرين عام 1982م ووافق عليه الأزهر الشريف.
- 48) قصص الصحابة فى إذاعة القاهرة حيث تم إخراجها فى 30 حلقة فى شهر رمضان 2002م.
- 49) كتاب السيدة زينب ودورها الاجتماعى - القاهرة - دار الهلال - 1976م.
- 50) الإسلام دعوة عالمية - دار الكتاب الصوفى - 1991م.
- 51) حقوق الأبناء على الآباء - دار الجبل بيروت - 1993م.
- 52) الإسلام وقضايا الشباب - الدار المصرية اللبنانية - 2001م.
- 53) غزوة الأحزاب - تحليل لمواقف - الدار الثقافية للنشر - 2000م.
- 54) المسجد ومكانته الاجتماعية - الدار المصرية اللبنانية - 1987م.
- 55) أزاهير المجالس الأدبية، القاهرة، مركز الكتاب للنشر 2010.
- 56) "حقوق الإنسان - العامة فى الإسلام، مركز الإسكندرية للكتاب، 2008م.
- 57) حقوق الإنسان العامة فى الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2010م.
- 58) أخلاقيات الشباب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.

- 59) السيرة النبوية للأطفال والناشئة، القاهرة، مكتبة الدار العربية، 2012م.
- 60) التكفير والعنف والإرهاب، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013م.
- 61) تبسمك في وجه أخيك صدقة، القاهرة، دار العالم العربي، 2012م.
- 62) نسائم الإحسان من سيرة خير الأنام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2013م.
- 63) للشباب أقول، مركز الكتاب الحديث، القاهرة 2015.
- 64) عذاب القبر ونعيمه، القاهرة، مركز الكتاب الحديث، 2015.
- 65) المرأة العربية وتفاعلها الاجتماعي، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.
- 66) اليهود في القرآن،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.
- 67) دعاء العارفين،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.
- 68) تربية الناشئة في ضوء السنة النبوية،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.
- 69) العمل في المنظور الإسلامي،، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2016م.

كما ساهم فضيلة الشيخ في مئات الحلقات من البرامج الإذاعية والتلفزيونية أهمها الآتى:

- أمهات المؤمنين - إذاعة الشعب قبل إلغائها 1969 - 1970م.
- برنامج خير يوم إذاعة القرآن الكريم لمدة 4 سنوات.

- برنامج رجال ونساء خلداهم القرآن - بالتلفزيون - القناة الأولى - أكثر من ثلاثين حلقة.
- برنامج الحج وكيف تؤديه أكثر من 20 حلقة - القناة الثانية 1983م.
- مشارك في برنامج حديث الروح - بالقناة الأولى - توقف الآن.
- مُعد ومُقدم - الحديث الدينى الاجتماعى للكبار بإذاعة الكبار من يوم إنشائها حتى الآن يومياً.
- خطبة الجمعة مئات المرات ومشارك مع بيوت الثقافة، والثقافة الجماهيرية بالندوات والمحاضرات.
- برنامج آيات بينات بالقناة السادسة.
- برنامج فى نور القرآن بالقناة الثانية.
- برنامج تفسير آيات القرآن وآيات التلاوة بالقناة الرابعة.
- إعداد المادة العلمية عن النساء المؤمنات ودورهن الاجتماعى ويذاع بالقناة الثانية الأحد من كل أسبوع، وفى رمضان كل يوم.
- أحلى صباح بالقناة الثالثة بالتلفزيون المصرى.
- وغير ذلك من البرامج المتنوعة وكذلك المقالات فى الصحف والجرائد والتعليق على الأحداث فى الإذاعة والتلفزيون.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
5	مقدمة
7	بين يدي الكتاب
13	إدارة الأزمات في المنظور الإسلامي
15	الأزمة
20	مفاهيم متشابهة
23	الأزمة - المشكلة - الكارثة - الحادث - النكبة
24	آثار الأزمة
34	الإعلام والأزمة
34	مواجهة الأزمة
47	نماذج من الأزمات
47	تعرض لها القرآن الكريم
52	الإرشادات الإلهية
65	والتوجيهات النبوية لحل الأزمة
73	كيف تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم
82	مع الأزمات. وأسلوب حله لها
105	الأزمة في الفكر الإسلامي
	أزمات الهجرة
	هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
	مواقف متعددة

128	إدارة الأزمة بحكمة
132	إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للأزمات
183	التفاعل مع الأزمة
241	الإعلام ودوره فى حل الأزمات فى السنّة النبوية الشريفة
246	وبعد
249	المراجع